اللقاء

بين الإسلام والنصرانية

لا إله إلا الله

بين الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا
والأنبا غريغوريوس

البشير للنشر والتوزيع القاهرة

اللّقاءُ

محمد

بين

الإسلام والنّصرانية

بين الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السّقا

والأنبا غريغوريوس

دار البشير
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

(الآية ٤١ من سورة إبراهيم)

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(الآية ٢٨ من سورة نوح)

إهداء

إلى سيادة اللواء

عبد القادر محمد عبد القادر

أهدى هــذا الكتــاب .. لِحُسن خُلُقه ، و أدبه مع الله ومع الناس .

سائلاً من الله عــز وجل أن يُعطِيَه حتى يَرْضى .

د . أحمد حجازى السقا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[الشورى ١٥]

نص من التوراة

« إسمعْ يا إسرائيلُ . الربُّ إلهُنا ربٌّ واحد . فتُحبُّ الربَّ إلهك من كُلِّ قَلْبك . ومن كل نَفْسك . ومن كل قُوَّتك . ولتكنْ هذه الكلمات التي أنا أوصيكَ بها اليوم . على قلبك . وقُصَّها على أولادك . وتكلَّمْ بها حين تجلس في بيتك . وحين تمشي في الطريق ، وحين تنام وحين تقوم . واربُطها علامة علي يَدك ولتكُنْ عصائب بين عَيْنيك ، واكتُبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك »

[تث ٦ : ٤ ــ ٩]

نص من إنجيل مارقس

« فجاء واحدٌ من الكَتَبة ، وسمعهم يتحاورون . فلما رأي أنه أجابهم حَسَناً سأله : أيَّةُ وَصيَّة هي أول الكُلِّ ؟

فأجابه يَسُوعُ : إنَّ أوَّلَ كُلِّ الوصايا هي : « اسمع يا إسرائيلُ . الربُّ إلهنا رب واحد . وتحبُّ الربَّ إلهك من كل قلبك ، ومن كل نَفْسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك »

هذه هي الوصية الأُولى .

وثانية مثلُها هي : تُحبُّ قريبك كنفَسك .

ليس وصيَّةٌ أُخرى أعظمَ من هاتين :

فقال له الكاتب : جيِّدا يا مُعَلِّمُ . بالحقِّ قُلْتَ : لأنه الله واحدٌ ، وليس آخرُ سواهُ . ومحبَّتُهُ من كلِّ القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ، ومن كل القُدرة ومحبةُ القريب كالنَّفس هي أفضلُ من جميع المحرَقات والذَّبائح .

فلما رآه يسوعُ أنه أجاب بِعقل ؛ قال له : لَستَ بعيداً عن ملَكُوتِ الله »

[مر ١٢ : ٢٨ ــ ٣٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أولاً : من الأحكام التشريعية فى توراة موسى عليه السلام : أن نبياً سيرسله الله الى العالم مماثلاً لموسى عليه السلام فى الملك والحروب والانتصار على الأعداء والمعجزات العظيمة . وإذا جاء فى وقته المعين له من الله ؛ فإنه يجب على بنى إسرائيل أن يتركوا شريعة موسى ، ويعملوا بشريعته . وما يزال بنو إسرائيل إلى هذا الزمان فى انتظاره ، ويلقبونه بلقب « المسيح » أو « المَسِيًّا » .

والنص على هذا النبى مذكور فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وهو « يقيم لك الرب إلهك نبياً . من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون ... الخ » .

ثانياً : ومن عادة بنى إسرائيل أن يطلقوا لقب « ابن الله » على كل واحد من جنسهم ، وعلى كل من يعبد الله على شريعة موسى . مع اعتقادهم بأن الله لم يلد ولم يولد ، وليس كمثله شيء . فيقولون : إن آدم ابن الله . أى ليس من إله آخر . ويعقوب ابن الله البكر . أى أحبّ ذريته ، وفضلهم على عالمى زمانهم . والمؤمنون بالله أولاد الله ، أى المنتسبون إليه ، لا إلى الشيطان الرجيم . والكافرون بالله أولاد إبليس ، أى المنتسبون إليه ، لا إلى الله رب العالمين . ففى إنجيل يوحنا : « أولاد الله . أى المؤمنون باسمه » [يو ١ : ١٢] وقال المسيح عيسى عليه السلام لليهود الذين لم يؤمنوا بكلامه : « أنتم من أب هو إبليس » [يو ٨ : ٤٤] وقال لوقا : « آدم ابن الله » [لو ٣ : ٣٨] .

وعلى هذه العادة أطلق النبى داود عليه السلام على النبى الآتى ، المماثل لموسى ، لقب « ابن الله » فقال فى المزمور الثانى « إنى أُخبر من جهة قضاء الرب : قال لى : أنت ابنى .. الخ » أى قال الله للنبى المنتظر : أنت قريب منى ، ومُحبّب إلىّ .

ثالثاً : وقد أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليبشر بنى إسرائيل بظهور « النبى » الملقب بلقب « ابن الله » من بعده . ومن كلامه عليه السلام فى إنجيل

يوحنا : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعزيًا آخـــر » وقال « وأما المَعزى الروح القدس ، الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » .

انظر في ماقدمنا . تجد ثلاث نبوءات ، تدل كلها على نبى واحد . سيأتى من الله للعالم ، النبوءة الأولى تدل على أنه « نبى » والنبوءة الثانية تدل على أنه « ابن الله » بالمعنى المجازى ، والنبوءة الثالثة تدل على أنه سيعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم على يديه .

وتأمل فى نصوص النبوءات الثلاثة ؛ تجد ثلاث ذوات :

١ ـــ ذات الله الذى سيرسل

٢ ـــ النبى الآتى

٣ ـــ شخص عيسى عليه السلام . الذى يقول : إنه سيطلب من الله أن يُرسل المعـزّى . فالله رب العالمين ، الملقب بالآب ، هو غير النبى ، وهو غير المسيح عيسى .

إذا علمت هذا ؛ فاعلم قول الأرثوذكس فى النبوءات الثلاثة :

أولاً : يقول الأرثوذكس : إن الله رب العالمين ، وعد بإرسال نبى ، مماثل لموسى . هذا صحيح . ولكنه رأى أن يكون هو ذلك النبى المماثل لموسى . ومن أجل ذلك نزل من السماء ، ودخل فى بطن مريم العذراء بقوة الروح القدس ، وبعد تسعة أشهر خرج طفلاً ، ثم نما وكبر ، ثم بلغ الرسالة لليهود ، ثم قتلوه وصلبوه وأدخلوه فى القبر ، ولما دخل فى القبر ، نزل إلى الجحيم ، وتعذب ثلاثة أيام ، ثم خرج من الجحيم وصعد إلى أرض القبر ، ثم فتح باب القبر وخرج منه ، وهبَّ مرتفعاً إلى السماء ؛ ليجلس على عرشه . كما كان فى البدء ، فالله تجسد فى إنسان هو يسوع وصار هو النبى المنتظر المماثل لموسى [1] .

---

(١) فى إنجيل برنابا : أن بطرس لما قال ليسوع : إنك المسيح ابن الله ، غضب يسوع وانتهره ، فبكى بطرس وقال : يا سيد لقد تكلمتُ بغباوة . فاضرع إلى الله أن يغفر لى « ثم قال يسوع : إذا كان إلهنا لم يرد أن يُظهر نفسه لموسى عبده ، ولا لإيليّاء الذى أحبه كثيراً ، ولا لنبى ما ، أتظنون أن الله يُظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان ؟ بل ألا تعلمون أن الله قد خلق بكلمة واحدة كلَّ شئ من القدم ، وأن منشأ البشر جميعهم من كُتلة طين ؟ فكيف إذاً يكون اللهُ شبيهاً بالإنسان ؟ » [بر ٧١ :] .

ثم يقولون : وفى آخر الزمان سينزل يسوع الذى هو الله متجسداً ؛ ليقيم الدين ، وليسمع له بنو إسرائيل ويطيعون ، هذا كلامهم فى النبوءة الأولى .

ثانياً : وكلامهم فى النبوءة الثانية مثل كلامهم فى النبوءة الأولى ، يقولون : إن الله نزل وتجسد فى صورة إنسان هو يسوع . ويسوع هو ابن الله ، وفى الوقت ذاته هو الله . كما كان فى النبوءة الأولى هو النبى ، وفى الوقت ذاته هو الله .

ثالثاً : وكلامهم فى النبوءة الثالثة مثل كلامهم فى الأولى والثانية . يقولون : إن الله نزل وتجسد فى صورة انسان هو يسوع . ويسوع طلب من الله ــ أى الله المتجسد ، طلب من الله غير المتجسد ــ أن يرسل روح جسده ؛ لتمكث مع الحواريين إلى الأبد . وأرسلها الله بعد خمسين يوماً من الطلب ، وبقى بلا روح .

ذلك كلامهم فى النبوءات الثلاثة .

ويقولون : إن الله قبل تجسده يُلَقَّب بأقنوم الآب ، وبعد تجسده يلقب بأقنوم الابن ، وبعد صعوده إلى السماء يلقب بالروح القدس ، الذى هو لقب للمعزى . فالأقانيم على مذهبهم مراحل للإله الواحد وهو الله رب العالمين . وهى على مذهب الكاثوليك ذوات متميزة ، وفى هذا المعنى يقول لهم الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾ أى ثلاث مراحل ، أو ثلاث ذوات متميزة ﴿ انتهوا خيراً لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض . وكفى بالله وكيلاً ﴾

ويُشبِّه الأرثوذكس مذهبهم بنزول جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض . وظهوره فى هيئة بشرية . هى هيئة « دحية الكلبى » ثم إذ يرتفع إلى السماء ، يعود إلى حالته الأولى . فالأرثوذكس ــ وأقباط مصر على مذهبهم ــ لا يقولون بثلاثة آلهة كل إله متميز عن الآخر . بل يقولون بإله واحد هو الله رب العالمين ، اتخذ لنفسه جسداً من الآدميين ، وظهر لهم فيه ، هو جسد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

وفى حوارهم مع الجاهلين بالنبوءات الثلاثة ؛ قالوا لهم : إن الله موجود . وصفة الوجود هى الآب . والله عالم . وصفة العلم هى الابن ، والله حى ، وصفة الحياة هى الروح . ولم يقولوا لهم : إن النبى الذى وعد به موسى ؛ جعلناه هو الله نفسه ، وأن الابن الذى وعد به داود ، جعلناه هو الله نفسه ، وأن المعزى الذى وعد به يسوع المسيح ؛ جعلناه هو الله نفسه . لم يقولوا لهم هذا . ولذلك رد عليهم الجاهلون

بالنبوءات الثلاثة بأن مذاهب النصارى غير منضبطة .

ولا يفهمُ مذهب النصارى على حقيقته إلاَّ العالمون بجميع النبـــوءات عـــن « النبى المنتظر » .

وهذه نبوءة من نبوءات داود عن النبى الأمى الآتى ، وكلامهم فيها ،كمثالٍ على ما ذكرناه :

قال داود : إن الله تعالى قال عن النبى المنتظر إنه سيد داود ، وأن الله سينصره على أعدائه . قال يهوه وهو الله . لأدوناى وهو السيد : « اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك » [مزمور : ١١٠] فترجم الكاثوليك واليهـــود وكثيـرون بـ « قال الله لسيدى » وترجم البروتستانت بـ « قال الرب لربى .. الخ » .

ثم قال الأرثوذكس : إن الله رب العالمين يقول قبل تجسده لنفسه بعد تجسده : إننى سأنصرك على أعدائك . كيف هذا ؟ الله قبل التجسد ينصر نفسه بعد التجسد ؟ من يعقل هذا ؟ ثم إنه إذا تجسد فى جسد يسوع . وارتفع يسوع إلى السماء ليجلس بجـوار الله عن يمينه . فإنه لن يجد الله . لأنه هو قد صار الله . وإذا صار الله . فإن الله لا يكون على العرش فى السماء حتى يجلس يسوع بجواره .

فالذين يعرفون كل نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل ، وأقوال الأرثوذكس والكاثوليك فيها ؛ هم وحدهم الذين يعرفون مذاهب النصارى على جليتها .

و « الأنبا غريغوريوس » أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى . كتب فى كتابه « مقالات فى الكتاب المقدس » فى الجزء الثانى مقالة عنوانهــا : « من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام » .

وهذه المقالة بنصـها ؛ نُشرت فى مجلة الهلال ، فى عدد يناير سنة ١٩٨٠م وفى جريدة « وطنى » فى يوم الأحد ٩ من مارس سنة ١٩٨٠م وآخر الأمر نُشرت فى جريدة « الجمـهـورية » المصرية ، على ثلاث دفعـات ، فى يـوم الاثنين ١٥ من يونيـه سنة ١٩٩٢ ، وفى ٢٩ منه ، وفى ٦ من يوليه من نفس السنة . ولم يذكر من آخرها بضعة سطور ، والذى لم يذكره هو :

وعلى ذلك فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد « لأن

التثليث ليس تثليث ذوات [١] ، لكنه تثليث أقانيم ، والأقانيم صفات ، وخاصيات فى الإله الواحد ، لكنها صفات وخاصيات ذاتية ، وليست مجرد صفات نسبية [٢] والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات .

وعندهم : أن الله الواحد ، كائن بذاته ، ناطق بكلمته ، حى بروحه .

ولذلك يقولون فى البسملة : « باسم الآبْ ، والابن ، والروح القدس ، الإله الواحد » .

والخلاصة : أن المسيحية قدمت عن الله درسين ، متممين الواحد للآخر . الدرس الأول : عن التوحيد . والدرس الثانى : عن التثليث . والدرسان لا يتعارضان ، وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول ، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد . إذْ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته . ولم تقدَّم الدرس الثانى إلا بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس : أن الله واحد أحد ، وليس غيره إله » ا . هـ هذا نص ما لم يذكره فى جريدة الجمهورية .

وفى نفس كتابه هذا كتب مقالة موضوعها : « منْ آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام فى اللغة العربية [٣] » كان قد نشرها فى مجلة الهلال عدد أول أغسطس سنة ١٩٨١ ووجَّه خطابا إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى ، يرجع تاريخه إلى أواخر سنة ١٩٨٠ قال فيه ما نصه :

« هل تعلم أيها الشيخ أنك فى حديثك عن المسيحية تُردد أقوال النساطرة الذين كانت لهم أديرتهم ورهبانهم فى بلاد العرب ، أثناء الدعوة الإسلامية ، وما تقوله أنت الآن فى الربع الأخير من القرن العشرين ، كان يقوله النساطرة . ومنهم الراهب النسطورى ، المدعو « بحيرا » والمعروف عنه أنه كان يتعاطى النجامة والسحر ...

---

(١) هو تثليث ذوات عند الكاثوليك والبروتستانت .

(٢) الكرسى مكون من خشب ومسامير : فالخشب والمسامير ذاتيان لازمان للكرسى . أما لونه أبيض أو أحمر فإنه نسبى . أى يعرض ويزول . وليس زواله كزوال الخشب أو المسامير .

(٣) كتبنا بحثاً عنوانه « استحالة اللقاء بين الإسلام والنصرانية » ونشرناه سنة ١٩٨٠ فى كتاب النصيحة الإيمانية .

فأنت إذْ تردد : **﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ و ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ﴾ و ﴿ يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس : اتّخذونى وأمّىَ إلهين من دون الله ﴾ و ﴿ إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد ﴾ و ﴿ بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ؟ ﴾** .

كل هذه النصوص وأمثالها مما تردده ، ليست جديدة علينا ، إنها بعينها هى الاتهامات التى كان يرددها النساطرة ، أثناء نشأة بدعتهم فى القرن الخامس » ا . هـ

والأنبا غريغوريوس كتب ردّه هذا على الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وهو ناعس . وذلك لأن هذه الأقوال ليست هى أقوال النساطرة ، بل هى أقوال الأرثوذكس الذين هو منهم ، وأقوال الكاثوليك والبروتستانت . فى الفاتيكان فالقرآن صادق ، وليس كاذباً كما يدّعى .

فالذين يقولون : إن الله هو المسيح . هم الأرثوذكس ، والذين يقولون بأن المسيح إله منفصل عن الله هم الكاثوليك ، وأقانيم الأرثوذكس تعرف بأقانيم التجسُّد ، وأقانيم الكاثوليك والبروتستانت تعرف بأقانيم التعدُّد .

وهو نفسه لما صحا من نومه ، كتب مقالاً آخر فى الجزء الثالث من « مقالات فى الكتاب المقدس » ردّ فيه على الدكتور الشيخ عبد المنعم النمر وكان قد نشره فى « وطنى » فى ١٩٨٥/٧/٧ وقال فيه ما نصه : « شكرا لله أولاً وقبل كل شىء ، فإن القرآن بقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ أعفانا من التدليل على أن ما يقوله المسيحيون عن ألوهية السيد المسيح هو بعينه ما كانوا يقولونه قبل القرن السابع للميلاد ، فلم يستحدث المسيحيون عقيدة ألوهية السيد المسيح ، وإنما هى عقيدتهم بعينها منذ الابتداء ، وهى عقيدة المسيحيين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم إنها عقيدتهم بالإجماع شرقاً وغرباً سواء الأرثوذكس منهم أو الكاثوليك أو البروتستانت لاخلاف بينهم على أن المسيح هو « الله الكلمة متجسداً » [يوحنا ١ : ١٤] « الله الظاهر فى الجسد » [١ تيموثاوس ٣ : ١٦] .

الله قد تجلى فى كيان منظور هو المسيح ، وهذا هو معنى أنه « ابن الله » ا . هـ

ثم قال : « وملاك القول : إننى أريد أن أؤكد لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أننا سعداء بقول القرآن : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ هذه عقيدتنا

ونحن سعداء بها ، ونحن لا نغضب أن يقال عنا من جانب الذين لا يعرفون المسيح على حقيقته : إننا كفار » أ . هـ

والأنبا غريغريوس في واد ، والناس كلهم في واد آخر . فالناس يعرفون : أن اليهود ينتظرون نبياً مبشراً به فى توراة موسى وأسفار الأنبياء . ويلقبونه بلقب « المسيح المنتظر » أو « المَسِيًّا الرئيس » ـ حسب لسانهم فى التعبير عن أنبيائهم ـ وقد أقاموا دولة لهم فى اسرائيل ؛ ليراها « المسيح » ويأتى . وأقنعوا الأميين منهم وأنصارهم فى العالم بهذه الفكرة . وأقاموا الدولة على أساس أن « المسيح » لن يظهر إلا إذا أُقيمت الدولة . ونبوءات التوراة التى يستدل بها اليهود على مجىء « المسيح » ما تزال فى أ ـــ التوراة ب ـــ وأسفار الأنبياء . إلى هذا اليوم . وهى مجموعة ومرتبة تحت كلمة « المَسِيا » أو « المسيح » فى دوائر المعارف اليهودية والنصرانية . وأول هذ النبوءات هى قول موسى عليه السلام : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون ... الخ » .

فماذا يقول غرغوريوس فى هذا النبى الآتى ؟ !! يقول : إن النبوءة لا تدل على واحد ، بل تدل على كثيرين يأتون من الله إلى بنى إسرائيل . وقد أتوا بالفعل .

فهو فى واد والناس كلهم فى واد آخر . وذلك لأن النص يدل على واحد ، واليهود يقولون : نحن فى انتظاره ، وقد أقمنا له الدولة . وهو وحده من دون الناس يقول : « فالنبى المقصود فى هذا النص : هو كل نبى ، يرسله الله إلى شعبه »[1] . ويكرر قوله فيقول : « وإذاً فالنبى المشار إليه فى نص سفر التثنية هو كل نبى أرسله الله من بعد موسى إلى بنى إسرائيل . والكلام ينطبق لا على نبى بالذات ، بل الكلام عام يشمل جميع الأنبياء ، الذين ظهروا من بين بنى إسرائيل »[2] أ هـ .

لمن تقول هذا الكلام فى عصر العِلْم ؟ ومَنْ أقامك قاضياً على الكُتَّاب ؟ ومَن يصدقك ؟ وإن النصارى كلهم لا يصدّقونك . وذلك لأن بطرس واستفانوس فى سفر أعمال الرسل . قالا : إن النبى المنتظر من اليهود هو يسوع المسيح . وسواء أكان قولهما صحيحاً أم كان غير صحيح ، فإن النبوءة تدل على واحد ، سوف يأتى ليقيم الدين كما

---

(١) ص ٢٠ مقالات فى الكتاب المقدس ج٢ ـــ دار الجيل للطباعة بالقاهرة .

(٢) ص ٢٠ المرجع السابق .

أقامه موسى ، وليس من أحد من أنبياء بنى إسرائيل قد نسخ شريعة موسى ، فهى إذاً كانت قائمة ، فإذاً الآتى ليقيم الدين عوضاً عنه هو نبيٍ منتظر . نبى واحد لا أنبياء كثيرون . ولقد قال بطرس : إن هذا هو النبى يسوع ، وقد رفع فى المجد من قبل أن يقيم الدين ، ولسوف يأتى ليقيمه فيما بعد . قال بطرس : « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويرسلَ يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبلُ . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى ، سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كلِ ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب » [أع ٣ : ١٩ ـــ٢٣] .

فبطرس ـــ كما هو مكتوب ـــ يحتج على اليهود بأن النبى الذى أخبر عنه موسى ، هو يسوع المسيح . فإذاً النبوءة تدل على واحد . فإذاً أنت فى واد ، والنصارى كلهم فى واد آخر . فإذاً أنت تشرح بالكفر صَدْراً . تكفر بالتوراة وتكفر بالإنجيل ، ثم تلغو فى نبوة محمد ﷺ . وهذا لا يليق بمنصبك .

أيليق بك أن تقول : إنها لأنبياء كثيرين . وأنت تقرأ فى إنجيل يوحنا : أنها لواحد ؟ ففى الأصحاح الأول : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ؛ ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر . وأقر أنى لست أنا المسيح (١) . فسألوه : إذاً ماذا ؟ إيليًا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا » [يو١ : ١٩ ـــ ٢١] قولهم للمعمدان : « ألنبى أنت ؟ » ألا يدل على أنهم فى انتظار واحد ؟ وفى إنجيل يوحنا : أن يسوع لما صنع معجزة المائدة قال عوام اليهود : « إن هذا

(١) حكى برنابا فى إنجيله أن الوفد كان موجهاً لعيسى عليه السلام فقال : « فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقَّطوه بكلامه . فلذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لستُ مَسِيًا . فقالوا : أأنت إيليَّاء أو إرمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلاَّ . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل ، لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها ، يصرخ : أعدُّوا طريق رسول الرب . كما هو مكتوب فى إشَعياء . فقالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء أو نبياً ما ، فلماذا تبشر بتعليم جديد ، =

= وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيا ؟ أجاب يسوع : إن الآيات التي يفعلها الله على يدى ، تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولستُ أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لستُ أهلاً أن أحل رباطات جرموق ، أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا » [بر ٤٢ : ٣ ــ ٨] .

انظر إلى قوله إننى لست المسيا ، وإنه سيأتى من بعدى ، وهذا يدل على أنهم يبحثون عن واحد كما حكى يوحنا كاتب الإنجيل أنهم يبحثون عن واحد . فمن هو المسيا ؟ ومن هو النبى ؟ إن هذا مثل رجل يُلقب بـ « الرئيس » وأيضاً له اسم فى شهادة ميلاده مثل « أحمد » وله أيضاً كنية مثل أنه يُقال له : « ابن آدم » وله أيضاً صفة مشهور بها مثل « الصِّديق » فإذا تقدم إلى مدينته من يسأل عنه ، فإنه سيسأل الرئيس ههنا ؟ فإذا قيل له : من تعنى فإن ههنا ضيوف رؤساء ؟ يقول : أعنى « أحمد » ومن أحمد ؟ إنه « ابن آدم » وقد يقول : أعنى « ابن آدم » وقد يسأل رأساً فيقول : أحمد ههنا ؟ وقد يسأل بمجموع ما يعرف عنه فيقول : الرئيس ههنا ؟ ابن آدم ههنا ؟ الصِّديق ههنا ؟ أحمد ههنا ؟ وإذا رأى المسئول عنه فإنه سيقول له : أأنت الرئيس ؟ أأنت أحمد ؟ أأنت الصديق ؟ أأنت ابن آدم ؟ كل هذا ليتأكد من شخصيته ، وليعطيه حقه .

وهذا يحدث كثيراً فإن الأب قد يحضره الموت ، وعنده مال ، وله ولد غائب فيقول لمن يثق فيه : إذا جاءك ابنى وقد مت فسلم إليه هذا المال ثم يعطيه أماراته وألقابه وما هو مشهور به بين الناس فإذا لقى الابن فإنه يفرح به ، ثم يسأله : أأنت ابن فلان ؟ أأنت اسمك كذا ؟ أأنت المشهور بين الناس بلقب كذا ؟ ليخلص من ذمته أمام الله .

[راجع كتاب المسيا المنتظر ــ نشر دار الثقافة الدينية بمصر]

وفى شرح بشارة يوحنا للدكتور إبراهيم سعيد : « الكلمة « مَسِيًّا » هى الصيغة اليونانية للكلمة الآرامية « مشيحا » والعبرية « مشيح » والعربية « مسيح » أى الملك العظيم الممسوح من الله ، والمنتظر من الشعب اليهودى ، وفيه تتم نبوات العهد القديم ، هذا المسيا كان منتظراً من السامريين [يو ٤ : ٢٥] جاء فى المدراش اليهودى ، شرحاً لما جاء فى خروج ٤ : ٢٢ : « أن بكر الله هو المسيا » وجاء فى التلمود : « إن اسم مسيا هو قبل كون العالم » ولأن يوحنا كان يكتب إلى الأمم ، اضطر أن يفسر لهم كلمة « مسيا » اليهودية بقوله : الذى تفسيره المسيح أ ، هـ .

وهذا الذى هو فى التلمود يؤكد قول برنابا عن عيسى عليه السلام أنه قال عن المسيا : إنه خلق قبلى وسيأتى بعدى . أى قدر الله وجوده من قبل أن يخلقه .

وقال الدكتور إبراهيم سعيد : إن اليهود كانوا يعتقدون أن إيليا يأتى قبل النبى المنتظر الذى =

هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » [يو٦ : ١٤] ولم يلتفت إليهم فالنبى الآتى إلى العالم نبى واحد لا أنبياء كثيرين ، ولم يكن قد ظهر إلى زمان المعمدان ويسوع .

وبعد أسبوعين كتب يرد على الأستاذة الفاضلة « مايسة عبد الرحمن » فى جريدة وطنى فى ٢٤ / ٩ / ١٩٧٨م فى قولها : إن سؤال اليهود للمعمدان وهو « ألنبى أنت ؟ » وردّه عليهم بلا ، يدل على أن النبى الآتى هو محمد ﷺ .

وقال ما نصه : « إنه قد جاء فى التوراة على فم موسى النبى قوله : « يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون . وقال الرب : أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما آمره به ، ويكون أنّ الإنسان الذى لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أُطالبه » [تث ١٨ : ١٥ — ١٨] والواضح من النص ومما قبله ومما بعده : أن النبى المشار إليه هنا هو كل نبى جاء من بعد النبى موسى ، ابتداء من تلميذه يشوع بن نون إلى الآخرين الكثيرين من أمثال

= يلقب أيضاً بلقب المسيا ـ طبقاً لمتى ١٧ : ١٠ واعتقاد اليهود هو تفسير خاطئ لملاخى ٤ : ٥ وقد قال المسيح فى متى ١١ : ١٤ إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه ، يعنى أنه جاءت روحه فى المعمدان ولم تجئ ذاته فلذلك قال المعمدان : « لست أنا إيليا » جاء فى التلمود : سوف يظهر إيليا قبل مسيا ، ويقول لهذا أنت طاهر ، ولذلك أنت نجس . هذا كلامه .

ويريد أن يقول : أن « النبى » المسئول عنه هو الذى قال عنه موسى « يقيم لك الرب إلهك نبياً .. » ويريد أن يقول وهذا « النبى » المسئول عنه ، يلقب أيضاً بمسيا أى المسيح فالنبى والمسيح لقبان لواحد وهذا اعتقاد النصارى كلهم واعتقاد اليهود ، وهو اعتقاد صحيح من وجهة النظر الإسلامية والخلاف بينهم وبين المسلمين هو فى « إيليا » فإن النصارى يفسرونه بإلياس النبى يأتى بروحه ـ على طريقة تناسخ الأرواح ـ وقد أتى فى جسد يوحنا المعمدان ، وينقلون عن اليهود أنهم يقولون : إن إيليا سيظهر بجسده وروحه قبل « النبى المنتظر » والحق أن اليهود فى آخر سفر ملاخى رمزوا لاسم أحمد وهو اسم النبى الملقب بلقب المسيا بكلمة إيليا بحساب الجُمَّل فإن إيليا حسابها ثلاثة وخمسون ، وأحمد ثلاثة وخمسون فيكون ١ ـ النبى ٢ ـ المسيح ٣ ـ إيليا ثلاث كلمات تدل على واحد ، هو محمد ﷺ فموسى لقّبه بالنبى ، واليهود وضعوا عليه لقب المسيح الذى هو المسيا ، ليقولوا : إنه سيأتى من جنسنا وملاخى رمز لاسمه أحمد بكلمة إيلياء .

إ = ١ ، ى = ١٠ ، ل = ٣٠ ، ى = ١٠ ، أ = ١ ، ء = ١ المجموع = ٥٣ .

وكلمة أحمد أ = ١ ، ح = ٨ ، م = ٤٠ ، د = ٤ المجموع = ٥٣ .

صموئيل وداود وسليمان وإشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيآل وهوشع ويونان . إذ ينطبق على كل منهم أنه من بنى إسرائيل . أى من بنى يعقوب بن إسحق ، وأنه من بيئتهم وجماعتهم . أى من وسطهم ، ومن إخوتهم بنى يعقوب بن إسحق .

ومما يؤيد هذا المعنى : قوله تعالى فى التوراة ، فى نص سابق على النص موضوع بحثنا : « متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، وامتلكتها وسكنت فيها . فإن قلت : اجعل علىَّ ملكاً ، كجميع الأمم الذين حولى ، فإنك تجعل عليك ملكاً ، الذى يختاره الرب إلهك ، من وسط إخوتك ، تجعل عليك ملكاً . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ، ليس هو أخاك » [تث ١٧ : ١٤ ــ ١٥] فالمقصود إذاً من قوله « من وسطك ، من إخوتك » هو أن يكون من بين بنى إسرائيل . أى من بنى يعقوب بن اسحق ، ولا يكون من غيرهم .

على أن أئمة اليهود وعلماءهم وفقهاء الشريعة ، رأوا مع ذلك ــ وبناء على تقليد امتد عبر عصور التاريخ ــ أن قول النبى موسى : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى » فيه إشارة وتلميح إلى المسيح فى إحدى وظائفه وهى النبوة » أ. هـ .

معنى كلامه :

١ ــ أن النبى الذى سيقيم الدين ، المكتوب عنه فى التوراة ليس نبياً معيناً بل هو جماعة من الأنبياء .

٢ ــ وأن هؤلاء الأنبياء يكونون من اليهود ، ولا يكون منهم واحد من بنى إسماعيل ، وذلك لأن « من إخوتكم » تدل على جنس اليهود فقط ، بدليل : أن الملوك على اليهود لا يكونون إلا من جنسهم .

٣ ــ أن النبوءة عن النبى الآتى الذى سيقيم الدين فيها إشارة وتلميح إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى وظيفة النبوة .

والرد عليه :

(١) واضح من نص النبوءة أنها لواحد فقط ، موصوف بعدة أوصاف :

١ ــ نبى

٢ ـ من بين إخوتهم . أى من بنى إسماعيل لأن الله قد بارك فى إسماعيل بملك ونبوة [تك ١٧ : ٢٠]

٣ ـ ينسخ شريعة موسى لقوله « يُقيم الدين » ولقوله : « له تسمعون » .

٤ ـ يكون ملكاً . لقوله : « له تسمعون » ولقوله : إن من لا يسمع له من اليهود ، يهلكه الله على يديه وعلى أيدى أتباعه .

٥ ـ يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب لقوله : « وأجعل كلامى فى فمه » .

٦ ـ يكون أميناً على الوحى الإلهى لقوله : « فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

٧ ـ لا يقتل بيد أعدائه لقوله : « وأما النبى الذى يُطغى . فيتكلم باسمى كلاماً لم أُوصه أن يتكلم به . أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى » .

٨ ـ يهلك اليهود من العالم لقوله « ويكون أنَّ الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه » أى يهلكه الله على يديه .

٩ ـ يخبر عن الغيوب لقوله : « وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ... الخ » .

١٠ ـ مثل موسى فى الرئاسة والملك والحروب والانتصار على الأعداء لقوله : « مثلك » ـ « مثلى » ونص النبوءة : « أقيم لهم : نبياً من بين إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما آمره به ويكون أن الإنسان الذى لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى ، فإنى أُطالبه[١] وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم آمره أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى .

وإن قلتَ فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟

فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » [تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢] .

(٢) وقول الأنبا غريغوريوس : إن « من إخوتكم » تدل على جنس اليهود فقط هو

(١) بطرس فى سفر الأعمال ترجم بالهلاك والإبادة من الشعب على يد النبى الآتى .

قول باطل ، وذلك لأن بنى إسماعيل من إخوة بنى إسرائيل ، وعموم نسل إبراهيم إخوة بعضهم لبعض ، فتحلُّ الملوك على اليهود من بنى إسماعيل وقد ملك عليهم محمد ﷺ طبقاً لنصوص التوراة ، فإن فيها عن إسماعيل عليه السلام : « وأمام جميع إخوته يسكن » [تكوين ١٦ : ١٢] « أمام جميع إخوته نزل » [تكوين ٢٥ : ١٨] .

(٣) قوله : إن نبوءة « النبى الأمى الآتى » فيها إشارة وتلميح إلى عيسى عليه السلام من جهة كونه نبياً فقط . هذا القول فيه مغالطتان .

المغالطة الأولى : أنه نفى فى البدء أن تكون النبوءة نصًّا فى يسوع المسيح فقوله فيما بعد : إن فيها إشارة إليه . يسأل عنه : إشارة فى ماذا ؟ هل كل الأوصاف مجتمعة فيه ؟ هل صرح بأنه صاحب النبوءة ؟ هل سيأتى فيما بعد ليكون هو صاحبها ؟

والمغالطة الثانية : أن النصارى يدّعون أن عيسى هو الله رب العالمين ، أو هو إله ، فكيف تكون النبوءة ـ على ادعائهم هذا ـ نصاً فيه أو إشارة إليه ؟ إن النبوءة تقول : إن الرب يرسل نبياً . ففيها اثنان ١ ـ الرب المرسل ٢ ـ والنبى المرسَل اثنان إله ونبى ، وغريغوريوس يعتقد : أن الله هو المسيح فكيف يكون الله الهاً وفى الوقت نفسه يكون هو النبى ؟ ثم إن غريغوريوس عقد مقارنة بين موسى ويسوع فى صفة المثلية ليثبت أن يسوع هو صاحب النبوءة ، الآتى مثل موسى وإنه بالمقارنة ينفى الألوهية عن يسوع من حيث لا يحتسب . إذْ موسى نبى ، ولا تصح المقارنة بين نبى هو موسى ، وإله هو عيسى . وأظهر مغالطتين فى المقارنة :

١ ـ قال : إن المثلية فى سبع صفات ، وهذه مغالطة فإن الآتى مثل موسى ، يكون مثله فى ثلاثة أوصاف فقط حدّدتها التوراة بنَصٍّ . هى فى الرئاسة والانتصار على الأعداء والحروب ، والمعجزات العظيمة ، ولم يكن عيسى رئيساً ولا محارباً .

٢ ـ وقال : إن الآتى سيكون من اليهود . وهذه مغالطة ففى التوراة : إن الآتى مثل موسى لن يكون من اليهود ، وعيسى من اليهود فلا يكون هو .

ففى آخر التوراة : « ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى ، الذى عرفه الرب وجهاً لوجه ، فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ، ليعملها فى أرض مصر ، بفرعون وبجميع عبيده ، وكل أرضه ، وفى كل اليد الشديدة ، وكل المخاوف العظيمة ، التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل » [تث ٣٤ : ١٠ ـ ١٢]

والمثلية ذكرها على النحو التالى :

١ ـ موسى من بنى إسرائيل ويسوع من بنى إسرائيل .

٢ ـ موسى كليم الله ، ويسوع كلمة الله .

٣ ـ موسى شفيع بين بنى إسرائيل وبين الله ، ويسوع شفيع بموته كفارة فداء عن آدم وذريته .

٤ ـ موسى كان قائداً للشعب ، ويسوع كان قائداً للمؤمنين ، إذ عبر بهم من عبودية الشيطان إلى حرية مجد أولاد الله .

٥ ـ موسى حارب أعداء الله وانتصر عليهم ، ويسوع حارب الشيطان وانتصر عليه على الصليب .

٦ ـ موسى تلقّى شريعة الله فى العهد القديم ، ويسوع أعطى شريعة العهد الجديد .

٧ ـ موسى كان نبياً ، ويسوع جاء يبشر بالسلام .

وأترك الرد عليه فى المثليات السبعة للعقلاء من الناس .

وإذْ قد كتب هو مبيناً التلاقى بين الإسلام والمسيحية فى ذات الله وصفاته ، ونشر ما كتبه فى جريدة يقرأُها المسلمون والنصارى ، ليظهر للناس أنه يقدر أن يكتب ، فإننى أرد عليه فى كتابنا هذا ليكون على طول الزمان فى أيدى المسلمين وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين .

* * *

عقائد النصارى من كلام الشيوخ

وإننا نحن المسلمين نأخذ عقائدنا من القرآن الكريم ، ولا نأخذها من كلام الشيوخ . واليهود يأخذون عقائدهم من : أ ـ التوراة ب ـ وأسفار الأنبياء . ولا يأخذونها من كلام الشيوخ . وأنتم أيها النصارى تأخذون عقائدكم من كلام الشيوخ لا من التوراة ولا من أسفار الأنبياء ، ولا من الأناجيل ، ولا من الرسائل . أنتم تأخذون عقائدكم من كلام الشيوخ . فهل هذا يصح فى دين الله ؟!! فلماذا كان الأنبياء إذاً ؟ وهل تصح المقارنة بين عقائد أصلها من الله . وعقائد أصلها من كلام الناس ؟!! وهل يتم اللقاء بين ديانة إلهية ، وديانة وضعية ؟! .

إننى أدعو العقلاء من الناس إلى قراءة هذا النص للمعلم بُطرس البُستانى . وأدعوهم إلى قراءة مثله فى دوائر المعارف العربية والأجنبية ، ليعلموا بأنفسهم من تصريح النصارى أنفسهم أن عقائدهم أخذوها من كلام الشيوخ ، لا من كلام الأنبياء . وعلى كلامهم هم أنفسهم يستحيل اللقاء بين الإسلام والنصرانية .

تعليم الكنيسة

قال بطرس البستانى : « إن الثالوث كلمة تُطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم ، معاً فى اللاهوت ، تعرف بالآب والابن والروح القدس ، وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت ، إلا ما ندر .

والذين يتمسكون بهذا التعليم : يذهبون إلى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس . وقد أضاف اللاهوتيون إليه شروحاً وإيضاحات ، اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة ، وكتابات آباء الكنيسة العظام . وهى تبحث عن طريقة ولادة الأقنوم الثانى ، وانبثاق الأقنوم الثالث ، وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة وألقابهم .

ومع أن لفظة « ثالوث » لا توجد فى الكتاب المقدس ، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جمعية فى اللاهوت ، ولكن إذا كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة كانت لا يمكن أن يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوث ، بل كرموز إلى الوحى الواضح الصريح ، الذى يعتقدون أنه مذكور فى العهد الجديد .

وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لإثبات هذا التعليم :

أحدهما : الآيات التى ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معاً .

والآخر : التى ذكر فيها كل منهم على حدة والتى تحتوى على نوع أخصّ صفاتهم ، ونسبة أحدهم إلى الآخر .

والجدال عن الأقانيم فى اللاهوت ابتدئ فى العصر الرسولى ، وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين . فإنه « ثيوفيلوس » أسقف أنطاكية فى القرن الثالث ، استعمل كلمة ثرياس باليونانية ثم كان « ترتليانوس » أول من استعمل كلمة ترينيتاس ، المرادفة لها ، ومعناها : الثالوث .

وفى الأيام السابقة للمجمع النيقاوى حصل جدال مستمر فى هذا التعليم ، وعلى الخصوص فى الشرق ، وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بأنها أراتيكية . ومن جملتها : آراء الأبيونيين ، الذين كانوا يعتقدون : أن المسيح إنسان محض . والسابيليين الذين يعتقدون : أن الآب والابن والروح القدس ، إنما هى صور مختلفة ، أعلن بها الله نفسه للناس ، والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم ولذلك هو دون الآب وخاضع له ، والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس أقنوماً .

وأما تعليم الكنيسة : فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد ، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما : بأن الابن والروح القدس مساويان للآب فى وحدة اللاهوت ، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الآب ، وأن الروح القدس منبثق من الآب ، ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً .

وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها .

وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت فى أول الأمر ساكتة لا تقاوم ، قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة .

وعبارة « ومن الابن أيضاً » لا تزال من الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية .

وكتب اللوثيريين والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما

كان عليه من دون تغيير ، ولكن قد ضادّ ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين ، وغيرهم حاسبين ذلك مضاداً للكتاب المقدس والعقل .

وقد أطلق « سويد نبرغ » الثالوث على أقنوم المسيح معلماً بثالوث ، ولكن لا ثالوث الأقانيم ، بل ثالوث الأقنوم وكان يفهم بذلك : أن ما هو إلهى فى طبيعة المسيح هو الآب ، وأن الإلهى الذى اتحد بناسوت المسيح هو الابن ، وأن الإلهى الذى انبثق منه هو الروح القدس ، وانتشار مذهب العقليين فى الكنائس اللوثيرية والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين .

وقد ذهب « كنت » [1] إلى أن الآب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية فى اللاهوت . وهى القدرة والحكمة والمحبة ، أو على ثلاثة فواعل عليا وهى : الخلق والحفظ والضبط ، وقد حاول كل من « هيجن » و « شلنغ » أن يجعلا لتعليم الثالوث أساساً تخيلياً . وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون . وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية .

وبعض اللاهوتيين الذى يعتمدون على الوحى ، لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأى الكنائسية بالتدقيق ، كما هى مقررة فى مجمع نيقية والقسطنطينية المسكونيين .

وقد قام محامون كثيرون فى الأيام المتأخرة ، لعضد آراء السابيليين على الخصوص » انتهى

* * *

---

(١) مذهب الفيلسوف « كانت » هو مذهب الأنبا غريغوريوس .

رد يسوع المسيح
على تعليم الكنيسة

وقد حدث فى أيام يسوع المسيح نفسه أن جندياً من جنود أهل الروم الذين كانوا يحكمون على اليهود وقتئذ اتهم يسوع المسيح بأنه هو الله نفسه . ولما علم يسوع بالتهمة ، نفاها عن نفسه . واستدل على النفى بآيات من التوراة وأسفار الأنبياء وما تزال الآيات التى استدل بها موجودة إلى هذا اليوم ، ويقدر المنكرون للاهوت المسيح أن يُبكّتوا النصارى بها ، وأن يهدموا تعليم الكنيسة بها . وها أنذا أذكر منها فأقول :

النص : « حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الاثنى عشر التى أمر يشوع الاثنى عشر سبطاً ، أن يأخذوها من وسط الأردن ، عندما عبر إسرائيل من هناك ، دون أن تبتلّ أحذيتهم ، وقال بصوت عال : ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى ، فصعد من ثَمّ الكاهن إلى هناك ، فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى (١) وميثاقه : أن ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية ، أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك . فقال يسوع : إنه كتب هناك : أن إلهنا قد برأ كل شئ بكلمته فقط (٢) . فأجاب الكاهن : إنه لكذلك . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن الله لا يُرى (٣) وأنه محجوب عن عقل الإنسان ؛ لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير ، فقال الكاهن : إنه لكذلك حقاً . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه (٤) لأن إلهنا غير محدود . فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبى يا يسوع . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن ليس لله حاجة ؛ لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص . قال الكاهن : إنه لكذلك ، قال يسوع : إنه مكتوب هناك : إن إلهنا فى كل مكان ، وأن لا إله سواه ، الذى يضرب ويشفى ، ويفعل كل ما يريد (٥) . قال الكاهن : هكذا كُتب .

(١) الزبور التسعون ـ الآية الثانية .

(٢) المزمور الثالث والثلاثون ـ الآية السادسة .

(٣) يقول إشَعياء : « حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل » [إش ٤٥ : ١٠] .

(٤) الملوك الأول : ٨ : ٢٧ .

(٥) التثنية ٣٢ : ٣٩ .

حينئذ رفع يسوع يديه ، وقال : أيها الرب إلهنا . هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينونتك ، شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك .

ثم التفت إلى الشعب ، وقال : توبوا ، لأنكم تعرفون خطيئتكم ، من كل ما قال الكاهن أنه مكتوب في سِفر موسى ، عهد الله إلى الأبد . فإنى بشر منظور ، وكتلة من طين ، تمشى على الأرض ، وفانٍ كسائر البشر ، وأنه كان لى بداية ، وسيكون لى نهاية ، وأنى لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة » [بر ٩٥ : ٢ ـ ١٧] .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم للكتاب

« الله رب العالمين » هو الإله الذى سار إبراهيم النبى ـ عليه السلام ـ أمامه ودعا الناس لعبادته . ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين وهو أول سفر من أسفار التوراة : « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ؛ ظهر الربُّ لأبرام وقال له : أنا الله القدير . سِرْ أمامى ، وكنْ كاملاً » وفى عهد إبراهيم النبى عليه السلام كان « ملّكى صادَق » تَلكِ « شاليم » يسير أمام الله . فقد « كان كاهناً لله العلىّ » وقال : « مُبارك أبرامُ من الله العلى ، مالك السماوات والأرض » [تك ١٤ :١٨ ـــ ١٩] ومن قبل إبراهيم ـ وهو الآب الأول لليهود والنصارى والمسلمين ـــ كان نوح يسير أمام الله . ففى الأصحاح السادس من سفر التكوين : « كان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله وسار نوح مع الله » [تك ٦ : ٩] ومن قبله سار إدريس ـــ الذى هو أخنوخ ـــ مع الله . وقد رفعه الله إليه . ففى الأصحاح الخامس : « وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد ؛ لأن الله أخذه » [تك ٥ : ٢٤] .

واستحلف إبراهيمِ عبده لما شاخ وكبر ، بقوله : « إن الرب الذى سرت أمامه ؛ يُرسل ملاكه معك وينجح طريقك » [تك ٢٤ : ٤٠] .

ولما ظهر موسى بالتوراة فى بنى إسرائيل ، وصّاهم بالسير أمام الله ، ووصاهم بأن يعملوا بشرائعه . ففى الأصحاح الرابع من سفر التثنية : « فاسأل عن الأيام الأولى التى كانت قبلك ، من اليوم الذى خلق الله فيه الإنسان على الأرض ، ومن أقصاء السماء إلى أقصائها . هل جرى مثل هذا الأمر العظيم ؟ أو هل سمع نظيره ؟ هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ أو هل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعباً ، من وسط شعب ، بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ، ومخاوف عظيمة ، مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم فى مصر ، أمام أعينكم . إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه » [تث ٤ :٣٣ ـــ ٣٥] .

وسار بنو إسرائيل أمام الله ، ودعوا الناس إلى عبادته . وفى أيام النبى إرمياء قال لله تعالى عن بنى إسرائيل : « لم يسمعوا لصوتك ، ولا ساروا فى شريعتك . كلُّ ما أوصيتهم أن يعملوه ، لم يعملوه . فأوقعت بهم كلَّ هذا الشر » [إر ٣٢ : ٢٣] وقال النبى إرمياء : إنهم بدل أن يسيروا أمام الله ، ساروا وراء الباطل : « اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب ، وكلَّ عشائر بيت إسرائيل ، هكذا قال الرب : ماذا وجد فىَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنِّى ، وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلاً . ولم يقولوا : أين هو الرب الذى أصعدنا من أرض مصر ؟ الذى سار بنا فى البرية ، فى أرض قفْر وحفرٍ ، فى أرض يبوسةٍ ، وظلِّ الموت ، فى أرض لم يعبرْها رجل ، ولم يسكنها إنسان ، وأتيت بكم إلى أرض بساتين ، لتأكلوا ثمرها وخيرها . فأتيتم ونجّستم أرضى ، وجعلتم ميراثى رجساً . الكهنة لم يقولوا : أين هو الرب ؟ وأهلُ الشريعة لم يعرفونى ، والرعاة عصوا علىَّ والأنبياء تذبَّأوا ببعْل ، وذهبوا . وراء ما لا ينفع » [إر ٢ : ٤ ـــ ٨] .

وكان أنبياء بنى إسرائيل الصادقون يسيرون فى بلاد الله للدعوة إليه ، فيونان ـــ الذى هو يونس عليه السلام ـ ذهب إلى « نينوى » ودعاهم إلى الرجوع إلى الله « فآمن أهل نينوى بالله ، ونادوا بصوم ، ولبسوا مسوحاً ، من كبيرهم إلى صغيرهم » [يون ٣ : ٥] .

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام « كان يسير فى مدينة وقرية ، يكْرِز ويبشر بملكوت الله ، ومعه الإثنى عشر » [لو ٨ : ١] « وجاء إليه أُمُّه وإخوته ، ولم يقدروا أن يصلوا إليه ، لسبب الجمع ، فأخبروه قائلين : أمك وإخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يروك . فأجاب وقال لهم : أمي وإخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ، ويعملون بها » [لو ٨ : ١٩ ـــ ٢١] .

وقال للحواريين : إنكم سترون من اليهود ضيقات ، إذا دعوتم الناس إلى ملكوت الله ، « قد كلمتكم بهذا ، لكى لاتعثروا . سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة . فيها يظنُّ كل من يقتلكم أنه يقدِّم خدمة لله » [يو ١٦ : ١ ـــ ٢] وبعدما أتم حديثه معهم قال لله تعالى : « وهذه هى الحياة الأبدية : أنْ يعرفوك أنت . الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » [يو ١٧ : ٣] .

وسار الحواريون أمام الله . هم ومن اتّبعهم من اليهود والأُمم . إلى زمان مجمع نيقية . سنة ثلثمائة وخمسة وعشرين من الميلاد .

ثم تبدّل الحال . فقد أقر المجتمعون فى نيقية :

أ ـــ إلغاءُ العمل بالتوراة . وذلك ليمنعوا المسلمين عليها ، من الجهاد بها فى سبيـــل الله .

ب ـــ وجَعْلُ عيسى هو النبى المنتظر ، الذى أخبر عنه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، وبشّر به عيسى نفسه فى الأناجيل الأربعة ، وذلك ليمنعوا الناس من الدخول فى دين محمد إذا جاء . وبذلك تظل السيادة لأهل الروم إلى الأبد .

وكان داود عليه السلام قد تحدث فى المزمور الثانى عن نبى الإسلام محمد ﷺ بلقب « ابن الله » بالمعنى المجازى على حسب عادة بنى إسرائيل فى تعظيم أنبيائهم والصالحين منهم ، فجعلوا عيسى هو « ابن الله » وشطّوا فيه شططاً عظيماً . إذْ جعلوه ابناً طبيعياً لله . وساووه بالله فى الأُلوهية والربوبية والخَلق والتقدير . وأقروا هذه الصيغة . وهى : « نؤمن بإله واحد . آب ضابط الكل ، خالق كل الأشياء ، ما يرى وما لا يرى . وبربٍّ واحد . يسوع المسيح . ابن الله . المولود من الآب . المولود الوحيد . أى من جوهر الآب . إله من إله . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق .مساوٍ للآب فى الجوهر . الذى به كان كل شىء فى السماء وعلى الأرض » .

وفى سنة ثلثمائة وإحدى وثمانين خرجوا من الاثنينية إلى التثليث . وذلك لأنهم ألّهوا الروح القدس ، وأضافوا هذه العبارة إلى العبارة التى اتفقوا عليها فى المجمع الأول ، وهى : « ونؤمن بالروح القدس . الرب المحيى المنبثق من الآب ، الذى هو مع الآب والابن . مسجود له وممَجّد . الناطق بالأنبيـــاء »

ولماذا ألّهوا الروح القدس ؟ لنفس الأسباب التى ألّهوا بها الابن .

وهى موضحة فى كتابنا « أقانيم النصارى »

فالنصرانية من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م هى غير اليهودية التى أظهرها موسى عليه السلام وغير اليهودية المنسوبة لِعزرا ، وغير اليهودية التى صححها عيسى عليه السلام .

وسبب تحريفها هو محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن الله تعالى لما عاهد إبراهيم عليه

السلام بالسير أمامه ، طلب منه إبراهيم أن يسير أمامه من بعده نسل إسماعيل ونسل إسحق ـــ عليهما السلام ـــ فاستجاب الله له . وخرج من اسحق نسل يعقوب الذى هو إسرائيل ، وخرج من إسماعيل نسل قَيدار . وكان من إسرائيل موسى ، وكان من قيدار محمد . وموسى صاحب شريعة . ومحمد صاحب شريعة . والسير أمام الله يكون بالشريعة والتمكيـن لـهـا .

وكان النصُّ على محمد ﷺ واضحاً للأميين والعلماء فى توراة موسى ، من قبل أن يُحرفها عزْرا . وهو قد حرفها فى « بابل » ووضع النص عن محمد ﷺ محتملاً له ، ولنبى من اليهود ، فى نظر الأميين ، ونصاً عليه وحده فى نظر العلماء . ومن أجل ذلك أرسل الله عيسى عليه السلام ليفسر نص التوراة عن محمد ﷺ لكل الناس . ولم تكن دعوته إلاّ التفسير والتصديق بالتوراة .

وفى مجمع نيقية اتَّفق المحرفون لدعوته على إنكار محمد ﷺ ، وعلى وضع كل نبوءات التوراة عنه ، على عيسى نفسه ، وأدخلوا عقائد أهل الروم فى الديانة ، ونادوا بنَسْخ التوراة . فأى آية تكون ـــ والحال هكذا ـــ على التلاقى بين المسيحية والإسلام ؟

إن النصرانية الأصلية هى اليهودية الأصلية . وقد أوصى موسى وعيسى بمحمد خيراً . فلماذا يصدُّون الناس عن الدخول فى دينه ؟

إن دانيال النبى فى الأصحاح السابع من سِفْره . يذكر أن أربعة ممالك ستقوم على الأرض : هى ١ ـ بابل ٢ ـ فارس ٣ ـ اليونان ٤ ـ الرومان .

ثم يذكر أن مُلك الرومان سيزول على يد محمد رسول الله ﷺ ولقَّبه بلقب « ابن الإنسان » ولقَّب مملكته بملكوت السموات ، أو ملكوت الله . وقال بعد ذكر الممالك التى رآها فى حلْم الليل : « كنتُ أرى فى رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء ، مثل ابن إنسان ، أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً ، لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته مـا لا ينقـرض » [دا ٧ : ١٣ ـــ ١٤] .

وقد وُلد عيسى عليه السلام فى زمان « أوغُسْطُس » قيصر الروم . والروم استولوا على فلسطين سنة ٦٣ ق . م وظل الروم فيها إلى أن أزالهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فمن هو « ابن الإنسان » صاحب « ملكوت السموات » ؟

إنه هو محمد رسول الله ﷺ بشهادة عيسى نفسه . ففى الأصحاح الرابع من إنجيل متى : « من ذلك الزمان ، ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [مت ٤ : ١٧] وفى الأصحاح السابع عشر من إنجيل لوقا : « وقال للتلاميذ : ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان . ولا ترون » « هكذا يكون فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان» وفى الأصحاح الحادى والعشرين من لوقا « وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم . وعلى الأرض كرب أمم بحيرة . البحر والأمواج تضج . والناس يغشى عليهم من خوف ، وانتظار ما يأتى على المسكونة ، لأن قوات السموات تتزعزع ، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً ، فى سحابة بقوة ومجد كثير » ـــ « هكذا أنتم أيضاً ، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا أن ملكوت الله قريب » .

وشبَّه عيسى عليه السلام ملكوت الله بحبة صغيرة ، توضع فى الأرض ، ثم تنمو وتكبر . أى أن المسلمين فى بدء أمرهم يكونون جماعة قليلة ، ثم يكثرون ، فتهابهم الأمم وتحتمى بهم ففى الأصحاح الرابع من إنجيل مرقس : « وقال : بماذا نشبِّه ملكوت الله ؟ أو بأى مثَل نمثله ؟ مثل حبة خردل . متى زرعت فى الأرض ، فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض ، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول ، وتصنع أغصاناً كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » .

وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم : **﴿ مُحمد رسولُ الله . والذين معه أشدَّاءُ على الكفار رُحماءُ بينهم . تراهم رُكَّعاً سجداً . يبتغونَ فضلاً من الله ورضواناً * سيماهُم في وجوههم من أثرِ السجود * ذلك مثلهُم فى التوراة * ومثلهُم فى الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطْئه فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقه ﴾** . (الفتح : ٢٩)

تلك نبوءة واحدة ذكرناها بإيجاز من التوراة والإنجيل ، تكفى للتدليل على أن النصارى لا يجب عليهم المقارنة بين نصرانية بولس ودين الإسلام ، بل يجب عليهم ترك نصرانية بولس إلى دين الإسلام .

﴿ ومَنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً ، فلَنْ يُقبلَ منه وهوَ فى الآخرةِ منَ الخاسرينَ * كيف يهدِى الله قوماً كفروا بعد إيمانهِمْ * وشهِدُوا أنَّ الرسولَ حقٌ وجاءهم

البينات * واللهُ لا يهدى القومَ الظالمين * أولئك جزاؤهم : أنَّ عليهم لعنةَ الله والملائكة والناسِ أجمعينَ خالدين فيهاَ لا يُخفَّفُ عنهمُ العذاب ولا هم يُنظرونَ * إلا الذين تابُوا من بعد ذلك وأصلحُوا فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ (آل عمران : ٨٥ : ٨٩)

وقد وقعت لى مناظرات شفهية مع نصارى أساتذة وطلاَّب وشيوخ كنائس ومتفرغين للدراسة والبحث . فى مصر وفى غير مصر . وراسلنى علماء منهم بتصحيح أفكار أبديتها لهم ، وظنوها خاطئة .

ففى يوم من الأيام قرأت فى جريدة « وطنى » المصرية مقالاً للأنبا غريغوريوس عن تناسخ الأرواح . وكنت فى ذلك اليوم غير مشغول بشىء فسلَّيتُ نفسى بكتابة ردٍّ على مقاله ، وأرسلته للجريدة بالبريد العادى ونسيته ، وبعد أربعة أشهر تقريباً ، جاءنى بالبريد خطاب ضخم . فيه مقالة كبيرة جداً ، بخط الأنبا غريغوريوس نفسه . مكتوبة بعناية تامة وبخط واضح . وفيها رد على ما كتبته مع أنه لم يقابلنى ولم أقابله . ومازال الرد عندى أقول فى نفسى حين أراه : هذا من فعل رجل يريد نشر دينه ، قربى إلى الله : فأين من غيرته على دينه أصحاب الدين الصحيح ؟

ولِى صحبة طويلة بمكتبات النصارى ، وقد رأيتُ فيها يهود يتعلمون ، وهم كما رأيت لا يدلُّون على خير ، ولا يهدون إلى معرفة . أما النصارى فهم يدلون على خير ، ويهدون إلى معرفة ، ويتواضعون لزائريهم ، ويكرمونهم ويخدمونهم خدمة العبد للسيد . ويقدمون يد العون والمساعدة للمحتاج منهم ، ويقبلون النقاش فى الثقافة العامة وإذا واجهتهم بخطأ مّا يقولون : هذا مبلغ علمنا ، ثم يستحيون وينصرفون .

وقد ناقشونى كثيراً فى دين الإسلام . ورأيتُ من مناقشاتهم لى : أنهم يدرسونه على جميع المذاهب ، المندثرة والباقية . ويدرسون اللغة العربية دراسة موسعة ويحفظون قرآناً وسُنَناً وشِعْراً ونثراً وما رأيتُ منهم واحداً قد جفانى ، أو تبرم من كثرة ترددى عليهم .

وكنت إذا ذهبت إليهم فى الصباح ، يقابلوننى مقابلة حسنة ويدعوننى لتناول طعام الفطور معهم ، وأحياناً طعام الغداء .

وكان بعضهم إذا رآنى ، يمزحُ معى بقوله : لماذا أنت مُصرٌّ على امرأة واحدة ؟ محمد كان له تسع نساء . وآخر يقول : احذر أن تشتمنا فى الكتب اكتب ما نعتقده

فقط . خطأً أو صوّب على عادة الناس . نحن نُخطّى بعضنا بعضاً ، ولكن لا يشتم بعضنا بعضاً .

وأكثر طعونهم فى دين الإسلام هى فى الأحاديث النبوية ، وفى روايات أهل التصوف ، وهم يعتقدون : أن القرآن ليس من الله ولا من محمد ، وإنما هو من يهود ونصارى ألّفوه لمحمد ، ونسبه إلى نفسه ويستدلون على ذلك : بأن « ورقة بن نوفل » كان نصرانياً ويقرأ الكتاب بالعبرانى ويفسره بالعربية ، وكان ابن عم خديجة زوجة محمد ﷺ .

وبعضهم كان يناظرنى فى الدين على انفراد ، وبعضهم علانية .

وكانوا يعرفون عنى : أننى لا أبدأ بالنقاش ولا أريده ، فالكتب فيها كل شىء . لكنهم إذا أرادوا تسلية الوقت ، أو إذا أرادوا أن يعرفوا أن المسلمين هل يعرفون هذه المسألة أم لا ؟ ـ أى مسألة يظنون أن المسلمين لا يعرفونها ـ أو يريدون أن يمزحوا معى ، أو يتّفقون على إحراجى ، كانوا يبدأون المناقشة ، وكنت أسمع كلامهم كله وأدونه على الورق ، وبعدما يفرغون . أسأل : أنت تريد كذا ؟ فيجيب بنعم أو لا . فأردُّ .

وهكذا . بلا دَمْدمة ولا صخب ولا صياح . وأحيانا كنتُ أُساهى المتحدِّث . وأُلقى عليه سؤالاً يحرجه ، على طريق المزاح ، فيضحك ويقول : واحدة بواحدة .

وأذكر أنه فى يوم من الأيام : اتفق أكثر من خمسة طلاب على إحراجى بأسلوب لَبِق . ودخلوا إلى المكتبة واحداً بعد واحد ، واقتربوا منى . وسألنى أحدهم : هل قرأت ما جاء اليوم فى جريدة « النور الإسلامية » ؟ إن هذه الجريدة تتعرّض لنا . فقلت له : أُدخل فى الإسلام وتعرَّض أنت الآخر . فقال : أى إسلام ؟ فقلتُ له : ألا يعجبك الإسلام ؟ فسكت وسكتُّ . ومرت مدة تقرب من الساعة . ثم اقتربوا منى وقال أحدهم : لماذا سمح الله بتعدد الأديان ؟ هل هو يريد للناس أنْ يختلفوا ويقتتلوا ؟ فقلت له : لو كان دينك قبل دين اليهودية ، فهل كان اليهود يقبلونه ؟ فأجاب : لا . فقلت له : إذاً لايكون العيب فى تعدد الأديان ، بل فى الناس التى لا تطيع من أجل الحسد والكبْر ، لا من أجل الحق أو الباطل . فردّتْ طالبة كانت على قرب منا بقولها : والناس أيضاً هم الذين يُغيِّرون كلام الله ويبدلونه فيوقعون الناس فى الحيرة والاضطراب .

فالله برىء من الشرور التى تصيب الناس ، وهو لا يريدها . وكل الأنبياء ينهون عنها .
وقالت أخرى : العلماء هم سبب الشرور فى العالم ، لأنهم يكذبون ويغشون الناس .
فردتْ عليها بقولها : ليس كلهم . نحن علماؤنا ناصحون لنا ولا يكذبون ولا يغشون ،
وردَّ الطلاب بقولهم : نعم علماؤنا هم أهل الصدق . ولقد كانوا يقتلون ويصلبون من
أجل الصدق ، ولذلك صلح العالم بهم .

وتركتُ القلم من يدى ، وصرتُ أستمع إليهم ، وهم يشرحون دينهم ويُعَدِّدون مآثر
علمائهم . ولما هممتُ بالانصراف أريتهم آية فى سفر حَبَقُّوق تدل على أن الله لا
يموت . فعجبوا من قراءتها . لأنها تدل على نفى الموت عن الله ، وهم يقولون : إن الله
مات على الصليب . فلا يكون المسيح هو الله وفى هذه الحيرة قلت لهم : علماؤكم أو
علماء اليهود هم الذين كذبوا ؟ ولململتُ أوراقى وانصرفتُ .

لكنهم بحثوا وسألوا ورتَّبوا إجابة وأعدوها لى إذا لقونى . وقد أرتنى إياها الطالبتان
فيما بعد ، وهى أنه فى ترجمة من التراجم لا تموت بالتاء وفى ترجمة لا نموت ــ
بالنون ــ وأن الترجمة بالنون هى الصحيحة . وأجبتهما بأن الشك مع هذا ، لم يزل .

وعقائد النصارى فى قلوبهم تختلف أحياناً عما فى كتبهم والعقيدة الواحدة ،
المنصوص عليها فى كتبهم بألفاظ واحدة تختلف من طائفة إلى طائفة ولذلك لا يجب
الاعتماد فى تقرير مذاهبهم على الكتب وحدها ، وإنما على السماع من أفراد كثيرين
على انفراد من أهل الطائفة مع التلطف معهم غاية التلطف فى معرفة ذلك .

وطلاب العلم الدينى منهم عندهم حماس شديد لدينهم ، وحبٌ له ، لا يوصف
وهم فى نقاشهم أشداء وأصحاب غلبة ، وكنتُ أتركهم يتكلمون كثيراً ويفرغون من
صدورهم كل ما عندهم ثم أعدهم بالبحث فيما قالوا والمناقشة فيه ، وأذكر لهم مسألة
بسيطة من دينهم ولكنها كانت توقعهم فى حيرة شديدة حتى نلتقى مثل : تأليه الروح .
هل كان فى حياة المسيح أم فى سنة ٣٨١ م ؟ وهل المعمودية تكفى فى الخلاص من
الخطايا أم الخلاص قد تمَّ بدم المسيح ؟

أما الشيوخ فهم يريدون معرفة ما عندك أوّلا . وإذا وجدوا عندك خطأً مَّا سُرُّوا به ولم
يصلحوه ، وإذا سألتهم عن شىء يجيبون بالمشهور على الألسنة وإذا اجتمع منهم أكثر
من واحد ، ينظر بعضهم إلى بعض قبل الكلام فى الدين وأكثر الطوائف الدينية نشاطاً

فى العلم هم طائفة البروتستانت . فما من كتاب يظهر فى المكتبات إلا ويبادرون إلى شرائه ، وعمل ملخص عنه . وما من جريدة أو مجلة للمسلمين إلاّ وعندهم بما فيهما علم . ويقطعون الصفحات التى تهمهم ويصوورونها للطلاب ، ويطلبون منهم عمل أبحاث وردود عنها .

وهم يفرحون فرحاً عظيماً بالداخل فى دينهم من المسلمين أو من غيرهم ، ولكثرة ما لقوا من نفور المسلمين عن دينهم . هم آيسون من الصيْد فى بلادهم . ولذلك لا يضعون أموالاً فى شباك الصيد ، ليس لأنهم بخلاء ، بل لأنهم آيسون من دخول المسلمين فى دينهم .

ويضعون فى طريق التبشير بدينهم صَدَقة هى كلمة طيبة ، أو خدمة مرضى ، أو مواساة حزين ، أو تبرع بكتيِّب أو إهداء كتاب إلى غير ذلك مما يتقربون به إلى ربهم .

وهم لا يكرهون المسلمين ولا غير المسلمين . بمعنى أنهم لا يتقاعسون عن خدمتهم ، وذلك لقول المسيح « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم . لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين » يريد أن يقول : إن شمس الله يستفيد منها المؤمن والكافر ، ومطر الله يزرع به المؤمن أرضه والكافر ، والهواء يحيا به المؤمن والكافر . فلا تقولوا فى أنفسكم : نعطى الخير لمن هم على ديننا فقط ، لأن الله أعطى الخير لمن على دينه ، ولمن هم على غير دينه .

ورأيت عندهم اهتماماً عظيماً بتدريس اللغات القديمة مثل اللغة العبرانية القديمة والحديثة ، والآرامية ، واليونانية ، وكثيرون من الطلاب يعرفون كل هذه اللغات ، وإذا جاء وقت الصلاة ، ترك كل إنسان عمله وتوجَّه إلى الصلاة بلا وضوء ، ووقف خاشعاً متبتلاً ، حتى أنك لو آذيته بالكىِّ فى رأسه ، لا يحس بألم النار . ثم رجعوا إلى ما كانوا فيه . وكأنَّ شيئا لم يكن وإذا دخل عليهم رجل بطفل معه ، يحتفون بالطفل احتفاء عظيماً ، كاحتفائهم بنبى ويقدمون له الحلوى وأنواع اللعب ، ويمازحونه بالكلام . ويهدون إليه هدايا وهو منصرف عنهم ، ويطلبون منه أن يزورهم مرة أخرى .

وفى أكثر البلاد التى عشت فيها : رأيتُ عجائبَ . إذْ كان يدفعنى حب العلم إلى أن أعرف عوائدهم وعقائدهم وشعائر دينهم ، وكنتُ أقول فى نفسى : لو ظهر لهم

« المسيح » نفسه ونهاهم ، فإنهم لن ينتهوا لتمكُّن العادات من قلوبهم . وما رأيتهم متفقين على صلوات ومظاهر عبادة وذلك لأن دعاتهم فى الزمان القديم كانوا يدْعون الناس على ما هم عليه مِنْ قبْل الدعوة ، ويقولون لهم : إن ما أنتم عليه هو الذى ندعوكم إليه ، ولكنكم قوم تجهلون . ففى كنيسة من الكنائس رأيت صورة مجسَّمة للعذراء مريم بملابس بيضاء والناس يضعون نقوداً فى قطع من القماش ويربطون القطعة ربطاً محكماً ، ويلقونها أمام العذراء من فتحات فى حديد السور الذى يحيط بالعذراء ، ويتمتمون بكلام هِندى ، ويمسحون وجوههم وصدورهم بأيديهم وينصرفون .

وفى ذلك اليوم عينه التقيتُ بقسٍّ من نصارى الكنيسة الأشُّورية فى مكتب الأستاذ عمر أبو زِلاَم المحامى السورى فى الكويت وكان منظره بديعاً . إذ ملابسه تختلف عن ملابس أهل مصر . وعرَّفه بى الأستاذ عمر ، وعرَّفنى به .

فقال لى : اليوم قرأتُ مقالكم عن محمد فى التوراة والإنجيل فى جريدة الأنباء . وأنت حاولت محاولة مشكورة أن تقنع الناس به ، ولكن الإقناع غير تام . فقلت له : كيف ؟ فطلب نسخة من الكتاب المقدس ، وقال : هذا هو الكتاب المقدس ، فأخرجْ لى منه محمداً نبى الإسلام . ولم أخشَ حماسه ، ولا جرأته فى الكلام ، ولم يرهبنى رفع صوته .

ففتحتُ الكتاب على نصوص منها :

النص الأول :

١ ـ « ولما كان أبرامُ ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الربُّ لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير . سِرْ أمامى ، وكن كاملاً .

٢ ـ « وقال الله لإبراهيم : ساراىُ امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارةُ . وأباركُها ، وأُعطيك أيضاً منها ابناً ، أباركها ؛ فتكونُ أُمماً ، وملُوك وشعوب منها يكونون » .

٣ ـ « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أُباركه وأُثْمِرُه ، وأُكثِّره كثيراً جداً »

وجه الدليل : طلب الله من إبراهيم عليه السلام أن يسير أمامه بين الناس فى جميع

البلاد ، لدعوتهم إلى عبادته ، ومحو عبادة الأوثان . بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والقتال بالسيف . فرضى إبراهيم ، وطلب من الله أن يسير أمامه .

أ ـ نسل إسحق مدة من الزمان .

ب ـ ونسل إسماعيل مدة من الزمان .

وذلك لأن النسل الذى سيسير ، سيكون هو الرئيس على الناس ، وستكون له الإمامة فى الدين ، ورضى الله بأن يسير نسل إسحق مدة . تبدأ من موسى صاحب الشريعة ، وأن يسير نسل إسماعيل مدة . تبدأ من محمد صاحب الشريعة .

النص الثانى :

نبَّه موسى صاحب الشريعة على النبى الآتى مثله فى بنى إسماعيل بقوله : « يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك . مثلى له تسمعون »

وقال موسى عليه السلام : « ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى » فإذاً النبى الآتى لا يكون من بنى إسرائيل ، ويكون من إسماعيل ، لأن له بركة مثل بركة إسحق أخيه .

النص الثالث :

« قال النصارى : إن عيسى عليه السلام هو النبى المنبَّه عليه فى التوراة . وقد جاء ، وقال لليهود : إن زماننا هذا ، ليس هو زمان النبى الآتى فلذلك سوف أرتفع إلى السماء ، وأنزِل بعد حين فى الزمان المعدّ لظهور هذا النبى . فأنا هو ذلك النبى ، ولكن زمانى لم يَحِنْ بعد .

قال بطرس : « فتوبوا وارجعوا لتُمْحى خطاياكم ، لكن تأتى أوقات الفرج ، من وجه الرب ، ويرسل يسوعَ المسيح المُبَشَّرِ به لكم قبلُ . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر ، فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ، تُباد من الشّعْب » .

النص الرابع :

صرح المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأنه لن ينزل فى آخر الزمان . وذلك فى

قوله : « ولستُ أنا بـــعدُ فى العـــالم » [يوحنا ١٧ : ١١] .

فلو كان هو ذلك النبى ، كما ادَّعى بطرس ، لما نفى نزوله فى آخر الزمان فإذاً النبى الآتى هو محمد رسول الله ﷺ .

وبعدما فرغتُ من تلاوة مثل ذلك الكلام . أعدتُ قراءة نَصّ : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أُباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »

وقلت لهما : إن الله سمع دعاء إبراهيم فى أن يسير نسل إسماعيل أمام الله للدعاء إلى دينه ، ونبذ عبادة الأوثان .

قال القسيس : هذا صحيح ومن الممكن أن يسير نسل إسماعيل أمام الله بدون نبى يقودهم ، يسيرون تحت رئاسة بنى إسحق وذلك لأن العهد بالنبوة مع إبراهيم هو فى نسل إسحق وحده ، وهو الذى يسير أمام الله مع نبى قائد منهم هو موسى صاحب التوراة .

قلت له : تأمل الكلام . لو كان نسل إسحق هو الذى يسير وحده ، ونسل إسماعيل معه بالتبع ، ما كان يذكر إسماعيل بالسير أمامه بعد فترة من الزمان . إذْ لو كان سيره تبعاً لاسحق ، وتحت رئاسته ، لكان مساوياً لكل نسل إبراهيم ، ولم يكن من داع للتنصيص عليه ، فإن كل نسل إبراهيم كانوا يسيرون أمام الله ، تحت رئاسة نسل إسحق . إلى أن جاءت الرئاسة لإسماعيل فى شخص محمد ﷺ .

فقال : نقرأُ الكتاب ، وقرأ : « ولكنْ عهدى أُقيمه مع إسحق » فقلت له : ما المراد بالعهد ؟ قال : عهد النبوة . قلت : إلى يوم القيامة أم إلى مدة من الزمان ؟ قال : إلى يوم القيامة . فقلت له : لا . هو إلى مدة من الزمان ، إذا كان النص خالياً من الإشكالات . فقال : دعنا من الإشكالات وبيِّن كيف أنه إلى مدة من الزمان ؟

فقلتُ : إن يعقوب عليه السلام قال لبنيه : إنَّ الملك سيظلُّ معكم ، وستظل الشريعة معكم ، إلى أن يأتى النبى الموعود به ، الذى هو له الحكم . وهذا يدل على أن العهد محدد فى نسل إسحق إلى مجىء النبى الذى ستبدأ به البركة فى نسل إسماعيل ، كما بدأت بركة إسحق من موسى .

فقال : أرنى النص .

فأريته إياه . وهو : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » والمعنى : لا يزول الملك مِن اليهود القائمين ببركة إسحق ، ولا تزول الشريعة منهم وهى شريعة موسى حتى يأتى مَنْ تخضع له الشعوب من غيرهم .

قال الأشُّورى : إن العهد بالنبوة فى إسحق إلى الأبد ، والذى ستخضع له الشعوب هو يسوع المسيح .

قلت : إن ما بعد « حتىَّ » يلزم أن يكون مغايراً لما قبلها ، ولو أتى الملك فى المسيح يسوع ، لكان الملك بـه لم يزل مـن اليهود لأنه مـن اليهود ، ولا بد أن يـزول فـإذاً « شيلون » ليس هو المسيح يسوع .

قال الأستاذ عمر ـ وكان قد نظر فى الكتاب ـ : إن العهد محتمل للختان أيضاً . فقال القسيس : لا . هو ههنا عهد النبوة .

وقلت : إنه حَقّاً هو عهد النبوة . ولكنه مؤقت غير مُؤَبّد ، لأن نسل إسماعيل لابد أن يسير أمام الله باستقلال ، ويكون معه بنو إسحق بالتّبع ، كما سار بنو إسحق باستقلال من موسى ، وسار معهم بنو إسماعيل بالتبع

قال الأستاذ عمر : وهل تدل البركة على السير أمام الله ؟

قلت : نعم . إن البركة هى السير أمام الله ، لأنهم إذا ساروا يكون منهم ملوك على الشعوب التى غلبوها ودانوا بدينهم .

قال الأستاذ عمر : وأين النّص الذى يدل على ذلك ؟

فأريته : « وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها . وأعطيك أيضاً منها ابناً . أُباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون »

قال القسيس : الملوك من إسحق بن سارة لم يكونوا بسبب أنهم حاربوا لإدخال الشعوب فى دينهم ، بل لسبب طمعهم فى ثرواتهم وخيراتهم . أى لم يكن حربهم للسير أمام الله ، حتى يلزم أن يقال : إن الملوك منهم كانوا للتمكين لشريعة الله ،

فاليهود لم يسيروا أمام الله قط ، وشريعتهم لأنفسهم لا لكل الشعوب . والسير أمام الله يبدأ فى الشعوب من المسيح . فبركة إسحق تبدأ من المسيح وتظل إلى الأبد . هذا هو الحق الذى لامِرْية فيه .

فقلتِ له : اسمع . النصوص هى التى تظهر الحق . وأمامنا نصٌّ فى إسحق فلماذا جعلت بَدْءه من « المسيح » ؟

قال : لأن اليهود لم يدعوا الأمم إلى الله حتى مجىء المسيح .

فقلت له : لا . اليهود دعوا الأمم إلى الله على شريعة موسى إلى زمان سبى بابل . أى بدأوا فى السير أمام الله من موسى ، وحاربوا العمالقة ، وحارب داود وسليمان فى فلسطين ، ودخلوا الأرض المقدسة .

قال القسيس : إن الذى أعرفه هو أن السير أمام الله بدأ فى نسل إسحق من المسيح يسوع ، وسيظل إلى الأبد .

قلت له : كيف بدأ من « المسيح » ؟ إن توراة موسى التى لم ينسخها المسيح . أنتم نسختموها وأنتم لا تسيرون بها بين الأمم . فكيف تقول : إن السير أمام الله من نسل إسحق كله ، بدأ من مجىء يسوع المسيح ؟ كيف تسيرون أمام الله ؟ قل لى : كيف تسيرون أمام الله ؟ أنتم تدعون إلى أقانيم تجسُّد وأقانيم تعدُّد ، وهى تضاهى آلهة الوثنيين . وأنتم لا تدعون الناس إلى أن يعملوا بشريعة الله ، بل بما درجوا عليه ونشأوا . وهذا هو فعل الوثنيين فى ديارهم . فهل أنتم تسيرون أمام الله ؟ اسمع ما قاله داود عليه السلام لجالوت الفلسطينى ، لمَّا لعنه بآلهته : « أنا آتى إليك باسم رب الجنود ، إله صفوف إسرائيل ... لأن الحرب للرب . وهو يدفعكم لِيدنا »

قال الأشورى : أنت تنقم علينا أيها المصرى سيرنا إلى الله ، وما سيركم أنتم إليه بأفضل من سيرنا نحن . ها إن الشيعة وأهل السنة يقتتلان . إيران والعراق يقتتلان . فهل هذا هو السير أمام الله ؟

فقلت له : خلِّنا فى سير إبراهيم . ماذا يقول الكتاب عن سير إبراهيم ؟

يقول الكتاب : « ولما كان أَبْرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكُنْ كاملاً ، فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً » .

« لأنى أجعل أباً لجمهور من الأُمم وأُثمرك كثيراً جداً وأجعلك أُمماً ، وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك ، فى أجيالهم عهداً أبدياً »

فطلب الأستاذ عمر إعادة القراءة . ثم أبدى الملاحظة التالية :

إن العهد بالنبوة ليس مع إبراهيم وحده ، بل مع نسله أيضاً ، وهذا يدل على أن كل نسل إبراهيم دعاة إلى الله . نسل إسحق ونسل إسماعيل .

فقاطعه القسيس قائلاً : ليس هذا هو المشكل . المشكل هو فى من يقود كل نسل إبراهيم فى السير أمام الله ؟ من يقود كل نسل إبراهيم ؟ هل يقودهم نسل إسحق وحده ، والكل يخضع لرئاسته ؟ نحن نقول بهذا . والشيخ يقول : يقودهم نسل إسحق مدة من الزمان ويقودهم نسل إسماعيل مدة من الزمان . ونحن نمنع قيادة نسل إسماعيل . هذا هو المشكل .

فرد الأستاذ عمر بقوله : هل قيادة نسل إسحق لكل نسل إبراهيم للسير أمام الله يلزمها شريعة تكون فى النسل أم لا ؟ فقال القسيس : الثابت من الكتب : أن موسى صاحب شريعة . فقال الأستاذ عمر : إذاً لا بد من شريعة مع النسل القائد . فَهَبْ أيها القس : أن منزِّل الشريعة أراد تغييرها ، وهَبْ أنه أراد تغيير القادة ، لأنهم ظلموا فهل هذا يأباه العقل ويرفضه المنطق ؟

فقال القسيس : إن العقل لا يدخل فى هذا الأمر . وإن لنا شريعة تحكمنا فقال له : الشريعةُ تقولُ عُموم نسل إبراهيم . هذا حكم الشريعة . فلنبحث الآن عن إسماعيل . هل هو داخل فى نسل إبراهيم أم لا ؟ فأجاب : نحن نقر أنه من نسل إبراهيم .

فقال الأستاذ عمر : أنا سمعت من الشيخ الآن : أن إبراهيم طلب من الله أن يسير إسماعيل أمامه . واستجاب الله له . فلو كان السير فى نسل إبراهيم منحصراً فى نسل إسحق ، ونسل إسماعيل له بالتَّبع إلى يوم الدين ما كان الله يجعل لإسماعيل سيراً ولا بركة . وإذْ له سير وبركة ، فلا بدَّ أن يأتى اليوم الذى يكون فيه بنو إسحق تبعاً لبنى إسماعيل .

قال القسيس : اسمع يا أستاذ عمر . أنا أُوضح لك غرض الشيخ . إن غرض الشيخ هو :

١ ـ سار إبراهيم مع الله وحطَّم الأصنام ، ودعا إلى عبادته ، وعلَّم مكارم الأخلاق ،

وسار أبناؤه من بعده بسيرته لا فرق بين ولد وولد .

٢ ـ والعهد بالنبوة فى عموم نسل إبراهيم . مُخَصَّص فى إسحق وإسماعيل لنص التوراة على البركة فيهما فقط .

٣ ـ وقد أراد الله تعالى أن تقوم بركة إسحق أوّلا . وقامت على النحو التالى :

أظهر الله تعالى نبيه موسى من إسرائيل بن إسحق ، وأعطاه الشريعة ليسير بها بنو إسحق أمام الله . ويكون كل نسل إبراهيم تحت قيادة بنى إسرائيل .

فإذا فتحوا بلداً من البلاد يُمكنون للشريعة ، وتكون الملوك من بنى إسرائيل . والقضاة من بنى إسرائيل والأئمة من بنى إسرائيل . وكل بنى إبراهيم يكونون مرءوسين لبنى إسرائيل .

٤ ـ ثم بعد زمان طويل . يُظهر الله من بنى إسماعيل محمداً ، ويعطيه شريعة جديدة ، ليسير بها بنو إسماعيل أمام الله ، ويكون كل نسل إبراهيم تحت قيادة بنى إسماعيل . فإذا فتحوا بلداً من البلاد يُمكّنون للشريعة ، وتكون الملوك من بنى إسماعيل ، والقضاة من بنى إسماعيل ، والأئمة من بنى إسماعيل . وكل بنى إبراهيم يكونون مرؤوسين لبنى إسماعيل .

هذا هو غرض الشيخ . ثم التفت إلىّ قائلاً : أليس كذلك ؟

فأجبت بأنه هو غرضى بالتمام والكمال .

فقال الأستاذ عمر : لو كنا الآن فى أيام بركة إسحق ودخلنا مسجداً للصلاة فمن يكون الإمام ؟ أجاب القس : إذا كان فى المصلين يهودى من بنى لاوى . فإن الصلاة لا تجوز إلاّ بإمامته . وإذا لم يكن لاوِى . فأى واحد يصحُّ أن يكون إماماً .

فقال الأستاذ عمر : والآن نحنُ فى بركة إسماعيل ، ويؤم الناس أفضلهم سواء أكان من إسماعيل أو من الأمم . فلماذا لا تكون الإمامة للإسماعيلى ؟

فقال القس : لست أدرى .

فقلتُ : لأن التوراة نصّت على أن الدخول فى الشريعة الجديدة ، يُوجب المساواة بين جميع الداخلين . ونصُّ الإنجيل أيضاً فقد جاء فيه : « إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ : ٤٥ أش ٥٤ : ١٣] .

قال القسيس : الشريعة الجديدة هى شريعة المسيح ، لا شريعة الإسلام .

وكانت تعمل لدى الأستاذ عمرٍ فتاة شيعية أصلها من لبنان ، وكانت تميل إلى معرفة كل شيء . فما أن دخلت تخبره بقدوم زائرين ، حتى أمرها بأن تشهد هذا الحوار ، بعد أن تعتذر لهم عن عدم المقابلة . وجاءت وجلست . وفتح أبو زلام باب الحوار بالكلام فى العهد الدائم والمؤقت . وقال القسيس : إنه دائم فى بنى إسحق إلى الأبد .

وردَّ أبو زلام بقوله : دائم إلى الأبد أو دائم إلى مدة ، هذا لا تهم معرفته الآن . فالذى تهم معرفته الآن هو هل سيزول الملك من اليهود على يد « المسيح » أم لا ؟ قال القسيس : لا بدَّ من زواله على يد المسيح .

فقال أبو زلام : إن الملك لم يزل من اليهود على يد المسيح . بل إن المسيح لم يصرح بنقضه للناموس . وإذا كان المسيح هو النبى الآتى إلى العالم ، فإن الملك من اليهود يلزم أن يزول فى حالة ظهوره . كمدير مصلحة حكومية يعزل من إدارته ، ويتسلم غيره مكانه فى الحال . إذْ لو بقيت المصلحة مدة بلا مدير ، لاختلَّ نظامها ، واضطربت أحوالها . واليهود كان لهم الملك لإصلاح العالم ، فإذا زال منهم الملك ، وبقى العالم مدة ، بلا خلَف لهم فى الدعوة ، فإن نظام العالم يختل ، إذْ فى هذه المدة يكون قد توقف السير أمام الله فى نسل إبراهيم .

قال القسيس : الملك زال من اليهود من قبل المسيح بقرون ، وبقيت معهم الشريعة حتى ظهر المسيح فعمل بها ثم ألغاها .

فقلت له : الذى ألغاها هو بولس وبطرس ورفاقهما ، وليس المسيح نفسه . فرد بقوله : سيَّان أن يلغيها المسيح أو أحد أتباعه .

فقلت له : لا . ليس الأمر على السواء . والمسيح نفسه ليس من حقه إلغاؤها ، فكيف يلغيها أتباعه ؟

لقد قال موسى صاحب الشريعة : « إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ، تباد من الشَّعب » وعيسى ليس هو المماثل لموسى ، وذلك لأنه من بنى إسرائيل . وقد قال موسى : إنه لم يظهر مثلى من بنى إسرائيل .

قال القسيس : ذلك النبى هو المسيح يسوع ، وذلك لأنه من إخوة بنى إسرائيل والمثلية فى الشفقة على خلق الله ، فرددت عليه بقولى : إن قوله « من إخوتكم » ليس وصفاً وحيداً للنبى الآتى ، وإنما هو وصف من جملة أوصاف مجتمعة . لا بد أن تصدق كلها على النبى الآتى فلنمعن النظر فى جميع الأوصاف .

قالت الشيعية : إن وصف النبوة لا ينطبق على المسيح .

فأشار إليها أبو زلام بالسكوت . وقال : هو لا ينطبق وينطبق ، ينطبق على حسب اعتقاد المسلمين فيه ، ولا ينطبق على حسب اعتقاد النصارى فيه ، فردّت الشيعية وقالت : إن الأوصاف المحتملة تمنع من المناقشات ، لأنها لن تؤدى إلى الإقناع التام ، وهبّت واقفة لتنصرف .

فرجاها الأستاذ عمر أن تجلس ، فجلست وهى تقول لى : قد ضاع منك وَصْفان . فقال القسيس : ليس وصفان فقط ، بل كل الأوصاف .

فقلت : فلنتكلم فى المثلية . فقالت : كل الناس يشبه بعضهم بعضاً .

ووافق الأستاذ على قولها هو والقسيس . فقلتُ : لا ليس الأمر كذلك . لأن موسى نفسه حدد المثلية بالرئاسة والحروب والانتصار على الأعداء . وفضلاً عن ذلك فإنه قال : لن يظهر مثلى من بنى إسرائيل ، وإذْ المسيح لم يكن رئيساً على اليهود ولم يحارب ولم ينتصر . وكان من بنى إسرائيل ، فإنه لا يكون هو ذلك النبى .

قال القسيس : أنت الآن أظهرت مسألتين . الأولى : تحديد المثلية . والثانية : منع ظهور النبى الآتى من اليهود .

أما المسألة الأولى : فأسلّم به . وأما المسألة الثانية : فإننا يمكن أن نفسرها بأنه لم يظهر ذلك النبى حتى زمن الكاتب للتوراة ، ولكنه تفسير بعيد جداً .

فقال أبو زلام : اقتربنا الآن من محمد بن عبد الله . كيف تُسلّم بالمسألة الأولى ؟

فقال : إن المسيح لما ظهر قال : أنا ذلك النبى الآتى . ولكن ليس فى هذا الزمان . أنا هو . ولكن سأصعد إلى السماء ، وإذا جاء الزمان المعدُّ لذلك النبى ، فأنا سأنزلُ إلى الأرض . أنا هو . ولكن ليس فى هذا الزمان . وإذا نزل فإنه سيكون رئيساً ومحارباً ومنتصراً . فالمثلية المحددة صحيحة ، وهى منطبقة على المسيح فى مجيئه الثانى .

قال أبو زلام : هذا يعنى أن الملك لن يزول من بنى إسرائيل إلاّ فى مجيئه الثانى . ويعنى : أن الشريعة لا ينسخها إلا فى مجيئه الثانى . وقد نسختم الشريعة من قبل مجيئه الثانى ، فلماذا تعجلتم الأمور ؟ .

وقالت الفتاة : وهل إذا جاء مرة أخرى سيملك على اليهود ؟ هل ينزع الملك من اليهود ، ويرده إلى اليهود ؟ ويضيع الشريعة من اليهود ويردها إلى اليهود ؟ ما هذا ؟ هذا لا يعقَل .

قال القسيس : هذه أمور إلهية تدخل فى علم الله .

فقلت له : أنت تصرح بمجئ المسيح مرة ثانية ، والمسيح نفسه ينفى مجيئه مرة ثانية . فمن منكما نصدق ؟ لقد قال المسيح نفسه : « ولست أنا بعدُ فى العالم » وإذا نفى أنه لن يكون فى العالم بعدُ ، فإنه لا يكون هو النبى الآتـى .

قال أبو زلام : المسيح قال : « ولست أنا بعد فى العالم » ؟ هل قال ذلك حقاً ؟ .

قلت : نعم هو قال ذلك فى الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا .

قالت الفتاة : إلى هنا وأنصرف . نحن المسلمين نُقرُّ بنزوله . فَسُرَّ القسيس من قولها وقال : ونحن نقر بنزوله . فسألنى أبو زلام : هل القرآن يصرح بنزوله ؟ فقلت : لا . الأحاديث هى التى تصرح . فقال للفتاة : أنا قلتُ لكِ : اسكتى . ليس فى القرآن أنه سينزل ، والأحاديث فيه القوى وفيها الضعيف . أما قلتَ لك : اسكتى ولا تتكلمى .

فوجهت الفتاة نظرها نحو القسيس وقالت له : « ولستُ أنا بعد فى العالم » ينفى المجئ الثانى . فما هو دليلك على إثباته ؟

فأمسك القسيس بالكتاب المقدس ، وشرع يتلو من سفر الأعمال ما قاله بطرس لليهود . وهو أن المسيح يسوع هو النبى المنتظر ، وقد صعد إلى السماء متألماً بالقتل والصلب ، وسوف يعود إلى الأرض ليمارس وظيفته النبوية ، فيكون ملكاً ومشرعاً ومحارباً . كما قال موسى عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .

وبعدما فرغ من قراءة النص . قالت له : بطرس يقول ما لم يَقُلْه المسيح . فالمسيح أَصدَق . وبطرس يقول : إن عيسى رسول الله ، وأنت تقول : إنه إله مع الله . فبطرس

أصدق . أرجوك أعدْ قراءة النص . فقرأ : « والآن أيها الإخوة . أنا أعلمُ أنكم بجهالة عملتم ، كما رؤساؤكم أيضاً . وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه : أنْ يتألم المسيح قد تممه هكذا . فتوبوا وارجعوا ، لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويرسِلَ يسوعَ المسيحَ المبشَّرَ به لكم قبل . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شىء ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ، تباد من الشعْب . وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلّموا سبقوا ، وأنبأوا بهذه الأيام .

أنتم أبناء الأنبياء ، والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم : وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض » .

وكانت واقفة حال القراءة . ومتجهة ببصرها نحو الكتاب ، وبعدما فرغ من القراءة قالت : إن الله وعد نسل إبراهيم بأن تتبارك فيه جميع قبائل الأرض ، وقد جاء المسيح ثلاث سنوات وارتفع إلى السماوات . ولم تتحقق به بركة لإبراهيم فى جميع قبائل الأرض . فأىُّ فائدة من مجيئه ؟

فقال أبو زلام : من المؤكد أن النبى المشار إليه فى سفر التثنية ليس هو المسيح عيسى عليه السلام وقد يكون هو محمد ، أو نبى غيره .

فقال القسيس : يمنع من كونه محمداً نصوص العهد فى إسحق بالنبوة . فقال الأستاذ عمر : نصوص العهد لا تمنع ، لأن إسماعيل مبارك فيه .

ونظرتُ إلى الأشورى وقلت له : ما يزال الإشكال فى العهد . أليس كذلك ؟ فأجاب : بلى . إن النص صريح فى أن العهد مع إسحق إلى الأبد ، وليس مؤقتاً كما تدّعى .

ففتحتُ الكتاب على نص العهد . وقرأتُ : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتُك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه اسحق . وأُقيم عهدى معه عهداً أبدياً ، لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أُباركه ، وأُثمره ، وأُكثّره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلدُ ، وأجعله أمة كبيرة . ولكنْ عهدى

أُقيمه مع اسحق ، الذى تلده لك سارة ، فى هذا الوقت ، فى السنة الآتية » .

وقلت : إن العهد الأبدى لنسل إسحق هو إلى حين قيام بنى إسماعيل بالسير أمام الله . فيكون المعنى : « ولكن عهدى أُقيمه مع اسحق » من الآن ، إلى زمان قيام بنى إسماعيل بأعباء النبوة والشريعة ، وذلك لاستجابة الله لدعاء إبراهيم فى إسماعيل .

قالت الفتاة : تعنى أن هذا مثل رجل حضرته الوفاة ، وله ولد كبير ، وأولاد صغار . فيقول الرجل لابنه الكبير : وصيتى لك إلى الأبد أن تحفظ هؤلاء الصّغار . وغرضه بالأبد : إلى حين سن الرشد .

وعندئذ قال أبو زلام : أبى كان فقيهاً من فقهاء الشام . وكان عندهم يعدُّ من الرؤساء وحضرت له مجلساً كانوا يتناقشون فيه فى حديث نبوى هو « الأئمة من قريش » وسمعته قال لهم : إن حصر الإمامة فى قريش إذا كان منهم أحد أهلاً للإمامة فلو أن بلداً من البلاد مثل « أمريكا » ليس بها قرشى كفؤ للإمامة . فهل يعيش الناس فيها بلا رئيس ؟!

قال القسيس : إن لفظ « الأبد » يدل على بقاء نسل اسحق إلى يوم الدين .

فقلت له : إن لفظ « الأبد » قد أتى بمعنى المدة الموقوتة ، فى التوراة . والأبد ههنا فى العهد بمعنى المدة الموقوتة . والدليل على ذلك :

١ ـ تصريحه بالبركة فى نسل إسماعيل . إذ لو لم يكن له سير ، وعهد ، لكان قد حرمه من البركة .

٢ ـ تصريح إسرائيل بزوال الملك والشريعة من نسله ، وهذا يدل على عدم دوام العهد فى نسل اسحق ، لأن بنى إسرائيل هم القائمون به .

٣ ـ جاء فى قصة العبد المؤبد أنه يبقى بعد ثقب أذنه عبداً إلى الأبد . وحدد الأبد بسنة اليوبيل ، لا بموت العبد .

وهنا طلبت الشيعية شرح هذه القصة . وقال القسيس : لا داعى . أنا أعرفها .

وقال أبو زلام : الوقت طويل . فلنسمعها .

« إذا اشتريت عبداً عِبرانياً ، فستَّ سِنين يخدِم ، وفى السابعة يخرجُ حراً مجاناً . إن

دخل وحده ، فوحده يخرج . إن كان بعل امرأة ، تخرج امرأته معه ، إن أعطاه سيده امرأة ، وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده . ولكن إن قال العبد : أحبُّ سيدى وامرأتى وأولادى ، لا أخرج حراً ، يقدمه سيده إلى الله ، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ، ويثقب أذنه بالمثقب . فيخدمه إلى الأبد » .

وفى سفر اللاويين : « وتقدسون السنة الخمسين ، وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها . تكون لكم يوبيلاً ، وترجعون كلٌ إلى مُلكه ، وتعودون كُلٌ إلى عشيرته » .

فقوله « فيخدم إلى الأبد » محدد إلى السنة الخمسين . ولو كان العهد فى إسحق إلى الأبد . لما نص على سير وبركة فى إسماعيل .

قال أبو زِلاَم : إن نص سفر الخروج يستحقُ منّا وَقْفة أمامه . لاحظوا : « فالمرأة وأولادها يكونون لسيده » أى أن العبد يخرج وحده ، ويترك لليهودى امرأته وأولاده منها ، لينسبوا إليه ، وليعملوا له ، وليعطوه . وأبوهم لا يُطعَم من كدّهم فى وقت شيخوخته وعوَزه .

قلت : هذا الحكم نُسخ فى شريعة القرآن بقوله تعالى : ﴿ **ادعُوهُم لآبائهم هو أقسطُ عند الله فإنْ لم تعلمُوا آباءهم ، فإخوانكُم فى الدين ومواليكُمْ** ﴾ (الأحزاب : ٥) لقد قال : ﴿ **ادعُوهم لآبائهِمْ** ﴾ ولم يقل إلى أسيادهم .

قال القسيس : لسنا الآن فى أحكام القرآن . نحن فى العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم فى نسله . وأنت لم تحسن القول فى العهد الأبدى . وذلك لأن النص يقول : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك » .

هذا هو الطلب . فأين هو القبول ؟ إبراهيم طلبَ . والله لم يستجب لإبراهيم . وذلك لأنه لما قال لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك ، ردَّ الله بقوله : « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه إسحق ، وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً ، لنسله من بعده » فكأن الله يقول لإبراهيم : لا .لن يعيش أمامى . وإنما الذى سيعيش هو نسل إسحق . فيكون الذى يدعو إلى الله إلى الأبد هم نسل إسحق . فتكون الملوك والأنبياء من نسل إسحق . والله لم يستجب لإبراهيم فى إسماعيل .

قال أبو زِلام : هذا صحيح إذا لم يقُل بعدُ : « وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أُباركه » وإذْ قد قال : أنا سمعت لك فى إسماعيل بأن يعيش أمامى ، فلا بد من

البحث عن تأويل « بل سارة امرأتك ... » وإلاَّ يلزم التناقض . وإذا ثبت التناقض ثبت أن اليهود قد حرَّفوا النص . ووضعوا « بل سارة امرأتك ... » بجانب الحق وهو « وأما إسماعيل فقد سمعت لــك فيــه ... » ليلغزوا المعنى .

قال الأشورى : ليس من تناقض ، وليس من إلغاز معنى . وذلك لأن إبراهيم يطلب الملك والنبوة فى نسل إسماعيل ، لأنه سمع من ملاك الرب : أن الله سيعطى نسل إسحق ملكاً ونبوة . فالله تعالى فرَّق بين الملك والنبوة ، وقال لإبراهيم : إن الملك والنبوة فى إسحق ، والملك فقط فى إسماعيل . وبذلك يجمع بين الكلام .

قالت الشيعية : هذا توفيق غير مجزى . لأن إبراهيم يطلب أن يسير نسل إسماعيل أمام الله . فلا بُدَّ أن يسير أوَّلا . وإذا سار . فلا بُدَّ أن يسير بشريعة . وإذا سار بشريعة يلزم أن تكون من نبى ، وهذا النبى يلزم أن يكون من إسماعيل .

قال القسيس : كل هذا ليس بلازم . إذ من الممكن أن يسيروا بسير إبراهيم ، ومن الممكن أن يسيروا بشريعة موسى . وإذا فتحوا بلداً . نصبُّوا عليها ملَكا منهم . فالله لم يمنع الملك فى إسماعيل ، وإنما منع النبوة . وهذا هو معنى أن العَهد أبدى فى نسل إسحق .

قلتُ : لو كان الأمر كما تقول ، لما حصر الله البركة فى إسحق وإسماعيل ، وما كان ينصُّ على بركة لإسماعيل ، وكان يجعله تابعاً لإسحق إلى الأبد ، كأولاد إبراهيم من قَطورة ، الذين هم : زِمران ، ويقْشان ، ومَدَان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحاً . ففى الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكـوين : « وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم ، فأعطاهم إبراهيم عطايا ، وصرفهم عن إسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق ، وهو بعد حىٌّ » .. وفى القرآن الكريم عن إسماعيل وإسحق : ﴿ **وباركنا عليه ، وعلى إسحقَ** ﴾ (الصافات : ١١٣)

قال أبو زلام : إذاً ههنا تحريف ؟ .

قلت : نعم . هنا لبْس للحق بالباطل . الحق هو : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه .. » والباطل هو : « بل سارة امرأتك .. » .

قال القسيس : نحن خرجنا عن الموضوع . التوراة لم تُحرَّف . القرآن هو الذى قال : إنها محرفة ، أما هى فلم تحرف .

قال أبو زلام : نحن ما تطرقنا إلى إثبات تحريف أو منع تحريف . نحن نحاول إزالة التناقض فقط . اهدأ . اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .

قالت الفتاة : كلُّ الناس يتناقشون للوصول إلى الحقيقة . وأنا سعيدة جداً بحضور هذه المناقشة . وقال أبو زلام : أنا الآن خطر فى بالى خاطر . وهو لو لم تكن هذه الآية فى التوراة ، لكان النص عن النبى الآتى ، ظاهراً فى محمد .

قالت الفتاة : أى آية ؟ قال : آية : « فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً ، لنسله من بعده » [تك ١٧ : ١٩] .

هذه الآية هى التى تمنع دلالة النص بوضوح على محمد .

قالت الفتاة : ليسمح الشيخ ، أو القسيس بذكر كل الأوصاف عن النبى الآتى .

قال القسيس : إن النبى الآتى هو يسوع المسيح . وحتى لو كانت الأوصاف كلها تدل على محمد ، فإن « بل سارة امرأتك .. » تمنع من أن يكون هو .

قلت له : لا تمنع ، فالباطل لا يقف فى وجه الحق .

فقال أبو زلام : لا تقل باطل . إلا إذا ثبت البطلان . الآن لا نثبت بطلان قل ما عندك فقط ، وهو يقول ما عنده . ونحن نسمع .

فقلت : إن موسى هو والمشايخ السبعون رأوا رُعباً ، لما تجلّى لهم مجد الله . رأوا ناراً ودخاناً . ولذلك قالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ، فليكلمنا عن طريقك ، ونحن نسمع ونطيع . فقال الله لموسى : لن أكلمهم مرة أخرى ، إلاّ عن طريق نبى من بين إخوتهم ، لا منهم . ولو كان هذا النبى من بنى إسحق — الذى يحمل بركته بنو إسرائيل — لما كان يقول : من بين إخوتهم ، وكان يقول : منهم . وهذا يدل على أن الله قد استجاب دعاء إبراهيم فى إسماعيل ، وتكون : « بل سارة امرأتك .. » محشورة للبس الحق بالباطل .

وأعطيت الكتاب لأبى زِلام ، مفتوحاً على الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية فقرأ :

« يُقيم لك الرب إلهك : نبياً من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب

كل ما طلبت من الرب إلهك فى حُوريب ، يَوْم الاجتماع قائلاً : لا أعودُ أسمعُ صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً ، لئلا أموت . قال لي الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أُقيمُ لهم : نبياً من وسط إخوتهم . مثلك وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أُطالبه . وأما النبى الذى يطغى ، فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلّم به ، أو الذى يتكلمُ باسم آلهة أخرى ، فيموتُ ذلك النبى .

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرفُ الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يَحدُث ولم يَصرْ ، فهو الكلامُ الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلّم به النبى . فلا تخف منه »

وسألت الفتاة القسيس : هذا النبى هو المسيح ؟ وأجاب : بلَى ، هذا النبى هو يسوع المسيح .

قلت : نمنع نحن المسلمين أن يكون هذا النبى من اليهود . وذلك لقوله فى آخر التوراة : « ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل . مثل موسى ، الذى عرفه الرب وجهاً لوجه . فى جميع الآيات والعجائب ، التى أرسله الرب ، ليعملها فى أرض مصر ، بفرعون وبجميع عبيده ، وكل أرضه وفى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل »

ما وجه المنع ؟ قال القسيس .

قلت : إن وجه المنع : هو قوله فى أوصاف النبى الآتى : إنه مثل موسى فى :

١ ــ المعجزات أمام الأجانب .

٢ ــ وفى الحروب والانتصار على الأعداء .

٣ ــ وفى عمل ما يخيف قومه منه ويجعله رئيساً عليهم . ويسوع المسيح على جهة الخصوص لم يحارب ولم ينتصر ، ولم يكن رئيساً وترك الدنيا وقال : لن آتى .

قال القسيس : نقرأُ أول سفر أعمال الرسل ، وفتح الكتاب وتلا : « الكلام الأول أنشأتُه يا ثاُو فيلُس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ، ويُعلّم به ، إلى اليوم الذى ارتفع فيه ، بعدما أوصى بالروح القدس ، الذين اختارهم ، الذين أراهم أيضاً نفسه حيّاً

ببراهين كثيرة ، بعدما تألّم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله .

وفيما هو مجتمع معهم ، أوصاهم أن لا يبرحوا من أُورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب ، الذى سمعتموه منى . لآن يوحنا عَمَّد بالماء ، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير .

أمّا هم المجتمعون فسألوه قائلين : يا ربُّ هل فى هذا الوقت تردُّ الملك إلى إسرائيل ؟

فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات ، التى جعلها الآب فى سلطانه . لكنكم ستنالون قوة ، متى حلَّ الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهوداً ، فى أُورشليم ، وفى كل اليهودية ، والسامرة وإلى أقصى الأرض .

ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون . وأخذته سحابة عن أعينهم .

وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق ، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض ، وقالا : أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء ؟ إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء ، سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء »

وطوى الكتاب وقال : إن يسوع قال : سينزل الروح القدس بعد قليل بعد عشرة أيام . وهذا هو موعد الآب وهو أن يرسل الله « المُعزى الروح القدس » ليعلِّم ويذكِّر ويبكِّت ويوبِّخ على الخطايا .

ولما قال هذا القول ، قال له المجتمعون : فى حين إرسال الله للمعزى الروح القدس هل سيرد الملك إلى إسرائيل ؟ فأجاب : بأن الله وحده هو الذى يعرف متى يردُّ الملك إلى إسرائيل .

وارتفع إلى السماء .

وهذا يدل على أنَّ النبى الآتى هو يسوع فى المجىء الثانى ، وأنه سيرد الملك إلى إسرائيل .

فقال أبو زلام : المسيح لم يصرح بأنه سيجىء .

فقالت الفتاة : بل صرَّح .

فقال أبو زلام : ههنا لم يصرح . الذى صرَّح هو الكاتب . وأشار إلى القسيس بقوله « المُلْهم » وقال : الكاتب الملهم يقول : إن رجلين هما اللذان قالا بأنه سينزل . أما المسيح فلم يقل .

فقال القسيس : هما ملكان من ملائكة الله .

وهنا هبَّت الشيعية واقفة ، وقالت : هذا الكلام مُمْتعٌ سَماعُه وإنى لأرجو أن يتم فى الليلة التالية لأنه قد أمسى المساء . وأدّت صلاة العِشاء . وحيَّت وانصرفت .

أما القسيس فتشاور معى أنا وأبو زلام ، على كتابة هذا الحوار من جهاز التسجيل لدراسته دراسة جيدة . ثم نكمله فيما بعد ، وانصرف كل منا إلى حال سبيله .

وكتب كل منا ما تذكَّره على انفراد ، ثم اتفقنا على هذه الصياغة وأخذ كل منا صورة منها .

وقابلنى الأستاذ أبو زلام بعدها بأعوام فى « القاهرة » وكان قد أتى إليها بدعوة من اتحاد المحامين العرب وأقام فى فندق « شيراتون ـ رمسيس » وتطرَّق الحديث إلى محاورة القسيس الأشُّورى . فقال أبو زلام : إنها كانت مفيدة . وهى ما دلت على نبوة محمد ، كما كان الغرض منها ، وإنما دلتْ على نبى سيظهر من آل إسماعيل . فإننا لم نعثر على اسم محمد فى التوراة . وقد عثرت على مخطوطة قديمة للتوراة بخط أحد البابوات ، وقرأتُها كلها ، وما وجدت فيها اسمه . فالنصوص تدل على نبى . قد يكون محمداً ، وقد يكون غيره فهل أنت عثرت على اسمه ؟

فقلت : إن الربانيين والأحبار الذين أسلموا من اليهود ، والقساوسة والرهبان الذين أسلموا من النصارى قالوا : إن اسم محمد موجود فى التوراة بحساب الجُمَّل هكذا :

« وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أُباركه ، وأُثْمِرُه ، وأُكَثِّرُه كثيراً جداً » كثيراً جداً هى بالعبرانية « بماد ماد » والباء باثنتين ، والميم بأَربعين ، والألف بواحد ، والدال بأربعة ، والميم الثانية بأربعين ، والألف بواحد ، والدال بأربعة . فيكون الحاصل : اثنان وتسعون ، ومحمد حاصله : اثنان وتسعون . فالميمان بثمانين ، والحاء بثمانية ، والدال بأربعة .

وعيسى عليه السلام ـ طبقاً لإنجيل برْنابا ـ نطق اسم محمد لليهود كتفسير لاسمه

بحساب الجُمَّل . وذلك فى قوله : « يا محمد ليكُنْ الله معك ، وليجعلنى أهلاً أن أحُلَّ سير حذائك » [بر ٤٤ : ٣٠] .

قال أبو زلام : أنا لما تحيرت فى أنه قد يكون محمداً ، وقد يكون غيره . قلت : إن المعجزات التى صنعها تدل على نبوته .

فرددتُ عليه بأن من أوصافه : « وأجعل كلامى فى فمه » أى يكون نبياً أُمّيا لا يقرأ ولا يكتب . وقد كان كذلك ، ونطق بعلوم فى القرآن لا يقدر على معرفتها غير الراسخين فى العلم .

ومن أوصافه التى دلت عليه فى زمان ظهوره : هو أنه ظهر من فاران ، وسار أتباعه إلى أورشليم وهم نحو عشرة آلاف من الصحابة الأشداء . تحقيقاً لنبوءة عنه فى توراة موسى عليه السلام .

قال أبو زلام : أنا ما معى الآن نسخة من التوراة . فقلت له : أنا أحكى لك وأنت تطابق المحكى فيما بعد .

أ ـ فى سفر التكوين : « وكان الله مع الغلام فكبُر . وسكن فى البريَّة . وكان ينمو راعِىَ قوْس ، وسكن فى برِّية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » [تك ٢١ : ٢٠ ـ ٢١] .

هذا يدل على أن إسماعيل سكن فى برية فاران . وهى أرض مكة المكرمة

ب ـ « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حُبلى فتلدين ابناً ، وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلَّتك ، وإنه يكون إنساناً وحْشياً ، يدُه على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن » [تك ١٦ : ١١ ـ ١٢]

هذا يدل على أن نسل إسماعيل يسكنون أمام جميع نسل إسحق . ونسلُ إسحق كان يسكن فى شمال مكة ، جهة الأردن وسيناء وفلسطين ، ونسل إسماعيل كان يسكن فى مقابلهم من أسفل منهم وكلهم إخوة ، لأنهم من أب واحد ، هو إبراهيم عليه السلام .

إذا علمت هذا ، فاعلم : أن كاتب التوراة حكى عن موسى عليه السلام : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل ، قبل موته . فقال : جاء الرب

من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربْوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحبَّ الشّعْب . جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك ، يتقبّلون من أقوالك »

هذا هو وصف ظاهر فى نبوة محمد ﷺ فى حال ظهوره . وهو أن قوله : « وأتى من ربوات القدس » معناه : أن النبى الآتى من فاران ، سيأتى إلى الأرض المقدسة ، ومعه ربْوات من الناس الطاهرين . فنائبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ أتى إلى فلسطين ، وكان الأتباع ربوات من الناس .

والبركة مقسّمة بين سيناء . وهى إشارة إلى شريعة موسى . وهو النبى الذى أتى من إسحق ، وبدأتْ به بركة بنى إسحق فى الأمم . وعند ساعير كان علماء بنى إسرائيل يفسرون التوراة . وبين فاران . وهى إشارة إلى شريعة محمد . وهو النبى الذى أتى من إسماعيل ، وبدأت به بركة بنى إسماعيل فى الأمم . وههنا الكاتب يقول : إن بنى فاران سيأتى مع ربوات مقدسين مع الشريعة ، وسيمكن لها بالحرب . المعبر عنها بالنار . وبنى فاران سيحبُّ الشعبِ اليهودى ، وسيرفع عنه الإصر والأغلال ، وسيحب جميع الشعوب ، فيزكّيهم ويُعلمهم . وبنى فاران جميعُ أتباعه الطاهرين فى يده ، كناية عن خضوعهم لرئاسته ، خضوعاً تاماً . ويجلسون بأدب واحترام عنده ليسمعوا كلامه ، ويعملون به . والقرآن يحلُّ محله .

وقد تم هذا فى حينه .

قال أبو زلام : إنه قال : « وأتى من ربوات القدس » ولم يقل : وأتى مع ربوات من الناس القديسين .

قلت له : فى الترجمة اليونانية : « وأتى مع عشرة آلاف قديس » والربوة هى فى لغة التوراة : عشرة آلاف .

قال : ولماذا لا يؤمن اليهود بمحمد ؟ كان يجب أن يفرحوا به ، لأنه رفع عنهم تشديدات التوراة .

قلت : إن موسى عليه السلام وصفهم بالأمة الغبية ، التى لا تفهم . فقال : « إنهم أُمّة عديمة الرأى ، ولا بصيرة فيهم » [تث ٣٢ :٢٨] وقال : إن أمة أُمية ستخلفهم فى قيادة الأمم إلى الله ، وقال : إنهم سيهلكون هلاكا رديًا . ففى سفر التثنية : « فرأى

الربُّ ، ورذل من الغيظ بنيه وبناته . وقال : أحجبُ وجهى عنهم ، وأنظرُ ماذا تكون آخرتهم . إنهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم . هم أغارونى بما ليس إلهاً . أغاظونى بأباطيلهم . فأنا أُغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة غبية أُغيظهم ، إنه قد اشتعلت نار بغضبى ، فتتّقد إلى الهاوية السُّفلى ، وتأكل الأرض وغلّتها وتحرق أسس الجبال ، أجمعُ عليهم شروراً ، وأنفذ سهامى فيهم . إذ هم خاوون من جوع ومنهوكون من حمّى وداء سام ، أُرسل فيهم أنياب الوحوش ، مع حمَة زواحف الأرض من خارج السيف يثكل ، ومن داخل الخدور ، الرُّعبة ، الفتى مع الفتاة . والرضيع مع الأشيب . قلتُ : أُبددهم إلى الزوايا ، وأُبطل من الناس ذكراهم » [تث ٣٢ : ١٩]

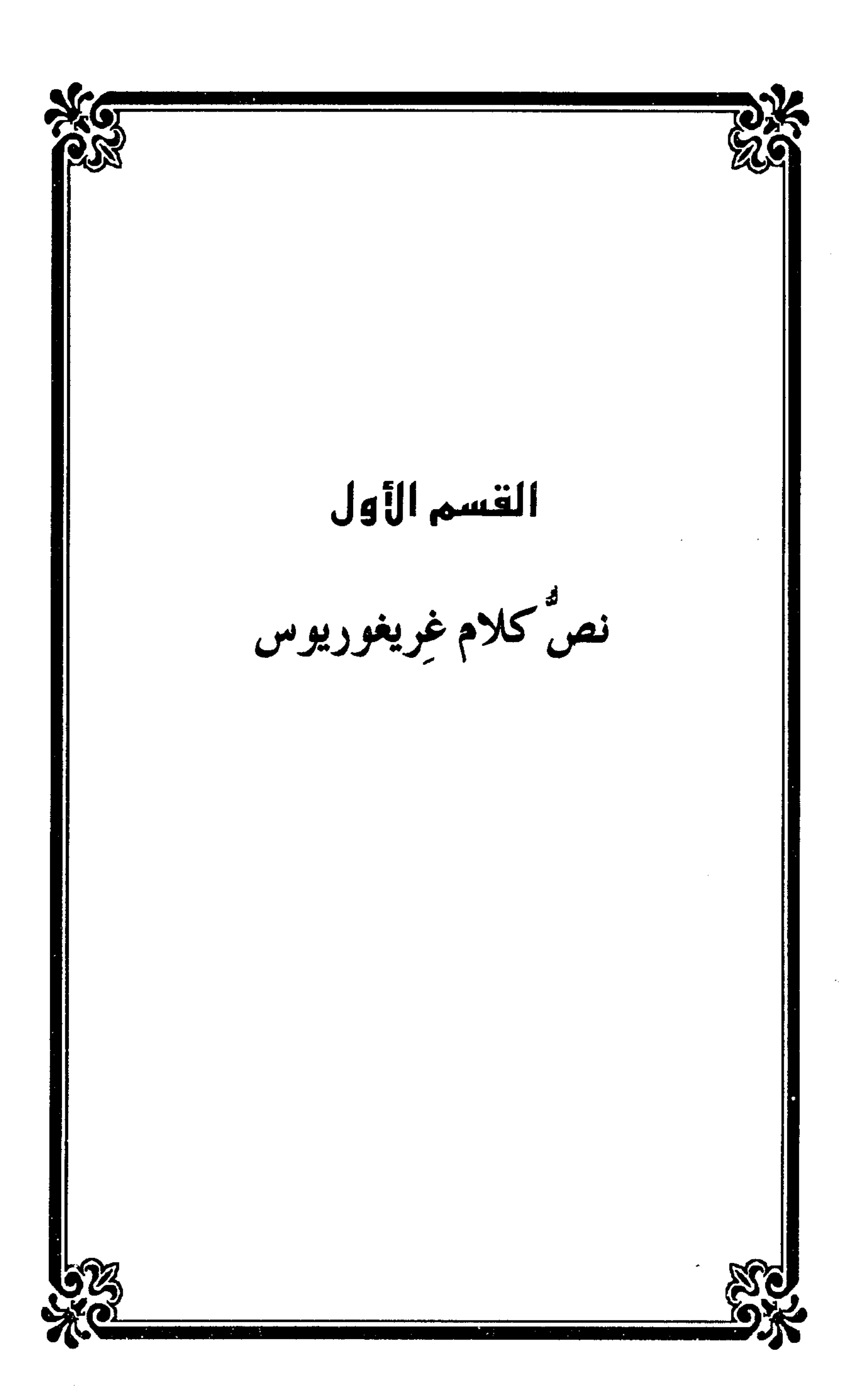
هذا نموذج مما تمَّ وحصل . قد ذكرتُه للتاريخ . ولو طال بنا العمر ، لأظهرنا كثيراً مما كان بإذن الله وعونه .

والله نسألُ أن يوفقنا لخدمة العلم والدين

د / أحمد حجازى السقا

ميت طريف / دقهلية

فى ١ / ٨ / ١٩٩٢



القسم الأول

نصُّ كلام غِريغوريوس

أولاً : من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام

لعله[1] مما يخدمُ قضية الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين ، وهم أبناء بلد واحد ، مصر الحبيبة ذات الحضارة التليدة بل منبع الحضارات ، وملتقى الديانات ، أن يتبين أبناء هذا البلد ، الأمور التي تجمع بينهم ، روحياً وعقائدياً ، مما يدعم المحبة بينهم ، ويوطد وشائج المودة ، ويقوِّى أواصر الوحدة ، فيجعل منهم أمة لا تُدحر ، صلبة لا تقهر .

ليست هذه دعوة إلى نبذ الخصائص المميزة للإسلام أو للمسيحية ، ولا هى مناداة بنوع من الميوعة الدينية العقائدية ، معاذ الله ! فما قصدنا إلى شيء من هذا !

إنّما جُلُّ قصدنا أن نهدىء من حرارة حمّى الخلافات العقائدية بين الإسلام والمسيحية ، حتى لا يتصاعد منها بخار خانق لمحبّتنا ، ونحن أبناء عائلة واحدة ، ويتحول إلى غمام قاتم يحجب رؤيتنا لما يجمع بيننا فى الواقع فى أصول واحدة مشتركة عزيزة على جميعنا .

أفهل هناك من شك فى أنّ المسيحية والإسلام تدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد ، الذى لم يكن له كفواً أحد ، والذى ليس كمثله شيء ، السميع ، البصير ، الغفور ، الرحمن ، الرحيم ، القوى ، العزيز ، رب العرش الكريم ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ؟ وأنّهما تأمران بالخير والمعروف وإقامة الصلاة ، وتنهيان عن الفحشاء والمنكر والبغى والإثم والعدوان ؟

أليس الإسلام والمسيحية يأمران بإكرام الوالدين ويناديان أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ؟

---

(١) نشر بمجلة (الهلال) في عدد يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٨٠ ، وبجريدة (وطني) صباح الأحد ٩ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٨٠ ـ ٣٠ من أمشير لسنة ١٦٩٦ . وفي جريدة الجمهورية ابتداء من ١٥ / ٦ / ١٩٩٢ .

ألا يدعو دين المسيح ودين محمد بالنهى عن القتل والزنى والسرقة والكذب وشهادة الزور وأن لا يجعل المؤمنون الله عرضة لأيمانهم ؟

ألا يأمر الدين الإسلامى والدين المسيحى المؤمنين أن اركعوا واسجدوا واعبدوا وافعلوا الخير ، وأن يقضوا بالحق ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ؟

ألا يتفق الدين المسيحى مع الدين الإسلامى على أنّ متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، والدار الآخرة خير للذين يتقون ، وأنّ المتقين هم أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، وأنّ الآخرة هى دار القرار ، وأنّ الآخرة خير وأبقى ؟

فى كل أولئك يلتقى المسلمون والمسيحيون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويرجون الله واليوم الآخر .

والمعروف أنَّ الاسلام دين توحيد . والدعوة الإسلامية دعوة للإيمان بالله الواحد ، وعبادته ، وعدم الإشراك به . وما أكثر النصوص القرآنية التى تدعو إلى التوحيد صراحة ، وتضميناً :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » (١٦٣ : البقرة ٢)

« إنما الله إله واحد » (١٧١ : النساء ٤)

« وما من إله إلاّ إله واحد » (٧٣ : المائدة ٥)

« قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » (١٩ : الانعام ٦)

« قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » (١٦ : الرعد ١٣)

« وليعلموا أنما هو إله واحد » (٥٢ : إبراهيم ١٤)

« إلهكم إله واحد » (٢٢ : النحل ١٦)

« وقال الله لا تتّخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » (٥١ : النحل ١٦)

« إنما إلهكم إله واحد » (١١٠ : الكهف ١٨) ـ (١٠٨ : الأنبياء ٢١) ـ (٦ : فصلت ٤١)

« فإلهكم إله واحد » (٣٤ : الحج ٢٢)

« إنّ إلهكم لواحد . ربّ السموات والأرض وما بينهما » (٤ : الصافات ٣٧)

« وما من إله إلاّ الله الواحد القهار » (٦٥ : ص ٣٨)

« سبحانه هو الله الواحد القهار » (٤ : الزمر ٣٩)

« لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (١٦ : غافر ٤٠)

« قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحداً »

(١٣٣ : البقرة ٢)

« وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو » (٣١ : التوبة ٩) .

كذلك المسيحية دين توحيد

فقانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه فى كل خدمة دينية وفى كل قدّاس ، وفى كلّ صلاة من الصلوات اليومية ، باكراً ونهاراً وعشية ، ويرنّمونه ترنيماً ، منذ القديم ، واليوم ، وإلى الأبد يقولون فى مطلعه « بالحقيقة نؤمن بإله واحد » .

والمسيحيون [١] يؤمنون وينادون بأنّ الله واحد ، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً ، ويقولون : إذا كان هناك إله آخر غير الله ، فما عمل هذا الآخر ؟ وما هو اختصاصه ؟ لأنه مادام الله غير محدود وغير متناه ، فلا مجال لإله آخر ، لأنّ وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة اللانهائية واللامحدودية فى الله .. فإنه طال ما أنّ الله يتصف باللانهائية واللامحدودية ، فوجوده إذن يملأ كل مكان ، ولا يخلو منه مكان .. فكيف ، ولماذا ، وأين يوجد الإله الآخر ؟ وهل هذا الآخر هو فى الكون أم خارج الكون ؟ فإذا كان فى الكون ، فهل هو فى كل مكان فى الكون ، أم فى مكان دون مكان ؟ فإذا كان فى كل مكان ، فهو شريك مع الله فى وجوده .. وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر .. فإذا كان الآخر كائناً فى مكان دون مكان ،

---

(١) أول المقالة الثانية فى جريدة الجمهورية إلى قوله الله وليس آخر ليس إله غيره إشعياء ٤٥ : ١٤ وكنا نرد على كل مقالة فى يومها على حدة بدون التفات إلى ما قبلها . فلذلك حدث تكرير ولكنه مفيد .

فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدوداً فى المكان ، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان .

ثم لمّا كان الله قادراً على كل شىء ، فلماذا يكون ثمت إله آخر ؟ وما هو إذن عمل هذا الآخر ؟ .. هل يأخذ هذا الآخر شيئاً من اختصاص الله ؟ .. لو كان الأمر كذلك لترتب عليه أن يكون الله غير قادر على كل شىء ، أو يكون قادراً على أشياء دون أشياء ، لأن هذه الأشياء تدخل فى اختصاص الإله الآخر المزعوم ..

وهكذا يمكنٍ منطقياً وعقلياً رفض القول بأكثر من إله واحد .. واعتباره محالاً لا يقبله العقل ولا يسيغه .

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية إلى الوثنيين قديماً ، يُثبتون لهم بالدليل العقلى أنّ الله واحد ، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً ، وأنّ القول بأكثر من إله أمر لا يقبله العقل .. وكان لابدّ لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد ، بالدليل العقلى والمنطقى ، ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة ، لأنّ الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة .

وقال المسيحيون إنّ (الواحد) هو أصل الوجود ، عليه يقوم كل شىء ، وإليه يرتد كل شىء ، ومنه يتركب ويتكون كُلُّ الوجود .. ولا يوجد قبل (الواحد) شىء فهو الأصل ، أو هو أصل الوجود .. وإذن فالواحد هو الله ، والله واحد ، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً ، ولا يوجد غير إله واحد .

وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين أدلة أخرى اقتبسوها من أسفارهم المقدّسة ، وكانوا وما زالوا يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين ، ولغير المسيحيين ممن يسألونهم عن أسانيدهم فى اعتقادهم بوحدانية الله .

ومن هذه النصوص :

« الرب هو الإله . ليس آخر سواه » (التثنية ٤ : ٣٥) .

« الرب هو الإله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل . ليس سواه » (التثنية ٤ : ٣٩) .

« الرب إلهنا رب واحد » (التثنية ٦ : ٤)

« الرب وحده ... وليس معه إله » (التثنية ٣٢ : ١٢)

« أنا أنا هو ، وليس إله معى » (التثنية ٣٢ : ٣٩)

« لأنه ليس غيرك » (١ . صموئيل ٢ : ٢)

« وأعدوا قلوبكم للرب ، واعبدوه وحده » (١. صموئيل ٧ : ٣)

« قد عظمت أيها الرب الإله ، لأنه ليس مثلك ، وليس إله غيرك »

(٢ . صموئيل ٧ : ٢٢)

« لأنه من هو إله غير الرب » (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)

« الرب هو الله ، وليس آخر » (١ . الملوك ٨ : ٦٠)

« أيها الرب .. أنت هو الإله وحدك » (٢ . الملوك ١٩ : ١٥)

« أنت الربُّ الإله وحدك » (٢ . الملوك ١٩ : ١٩)

« يا رب ، ليس مثلك ، ولا إله غيرك » (١ . أخبار الأيام ١٧ : ٢٠)

« أنت هو الرب وحدك ، أنتَ صنعتَ السماوات وسماءَ السماواتِ وكل جُنْدها ، والأرض وكلّ ما عليها ، والبحار وكل ما فيها ، وأنتَ تحييها كلها ، وجند السماء لك يسجد » (نحميا ٩ : ٦)

« إنّك أنتَ الإله الواحد فى الأرض كلّها » (طوبيا ٨ : ١٩)

« لا إله قادر على كل شيء سواه » (طوبيا ١٣ : ٤)

« وسجدوا لإله السماء الواحد » (يهوديت ٥ : ٩)

« إنك أنت الإله وليس آخر سواك » (يهوديت ٩ : ١٩)

« الباسط السماوات وحده » (أيوب ٩ : ٨)

« وواحد كوّننا فى الرحم » (أيوب ٣١ : ١٥)

« لأنه من هو إله غير الرب » (مزمور ١٧ : ٣١)

« من مثلك يا الله » (مزمور ٧٠ : ١٩)

« إنك اسمك يهوه وحدك العليّ » (مزمور ٨٢ : ١٨)

« عظيم أنت .. أنت الله وحدك » (مزمور ٨٥ : ١٠)

« منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » (مزمور ٨٩ : ٢)

« ليسبحوا اسم الرب ، لأنه قد تعالى اسمه وحده » (مزمور ١٤٧ : ١٣)

« ليس إله إلا أنتَ » (الحكمة ١٢ : ١٣)

« الاسم الذى لا يُشرِك فيه أحد » (الحكمة ١٤ : ٢١)

« لا إله إلا أنتَ يا رب » (يشوع بن سيراخ ٣٦ : ٢ ، ٥)

« إنك أنتَ الربُّ إله الدهور » (يشوع بن سيراخ ٣٦ : ١٩)

« يارب الجنود ... أنتَ هو الإله وحدك » (اشعياء ٣٧ : ١٦)

« إنك أنتَ الربُّ وحدك » (اشعياء ٣٧ : ٢٠)

« أنا الربُّ ، أنا الأول والآخر ، أنا هو » (أشعياء ٤١ : ٤)

« أنا الرب ، هذا اسمى ، ومجدى لا أعطيه لآخر » (اشعياء ٤٢ : ٨)

« إنى أنا هو . لم يُكوَّن إله قبلى ، ولا إله بعدى » (اشعياء ٤٣ : ١٠)

« أنا أنا الرب ، وليس غيرى » (اشعياء ٤٣ : ١١)

« أنا الأول وأنا الآخِر ، ولا إله غيرى » (اشعياء ٤٤ : ٦)

« هل يوجد إله غيرى » (اشعياء ٤٤ : ٨)

« أنا الرب صانع كل شىء ، ناشر السماوات وحدى ، باسط الأرض . مَنْ معى » (اشعياء ٤٤ : ٢٤)

« أنا الربّ وليس آخر . ولا إله سواى » (اشعياء ٤٥ : ٥)

« إنه ليس غيرى . أنا الربّ ، وليس آخر » (اشعياء ٤٥ : ٦)

« الله ، وليس آخر . ليس إله غيره » (اشعياء ٤٥ : ١٤)

« خالق السماوات هو الله . مصوّر الأرض وصانعها .. أنا الرب وليس آخر »
(اشعياء ٤٥ : ١٨)

« أنا الرب ، ولا إله آخر غيرى ... ليس سواى » (اشعياء ٤٥ : ٢١)

« التفتوا إلىّ وأخلصوا .. فإنى أنا الله وليس آخر » (اشعياء ٤٥ : ٢٢)

« لأنى أنا الله ، وليس آخر ، أنا الله وليس مثلى » (اشعياء ٤٦ : ٩)

« أنا هو . أنا الأول وأنا الآخِر » (اشعياء ٤٨ : ١٢)

« إنه لا نظير لك يا رب » (أرميا ١٠ : ٦)

« ألستُ مالىء السّماوات والأرض ، يقول الربّ » (ارميا ٢٣ : ٢٤)

« هذا هو إلهنا ولا يُعتبر حذاءه آخر » (باروخ ٣ : ٣٦)

« فلست تعرف إلهاً غيرى ، وليس مخلّص سواى » (هوشع ١٣ : ٤)

« أليس إله واحد خلقنا » (ملاخى ٢ : ١٠)

انظر أيضاً سفر الخروج (٣ : ١٤) ، (٨ : ١٠) ، (٩ : ١٤) ، التثنية (٦ : ١٣) ، (٧ : ٩) ، (١٠ : ١٧) ، (يشوع ٢٢ : ٢٢) ، (١ صموئيل ٧ : ٤) ، (١٠ الملوك ١٨ : ٣٦ ، ٣٩ ، ٢١ ، ٢٤) ، الحكمة ١٢ : ٢٧) ، (ارميا ١٠ : ١٠ ـــ ١٢) .

ومن تلك النصوص يتبين أن الله تعالى هو الإله وحده ، ولا شريك له ، وليس كمثله شئ .. هو الله ، وليس غير الله إله ، لم يكن قبله إله ولا يكون بعده إله .. هو الواحد والوحيد والمتفرد بالألوهية .. هو الواحد الأحد ، والرب الصمد والسرمد ، الأزلى الذى لا بداءة له والأبدى الذى لا نهاية له .

قال الإنجيل المقدس :

« للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) ، (لوقا ٤ : ٨) .

« فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله الواحد وحده ؟ » (مرقس ٢ : ٧) ، (لوقا ٥ : ٢١) .

« ليس الصالح إلاّ واحد هو الله » (مرقس ١٠ : ١٨) ، (لوقا ١٨ : ١٩) ، (متى ١٩ : ١٧) .

« إنَّ الربَّ إلهنا هـو رب واحـد » (مـرقس ١٢ : ٢٩) ، (مـتـى ٢٢ : ٣٧ ، ٣٨) ، (لوقا ١٠ : ٢٧) .

« إن الله واحد ، وليس آخر سوه » (مرقس ١٢ : ٣٢) .

« كيف يُمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض . وأما المجد الذى من الله الواحد وحده ، فلا تبتغونه » (يوحنا ٥ : ٤٤) .

« وهذه هى الحياةُ الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحـدك »

(يوحنـا ١٧ : ٣) .

« لأنَّ الله واحد » (رومية ٣ : ٣٠) .

« للجميع رب واحد » (رومية ١٠ : ١٢) .

« لا إله إلاَّ واحد » (١٠ كورنثوس ٨ : ٤) .

« لنا إله واحد » (١٠ كورنثوس ٨ : ٦) .

« الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » (١٠ كورنثوس ١٢ : ٦) .

« الله واحد » (غلاطية ٣ : ٢٠) .

« واحد هو الله ، أبو الكل ، الذى هو فوق الكل » (أفسس ٤ : ٦) .

« اهتديتم إلى الله ، وتركتم الأوثان ، لتعبدوا الله الحىَّ الحقيقى »

(١٠ تسالونيكى ١ : ٩) .

« ملك الدهور الذى لا يفنى ، ولا يُرى ، الله وحـده ، له الإكـرام والمجـد إلى دهر الدهور » (١٠ تيموثيئوس ١ : ١٧) .

« لأنَّ الله واحد » (١٠ تيموثيئوس ٢ : ٥) .

« أنت تؤمن بأن الله واحد ، فقد أصبتَ . والشياطين أيضاً يؤمنـون ويرتـعـدون » (يعقوب ٢ : ١٩) .

« واحد هو واضع الشريعة وهو الديَّان ، الذى يقدر أن يُخلِّص ويهلك »

(يعقوب ٤ : ١٢) .

« للإله الوحيد مخلِّصنا .. المجد ، والعظمة ، والعزة والسلطان ، قبل كل زمان والآن ، وإلى جميع الدهور » (يهوذا : ٢٥) .

« أنا هو الألف والياء ، البداءة والنهاية ، يقول الربّ الإله » (الرؤيا ١ : ٨) ، (٢٢ : ١٣) .

« أنا هو الأول والآخر » (الرؤيا ١ : ١٧) .

أما التثليث المسيحي فلا يتعارض مع الإيمان بالتوحيد :

فالمسيحيون يؤمنون بإله واحد ، أحديّ الذات مثلّث الأقانيم والخاصيات .

فالتوحيد للذات الإلهية ، وأما التثليث فللأقانيم . والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الذات الإلهية .

فالله الواحد هو (أصل) الوجود ، ولذلك فهو (الآب) . والآب لفظة سامية بمعنى (الأصل) .

والله الواحد هو (العقل) الأعظم ، ولما كانت المسيحية تنادى بأنّ الله قد ظهر وتجلّى فى المسيح ، على نظير ما ظهر للنبىّ موسى فى العليقة ، وتجلى فى المكان دون أن يحده المكان ، لذلك كان المسيح هو (الكلمة) ، قال الإنجيل « فى البدء كان الكلمة » . والكلمة تجسيد (للعقل) فإنّ (العقل) غير منظور ، ولكنه ظهر فى (الكلمة) . وهو أيضاً (الابن) لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان ، بل لأنه « صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) .

والله الواحد هو (الروح) الأعظم ، وهو « أبو جميع الأرواح » ولهذا فهو (الروح القدس) ، لأنّ الله قدّوس .

وعلى ذلك فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد . لأنّ التثليث ليس تثليث ذوات ، لكنه تثليث أقانيم ، والأقانيم صفات وخاصيات فى الإله الواحد ، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية . والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات .

وعندهم أنّ الله الواحد كائن بذاته ، ناطق بكلمته ، حىّ بروحه .

ولذلك يقولون فى البسملة « باسم الآب والابن والروح القدس ، الإله الواحد » .

والخلاصة أن المسيحية قدمت عن الله درسين متممين الواحد للآخر : الدرس الأول عن التوحيد ، والدرس الثانى عن التثليث . والدرسان لا يتعارضان . وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول ، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد ، إذ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته ، ولم تقدّم الدرس الثانى إلاّ بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس : إن الله واحد أحد ، وليس غيره إلــه .

* * *

ثانياً : من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام [1] فى اللغة العربية

من الأخطاء الشائعة الربطُ بين اللغة العربية والإسلام ، بصورة تُشعر كما لو كانت اللغة العربية هى لغة المسلمين وحدهم ، ونحن نلمس هذا الربط فى بعض البلاد العربية والأفريقية ومنها ليبيا والجزائر ، الذين يسود عندهم الاعتقاد بأنّ المسلمين هم وحدهم الذين يتكلمون اللغة العربية ، ولا يكادون يصدقون أن هناك مسيحيين يتكلمون العربية .

فى عام ١٩٦٩ للميلاد كنا فى روما ، مع وفد قبطى بعد حضور احتفالات فينيسيا (البندقية) بعيد القديس مرْقس الرسول ، وذلك بعد أن احتفلنا نحن فى يونيه ١٩٦٨ باستحضار رفاته من فينيسيا ، عبر روما إلى القاهرة ، وإيداعه مذبح الكاتدرائية المرقسية الجديدة بالعباسية ، وقد زرنا فى روما معهد الدراسات الشرقية ثم معهد الدراسات العربية ، وسعدنا بزيارة مكتبة المعهد .

وأقام لنا الأساتذة والعلماء حفلاً مناسباً ، وهم جميعاً ، أو على الغالب ، من الرهبان المهتمين بالدراسات العربية . وقد طلبوا منا إلقاء كلمة فى الحفل باللغة العربية ، فوجدت أنّ المناسبة أثارتنى للحديث عن التراث المسيحى فى اللغة العربية ، وانتهزت الفرصة لأحيىي الرهبان المسيحيين لاهتمامهم بدراسة اللغة العربية وآدابها الغنية ، وما اشتمل عليه أدب اللغة العربية من تراث حضارى ، عمره هو عمر لغة ضاربة فى القِدَم ، ترجع إلى سام بن نوح . وهو العاشر من آدم فى سلسلة أنساب العائلة البشرية .

والمعروف أن اللغة العربية هى إحدى لغات مجموعة اللغات السامية ومن أقدمها . وعلى ذلك فهى من أقدم اللغات الإنسانية ومن أخصبها وأغناها وأجملها وأحفلها بالمعانى ، وهى لغة أدب ودين وفن وحضارة ، وهى بالتالى من أعرق اللغات وأقدرها على التعبير عن احتياجات الإنسان المادية والفكرية والمعنوية ، إذ أنها امتدّت طولاً وعرضاً

---

(١) نشر بمجلة (الهلال) في عددها الصادر في أول أغسطس ـ آب لسنة ١٩٨١ السنة ٨٩ صفحة ٤٦ ، ٤٧ .

وعُمقاً ، ولقد نمت نمواً مطرداً بغير توقف ، ولم يدركها وهن أو ضعف ، فإنها حيّة ، أخصب وأعمق ما تكون الحياة لكائن حيّ يتنفس ويتغذّى وينمو ويتكاثر على ما يقول « أرسطو » فى خصائص كل كائن حى ، من النبات إلى الحيوان إلى الإنسان . واللغة أيضا كائن حيّ .

إذا كان ذلك كذلك ، فمن البينات والبدهيات : أنْ ترتدَّ اللغة العربية فى كيانها ووجودها وحياتها إلى ما قبل ظهور الإسلام بعشرات المئات من السنين . ولئن عرفت اللغة العربية بأنها لغة القرآن فإنها سبقت بآدابها القرآن بعشرات القرون . ولقد تكلّم بها المسلمون وغير المسلمين من شعوب العالم القديم ، وشعوب البلاد العربية على الخصوص .

ولقد سبقت الدعوة المحمدية وعاصرتها أديانٍ وثنية وأديان إلهية ، ومنها المَوْسوية والمسيحية . وكان هؤلاء وأولئك يتكلّمون العربية ويجيدونها نثراً وشعراً ، ويتبارون بها فى الأسواق ، ومنهم من برَز فيها بلاغة وفصاحة وخطابة .

ولعل من بين المسيحيين العرب المفوَّقين فى اللغة العربية ، كثيرين على مدى التاريخ الطويل العريض للغة العرب .

ومن بينهم : الأخطل (٦٤٠ ـ ٧٠٨م) وكان نصرانياً من بنى تَغْلب ، اتَّصل بالأمويين ، فصار شاعرهم الخاص .

ومنهم قس بن ساعدة : المتوفى نحو سنة ٦٠٠ للميلاد ، وكان أديباً من نصارى نجران ، ومن أحبارها ، وقد صار أسقفاً لنجران ، وكان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم وحَكَمهم فى عصره ، وكان يعظ القوم فى سوق عكاظ ، وكان يضرب به المثل فى البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة .

وقالوا : إنه أول من خطب على مرتفع أو ناقة ، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا . وكان يعتمد على العبارات القصيرة جداً التى يحليها بالسجع والازدواج الطبيعيين ، ورسم الصور المتتابعة السريعة .

ومنهم ورقة بن نوفل المتوفى نحو سنة ٦١١ م ، وهو من حكماء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وروى عنه أنه ترجم الإنجيل إلى العربية .

ومنهم حنين بن إسحق (٨٠٨ ـ ٨٧٣م) وهو طبيب نصرانى من قبيلة عباد العربية ، ولد فى الحيرة بالعراق ، وقد درس الطبَّ فى بغداد وتضلَّع باليونانية ، وعيَّنه الخليفة المأمون على بيت الحكمة ، وانصرف إلى الترجمة ، فنقل إلى العربية والسريانية بعض كتب أفلاطون مثل « تيماوس » و « القوانين » ، وبعض كتب أرسطو مثل « المقولات » و « الطبيعيات » ، و « الأخلاق الكبرى » ، و « المعادن » . وله كتاب « عشر مقالات فى العين » و « المدخل فى الطب » وكتاب « فى الأغذية » وكتاب « فى تدبير الناقهين » وكتاب « فى الأدوية المسهلة » .

وقد ذكر الإنجيل اللغة العربية من بين اللغات التى تكلَّم بها تلاميذ المسيح ورسله ، يوم أن حَلَّ الرُّوح القُدس عليهم فى يوم الخمسين ، لقيامة المسيح المجيدة ، فى هيئة ألسنة من نار ، نزلت عليهم من السماء ، واستقرت على رأس كل منهم . وكان من بين الحجيج الحاضرين لهذا العيد العظيم قوم من البلاد العربية الناطقون باللغة العربية . ولما سمعوا تلاميذ المسيح يتكلَّمون باللغة العربية ، لغتهم الخاصة ، قالوا فى ذهول وانبهار : « ترى أليس كل هؤلاء الذين يتكلمون جليليين (فلسطينيين) فكيف نسمع نحن كلٌّ واحد منا لغته هو التى ولد فيها ، منا (برثيون) وماديّون وعيلاميون وسكان ما بين النهرين ... ومصر ، وأنحاء ليبيا ... وعرب ، ونسمعهم يحدثون بجلائل أعمال الله بلغاتنا نحن » (أعمال الرسل ٢ : ٧ ـ ١١) .

ولابد أنه كان الإنجيل قد تُرجم إلى لغة العرب لمنفعة المسيحيين من العرب وكان المسيحيون آنذاك يقرأونه بالعربية . وعندما أشار القرآن إلى الإنجيل ، كان الإنجيل بترجمته العربية معروفاً ومقروءاً عند المسيحيين فى بلاد العرب من قديم ، قبل ظهور الرسالة المحمدية بزمن .

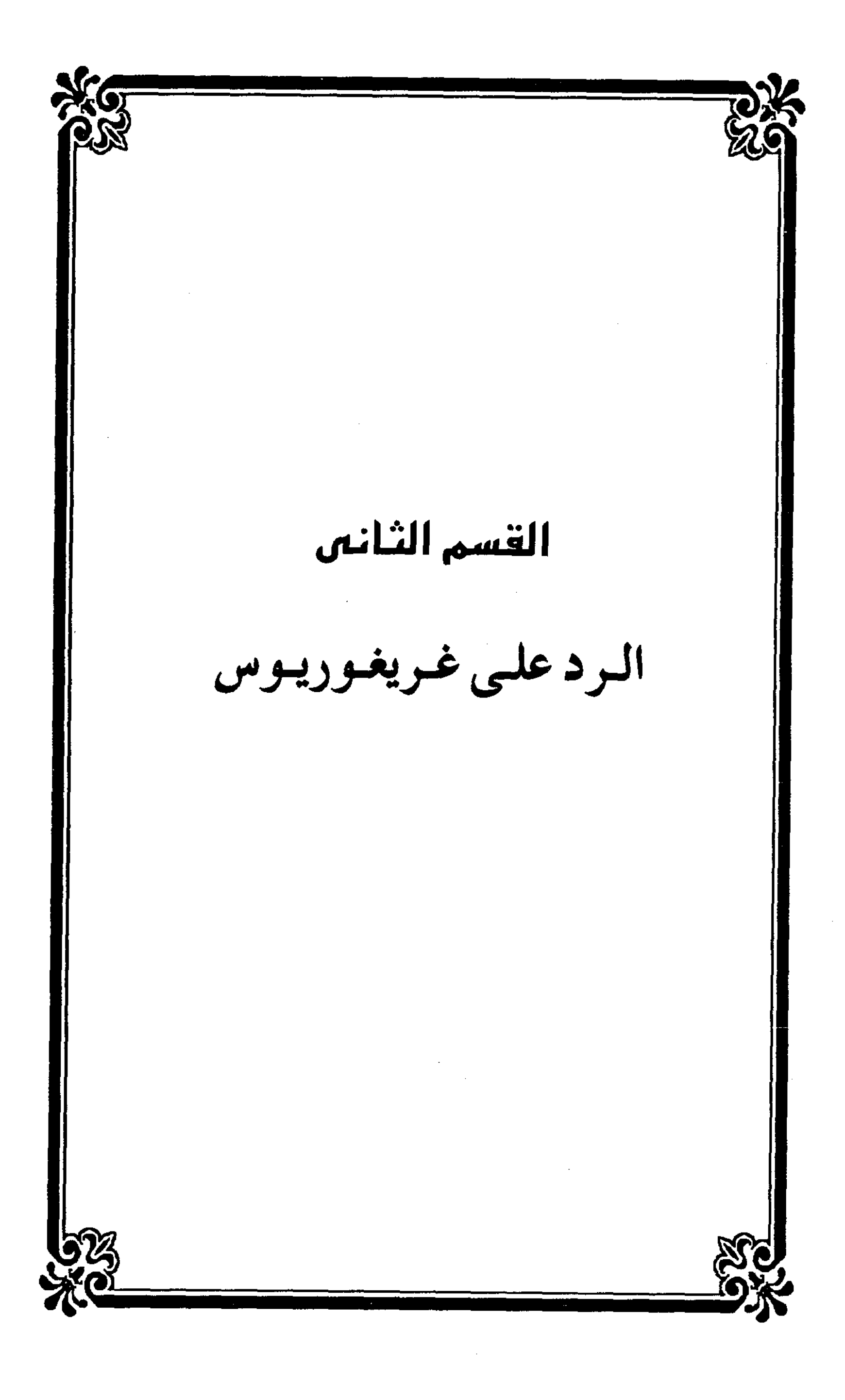
ورُوى عن ورقة بن نوفل النصرانى المتوفى نحو سنة ٦١١ أنه ترجم الإنجيل إلى لغة العرب . وبعد ذلك تتابعت على مدى التاريخ الترجمات العربية للإنجيل وللكتاب المقدس بأكمله .

من ذلك الترجمة التى قام بها يوحنا أسقف إشبيلية إحدى مدن أسبانيا عام ٧٥٠ للميلاد ، ثم ترجمة سعد الفيومى للعهد القديم إلى العربية فى القرن التاسع نقلاً عن العبرية ، لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلَّمون العربية ، وبعد ذلك قام أولاد العسال ـ وهم

من علماء الأقباط في القرن الثالث عشر ـــ بمراجعة ترجمات العهد الجديد ، وضبطوا ترجمتها العربية ، ودونوها فى نسخة خطية محفوظة الآن بالمتحف القبطى .

وملاك القول : أنَّ اللغة العربية هى لغة الناطقين بالضاد من قديم الزمان ، وثنيين جاهليين ، ومسيحيين ومسلمين .

* * *



القسم الثانى

الرد على غريغوريوس

أولاً : الخير والشر عند النصارى

١ ـ يقول الأنبا غريغوريوس : إن هدفى من كتاباتى عن آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام : هو تدعيم أواصر المحبة بين المسلمين والنصارى . وأن أواصر المحبة لا تكون إلا إذا عُرف وجه الشبه بين النصرانية والإسلام .

* والرد عليه :

إن الديانة النصرانية هى نفسها الديانة اليهودية . بلا زيادة وبلا نقصان . فكل ما عند النصارى ينبغى أن يكون هو ما عند اليهود ، مع مراعاة تصحيح المسيح له . ومع ذلك يقول اليهود : ليست النصارى على شىء . ويقول النصارى : ليست اليهود على شىء . مع أنهم كلهم يعظِّمون كتاباً واحداً هو كتاب موسى عليه السلام . فأين هى أواصر المحبة ، مع معرفة وجه الشبه بين اليهودية والنصرانية ؟

لقد قال المسيح عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس » [متى ٥ : ١٧] .

وقال : « على كرسىّ موسى جلس الكتبة والفرِّيسيُّون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه : فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » [متى ٢٣ : ٢ ـ ٣]

وكان يستدل بالتوراة وأسفار الأنبياءِ على كل ما يقول من آراء . ففى إنجيل يوحنا يقول عليه السلام : « لا يقدر أحد أن يُقبل إلىّ إنْ لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى . وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » [يو ٦ : ٤٤ ـ ٤٥]

يقصد بالأنبياء : الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء . الآية الثالثة عشر ونصها : « وكل بنيك تلاميذ الرب . وسلام بنيك كثيراً »

ولم يكن غرض المسيح عيسى عليه السلام من دعوته في بنى إسرائيل إلا تفسير نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن محمد ﷺ تفسيراً يفهمه الأُمّى والعالم . وقد فسّر وبيّن ورفع في المجد . ولم يترك إلا تفسير النبوءات تفسيراً حسناً .

فإذا أراد العلماء أن يكتبوا عن التلاقى بين المسيحية والإسلام . فليكتبوا أوّلا عن التلاقى بين اليهودية والإسلام . لأن المسيح نفسه ما نسخ التوراة ولم ينشىء ديانة ، وإنما كان يبشّر بمحمد رسول الله ﷺ ثم ليكتبوا ثانيا : عن نصرانية بولس المقررة رسمياً على النصارى بالقوة في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ، وليقارنوا بينها وبين أى دين يشاءون . أما مقارنتهم ابتداء بين المسيحية والإسلام فهذا منهم إيهام وخداع للأميين من الناس . وذلك لأن النصرانية الموجودة الآن في العالم هى نصرانية بولس .

٢ ـ يقول الأنبا غريغوريوس : إنما جُلّ قصدنا : أن نهدئ من حرارة حُمى الخلافات العقائدية بين الإسلام والمسيحية .

*** والرد عليه :**

إن التهدئة لا تكون إلاّ على النحو التالى :

أ ـ يلتزم النصارى بدفع الجزية للمسلمين : إذا سالموا المسلمين ولم يحاربوهم وظلوا على دينهم .

ب ـ إذا التزم النصارى ودفعوا الجزية ، وجب على المسلمين وجوباً مؤكداً إكرام النصارى ، وإبعاد الشر عنهم .

وذلك واضح من قول الله تعالى **﴿ قاتلُوا الذين لا يؤمنُون بالله ولا باليومِ الآخرِ ، ولا يُحرّمون ما حرّم اللهُ ورسوله ، ولاَ يدينون دينَ الحقّ . من الذين أوتوا الكتابَ ، حتى يعطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرونَ ﴾** (التوبة : ٢٩)

وبغير هذا لا يمكن التهدئة بين النصارى والمسلمين ولا بين المسلمين واليهود . وذلك لأن المسلم ملتزم بالعمل بالقرآن . ومن أهمل شيئاً منه ، فإنه يكون داخلا تحت

قول الله تعالى ﴿ أفتؤمنونَ ببعضِ الكتابِ ، وتكفرُونَ ببعض ؟ فما جزاءُ مَنْ يفعل ذلك منكم : إلا خزىٌ فى الحياةِ الدنيا ، ويوم القيامة يُردُّون إلى أشدِّ العذاب ﴾
(البقرة : ٨٥)

٣ ـ يقول الأنبا غريغوريوس : إن المسيحية والإسلام تدعوان إلى عبادة الله الواحد ، الذى ليس كمثله شىء .

* الرد عليه :

الأنبا غريغوريوس يتكلم عن مذهب واحد من مذاهب النصارى وكان يجب عليه ـ لئلا يخدع الأُميين ـ أن يقول : مذهبى أن الله واحد . ثم إنه مع هذا الخداع ، عرض مذهبه على غير وجهه الصحيح . فهو فى ذلك الكلام أخطأ فى أمرين .

الأمـــر الأول : أنه قال : إن المسيحية دين توحيد .

الأمر الثانى : أنه قال : إن المسيحية تدعو إلى الإله الواحد . الذى ليس كمثله شىء .

أما الأمر الأول : فإن الأرثوذكس ـ الذين منهم غريغوريوس ـ يعتقدون : أن خالق السمـاء والأرض هو الله رب العـالمين . ثم يقـولون : إن الله رب العـالمين ، انقلب إلى إنسـان هو يسوع ، أى صار الإله الخالق للعالم إنساناً من لحم ودم ، يأكل ويشرب ، وينام ، ويتغوّط ويتبول ، ويضربه الناس على رأسه ، ويهرب منهم ، ويختبىء فى الجبال ، ويطلب الطعام فلا يجده ، ويجوع ويتعب من الأسفار . فالله رب العالمين الذى يعبده المسلمون واليهود نزل من السماء من على العرش ، وحَلَّ فى بطنِ العذراء مريم ، بقوة الروح ، ثم بعد تسعة أشهر خرج طفلاً يصرخ ويبكى ويلتقم ثديَىْ أمه مريم ، ثم يكبر ويذهب إلى الكتّاب ، ويجلس أمام علماء بنى إسرائيل ، ليؤدبوه ، ثم يكون معلماً ، ثم يسيح فى الأرض ليدعو إلى اقتراب ملكوت الله ، ثم يقتله اليهود ، ويصلبوه ويدفنوه فى قبر جديد ، ثم يقـوم من الموت بعد ثلاث ، ويلتقى بالحواريين مدة أربعين يوماً ، ثم يرتفع إلى السماء .

فالأرثوذكس ـ كما يقول غرغوريوس ـ يعتقدون بأن الله واحد . هذا صحيـح لكـن

هذا الواحد ثلاثة أقانيم . **الأول** : قبل تجسده فى بطن العذراء . **والثاني** : حال تجسده . **والثالث** : حال ارتفاعه إلى السماء ، وهذا تصوير المذهب حسب ما يعتقدون .

والكاثوليك يعتقدون : أن الأقنوم الأول متميز عن الثانى . وهو غيره . وأن الابن هو ابن طبيعى لله . والروح أيضاً أقنوم متميز . فالانفصال والتعدد عندهم ، والتجسُّد عند الأرثوذكس .

أما فى اليهودية والإسلام فالله هو رب العالمين ، وليس كمثله شىء .

فقول غريغوريوس : إن المسيحية والإسلام يلتقيان فى التوحيد . هو قول باطل . لأن الله عند الأرثوذكس هو المسيح بن مريم ، وعلى ما عندهم فإن القديم صار محدثاً ، والخالق صار مخلوقاً ، والذى لا تأخذه سِنة ولا نوم ، صار ينعس وينام ، والذى يقدر على الناس ، صار الناس هم القادرون عليه .

وعند الكاثوليك ـ والبروتستانت معهم فى العقيدة ـ أن المسيح إله ثان مستقل بنفسه عن الله ، وهما معاً مستقلان عن روح القدس . فكيف يكون الثلاثة واحداً ؟

وفى مذهب الأرثوذكس . جاء فى القرآن الكريم ﴿ **لقد كفرَ الذين قالُوا : إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابن مريم** ﴾ ، وفى مذهب الكاثوليك . جاء فى القرآن الكريم : ﴿ **لقد كفرَ الذين قالوا : إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة** ﴾ .

وأما مغالطة غريغوريوس فى الأمر الثانى . وهو قوله : إن المسيحية تدعو إلى الإله الواحد الذى ليس كمثله شئ .

فالإله من صفاته عند اليهود والمسلمين :

أ ـــ التوحيد　　　　ب ـــ والتنزيه

التوحيد من قول التوراة : « الرب إلهنا رب وحد » [تث ٦ : ٤]

والتنزيه من قول التوراة : « ليس مثل الله » [تث ٣٣ : ٢٦]

وقول الأرثوذكس بالتوحيد ، هو متناقض مع قوله بالتنزيه ، وذلك لأن التنزيه معناه : عدم مماثلة الله للبشر . فى كل شئ ، فالبشر يجوعون ويعطشون . والله منزَّه عن الجوع والعطش ، والبشر يتألمون ويتناسلون ويقتتلون والله منزَّه عن الآلام والتناسل وأن يُقتل .

وفى الأناجيل : أن المسيح بن مريم عليه السلام قد أُهين من اليهود وعطش وجاع ، ولعن شجرة تين ، لأنه لم يجد فيها ما يأكله . وهذا يبعده عن الألوهية ، لأن الله ليس كمثل شئ .

٤ ـ قول الأنبا غريغوريوس : إن المسيحية تأمر بالخير وتنهى عن الشر . مثل الإسلام . وهذا من أوجه التلاقى بينهما .

* الرد عليه :

حقاً إن المسيحية تأمر بالخير وتنهى عن الشر . كما فى اليهودية والإسلام . والفرق بين الجميع هو : أن اليهودية قد حرَّفها اليهود لتكون شريعة لهم من دون الناس . فهى تأمر اليهودى بالخير مع اليهودى لا مع الأممى ، وتنهى اليهودى عن الشر مع اليهودى لا مع الأُممى . كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم :

﴿ ومن أهلِ الكتــاب مَنْ إنْ تأمنْه بقنطارٍ يُؤدِّه إليكَ * ومنــهم مَنْ إنْ تأمنــه بدينــار لا يُؤدِّه إليك إلاَّ مَـا دُمت عليـه قـائمـاً * ذلك بأنهم قـالُوا : ليسَ علينَا فى الأُميين من سبيل * ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمُون ﴾ (آل عمران : ٧٥)

ومما هو مكتوب فى التوراة : « لا تُقرض أخاك بربا . ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شئ مًا ، مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا . ولكن لأخيك لا تقرض بربا » [تثنية ٢٣ : ١٩ ـــ ٢٠] .

انظر إلى تحريمه للربا مع اليهودى ، وإباحته للربا مع الأممى . وذلك لأنهم قالوا : لا محاسبة علينا فى ظلمنا للأمم . فهم كالكلاب النجسة ، ولكى يؤكدوا هذا المعنى ، جعلوا « الله » إلهاً لهم من دون الناس ، لا إلهاً لكل الأمم ، لأنه إذا كان إلهاً لكـل الأمم ، فإنه سيحاسبهم على ظلمهم لكل الأمم . وكتبوا عن الله هكذا : « الرب إلهنا رب واحد » إلهنا نحن لا إله كل الأمم . وهم يقولون على الله الكذب ، فإن الله إله لكل الأُمم . فقد جاء فى أسفار الأنبياء : « إنك أنت الإله الواحد ، فى الأرض كلها »

[طو ٨ : ١٩] « لأن بعلك هو صانعك . ربُّ الجنود اسمه ، ووليك قدوس إسرائيل . إله كل الأرض يدعى » [إش ٥٤ : ٥] .

أما فعل الخير عند النصارى . فإنهم مأمورون به من موسى والنبيين من بعده ، ومن عيسى نفسه . فإن عيسى نفسه قد صرح لهم بأنهم إن لم يزد برُّهم على برِّ علماء بنى إسرائيل ، فإنهم لن يدخلوا ملكوت السماوات [متى ٥ : ٢٠] وقال : « ومَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط ، باسم تلميذ ، فالحق أقول لكم : إنه لا يضيع أجره » [متى ١٠ : ٤٢] .

ولكن بولس بيّن لهم : أن المسيح قد قُتل وصُلب من أجل مغفرة الخطايا ، ويوحنا بيّن لهم : أن من يخطئ ، فإن المسيح سيشفع له عند الله . وإذا كانت الخطايا قد رفعت وزالت بقتل المسيح . وأن المخطئ له شفاعة ، فأىُّ فائدة من عمل الخير ؟ بل إن بولس صرّح بإلغاء الأعمال التى نصت التوراة عليها ، إذ دعا إلى عدم الختان ، ودعا إلى إباحة كل الأطعمة ، ودعا إلى إلغاء تقديس يوم السبت . وقال : لا فائدة ترجى من العمل بالناموس ، إذ قد جاء المسيح وافتدانا من لعنة مخالفة الناموس ، بإلغاء الناموس نفسه .

يقول بولس : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس . إذ صار لعنة لأجلنا » [غلا ٣ : ١٢] « إذن قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح ، لكى نتبرر بالإيمان . ولكن بعدما جاء الإيمان ، لسنا بعد تحت مؤدب ، لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع » [غلا ٣ : ٢٤ ـــ ٢٦] ويقول يوحنا : « يا أولادى . أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا . وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البارُّ . وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » [ا يو ٢ : ١ ـ ٢] .

أما في دين الإسلام . فقد قال تعالى : **﴿ ليسَ بأمانيكُم ولا أمانىِّ أهلِ الكتاب * مَنْ يعملْ سوءاً يُجزَ به * ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً * ومَن يعملْ من الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنةَ ولاَ يُظلمون نقيراً ﴾**
(النساء : ١٢٣ ـ ١٢٤)

* * *

٥ ــــ ويقول الأنبا غريغوريوس : أن المسيحية تؤمن باليوم الآخر . مثل الإسلام .

* **والرد عليه :**

إن اليهودية تؤمن باليوم الآخر ، مثل الإسلام سواء بسواء . أما المسيحية التى كونها بولس على حساب عيسى عليه السلام فهى لا تؤمن باليوم الآخر مثل اليهودية والإسلام .

وبيان ذلك : أن المرء مكوَّن من جسد وروح . وفى يوم القيامة ، يبعث الله الجسد ، ويرد إليه روحه . ويحاسبه على ما عمل من خير أو شر . فإذا دخل الجنة ، يُنعَّم بجسده وروحه معاً ، وإذا دخل النار يعذَّب بجسده وروحه معاً .

وهذا متفق عليه فى اليهودية والإسلام وفى النصرانية التى صرح بها عيسى عليه السلام . أما بولس ــ الذى يسير النصارى على آرائه ــ فقد أنكر بعث الأجساد . وأثبت بعث الأرواح . وهل الروح شئ ، والجسد شئ ؟ هل هما منفصلان ؟!!

يُصرِّح القرآن الكريم بأن الروح والجسد شئ واحد . وأن الله خلق آدم عليه السلام ثم نفخ فيه من روحه . وفى يوم القيامة تكون الإعادة لجميع بنى آدم مثل خلق آدم . لقوله تعالى **﴿ كمَا بدأكُمْ تعودُونَ ﴾** وكما لم تكن روح قبل خلق آدم ، كذلك لا تكون أرواح للذين ماتوا .

فإذا جاء يوم البعث . أعاد الله خلق الجسم ، ونفخ فيه من روحه كما كان فى البدء آدم عليه السلام . فدعوى الانفصال بين الروح والجسد ، هى دعوى عريَّة عن البرهان . وهى قد دخلت فى الكتب بحجة واهية : هى أن الإنسان يعقل ويفكر ويقول « أنا » فعلت . وتسيير أموره الاعتيادية وهو منتبه لها ، وهو أيضاً غافل عنها . وما ذلك إلا من روح عاقلة مدبرة ، غير الجسد ، وغير الروح التى بها يتنفس الهواء . وهذه الحجة ليس عليها فى القرآن من دليل ، ولا فى التوراة ، ولا فى الإنجيل . فإذا قال بولس ببعث الأرواح ، فإنه يقول منكراً من القول وزوراً . إذ إنه لا تفعل الأرواح شيئاً وهى مجردة عن أجسامها ، ولا تفعل الأجسام شيئاً وهى مجردة عن أرواحها . وإذ قد صَحَّ وثبت أن الفعل الحسن أو السئ من جسد وروح مقترنان ، فإن المجازاة بالنعيم أو بالعذاب ،

لا تكون لأحدهما بدون الآخر . فقول بولس : إن البعث بالروح فقط هو منه إنكار كلى للبعث . ولماذا لا يكون غرضه إنكاره ؟ إذ هو يعلم : أن لا انفصال بين الروح والجسد . فقوله بالانفصال . هو إنكار لمن يفهم الأمور على حقيقتها . لأنه لا يعقل عاقل مجازاة روح لم تفعل شيئاً بمفردها . إذ هى لا تسعى ولا تتحرك بدون الجسد . وإذ هى لم تسع ولم تتحرك بمفردها ، فإنها كيف تجازى على سرقة أو زنى أو قتل أو خداع أو تضليل أو ما أشبه ذلك ؟ وإذ هى لا تجازى فى نظر العقلاء . وإذ هو يقول : لا يجازى من الإنسان إلا هى . فإنه يكون قد نفى البعث رأساً ولم يثبته .

أما اليهودية . ففيها أن الله تعالى عاهد إبراهيم عليه السلام بالسير أمامه بين الناس للدعاء إلى دينه ، ونبذ عبادة الأصنام . بالحكمة والموعظة الحسنة والقتال فى سبيل الله . لأن السير أمام الله معناه : الدعوة بالكلمة والسيف .

وإذ قد صح وثبت أن السير أمام الله يستتبعه قتل ، فهَبْ أن الداعى قد قُتل وهو يهدم وثناً . فما هو جزاؤه ؟ وظل بنو إبراهيم سائرين أمام الله إلى مجئ موسى عليه السلام . وظل بنو إسرائيل سائرين أمام الله إلى أن فتح طالوت وداود أرض القدس فى فلسطين . هذا كله قد تمّ وحصل . بشهادة التوراة والقرآن . ففى سفر التكوين : « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير . سِرْ أمامى وكُنْ كاملاً » [تك ١٧ : ١] .

فهَبْ أن أبرام ـ الذى هو إبراهيم ـ قد قتل بيد الوثنيين وهو يدعوهم إلى الله ويؤذن فيهم بالحج إلى بيت الله المعظم . فما هو الجزاء الذى سيحصل عليه ؟ إنه إذا كان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار . فقد تساوى القاعد عن الجهاد والمجاهد . فما فائدة أن أقتل وأترك نعيم الدنيا طوعاً بإرادتى ، لا جبْراً ولا قَسْراً ؟ إذاً لا بد من بعث .

وهذا هو ما فى القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **إن اللهَ اشترَى من المؤمنين أنفسَهُمْ وأموالَهم بأنَّ لهم الجنةَ * يُقاتلون فى سبيلِ الله فيقْتلُون ويُقْتَلون * وَعْداً عليه حقاً فى التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ** ﴾ (التوبة : ١١١)

وفى الإنجيل :

١ ـ يأمر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أتباعه بالدعوة فى كل بلاد بنى إسرائيل . بلا قتال .

٢ ـ وفى آخر حياته يحثُّهم على الاستعداد للقتال .

٣ ـ ويقـول لجنود أهل الروم : « إن ديننا يخبـرنا : أن حيـاتنا حـرب عـوان علـى الأرض » [أى ٧ : ١] .

ففى الأصحاح العاشر من إنجيل لوقا يقول للحواريين السبعين : « اذهبوا ها أنا أُرسلكم مثل حُملان بين ذئاب . لا تحملوا كيساً ، ولا مزوداً ولا أحذية ولا تسلّموا على أحد فى الطريق ، وأىُّ بيت دخلتموه فقولوا أولاً : سلام لهذا البيت . فإن كان هناك ابن السلام ، يحل سلامكم عليه ، وإلا فيرجع إليكم ... » .

وفى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل لوقـا يقـول لهـم : « حـين أرسلتكـم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية . هل أعوزكم شئ ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن مَنْ له كيس ، فليأخذه . ومزود كذلك . ومن ليس له ، فَلْيبع ثوبه ويشْترِ سيفاً » .

فهو ـ عليه السلام ـ فى بدء دعوته ، يجاهد مع الله ، ويسير أمامه بالحكمة والموعظة الحسنة . وفى نهاية دعوته يأمر بالسيف إذا كثر الأتباع وكانوا من القدرة بحيث يثخنون فى الأرض ، ليمنعوا من الصدّ عن دين الله .

ومن أيام سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م واليهود يؤدون الجزية للكفار من أهل بابل وفارس واليونان والرومان . وكانوا مستضعفين فى الأرض .

وقد ظهر عيسى عليه السلام فى بدء دخول اليهود فى طاعة أهل الروم . وكانت حالة اليهود لا تسمح بشن الحرب لطرد الأجانب من بلاد الله . فسأله بعض الناس عن الحرب . هل يحاربون الروم جهاداً فى سبيل الله أم يستمرون على دفع الجزية لهم ؟ وأجاب بأن حالتنا الآن لا تسمح بالحرب . ولكن إذا قدرنا فيما بعد ، فلنحارب . من أجل الجهاد فى سبيل الله .

ففى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى ، والحادى والثلاثين من إنجيل بَرنابا ، والثانى عشر من إنجيل مرقس ، والعشرين من إنجيل لوقا : « فاقترب الكهنة حينئذ إلى يسوع . وقالوا : يا معلم . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر ؟ فالتفت يسوع ليهوذا . وقال : هل معك نقود ؟ ثم أخذ يسوع بيده فلساً ، والتفت إلى الكهنة . وقال لهم : إن على هذا الفلس صورة . فقولوا لى : صورة من هى ؟ فأجابوا : صورة قيصر . فقال يسوع :

أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر ، وأعطوا ما لله لله » .

وسأله الجنود الرومانيون وهو فى فلسطين عن إصلاء الحرب ضد روما . جهاداً فى سبيل الله . لأنهم سمعوا منه أنه يريد أن يحولهم إلى دينه ، وأن ينبذوا عبادة الأصنام . وأجاب : بأن الحرب سُنَّة من سنن الحياة ، ولا مفرٍ منها . واستدل بقول أيوب فى سفره ـ وهو من أسفار الأنبياء ـ : « أليس جهاد للإنسان على الأرض ، وكأيام الأجير أيامه ؟ » [أى ٧ : ١] .

ففى الفصل الثانى والخمسين بعد المائة : « فلما جاء يسوع إلى أورشليم ، ودخل الهيكل يوم سبت ، اقترب الجنود ، ليجربوه ويأخذوه . وقالوا : يا معلم أيجوز إصلاء الحرب ؟ أجاب يسوع : إن ديننا يخبرنا : أن حياتنا حرب عوان على الأرض . قال الجنود : أفتريد إذاً أن تحولنا إلى دينك ، أو تريد أن نترك جميع الآلهة فإن لرومية وحدها ثمانية وعشرين ألف إله منظور ، وأن نتّبع إلهك الأحد . ولما كان لا يرى ، فهو لا يعلم أين مقره ، وقد لا يكون سوى باطل ... الخ .

وحثَّ عيسى أتباعه على الجهاد فى سبيل الله . معناه أنه يعترف بالبعث ويُقرُّ به . لأن مَنْ يُقتل لا بُدَّ له من جزاء بعد القتل . وهذا الذى سيقتل قد أقدم على بذل روحه من أجل هذا الجزاء .

إذْ هو يعلم أنه سيبعث بجسده فى القيامة ، ليتنعَّم فى الجنة التى أعدها الله للمتقين .

وقد أكد المسيح عيسى عليه السلام على المجازاة ، وبيَّن أنها للجسد وللروح معاً . إذ ليس من روح فى بدن المرء يحلُّ محل الجسد فى كل شئ . فالجسد يكون نيِّرا بنور الإيمان ، ويكون مظلماً بالبعد عن الإيمان . لا بروح هى فيه . تنيره أو تُظلِّمه . يقول عليه السلام : « سراج الجسد هو العين . فإن كانت عينك بسيطة ، فجسدك كله يكون نيِّراً . وإن كانت عينك شريرة ، فجسدك كله يكون مظلماً » [متى ٦ : ٢٢ ـ ٢٣] .

وصرَّح المسيح بالبعث الجسدى فى قوله : « قد سمعتم : أنه قيل للقدماء : لا تزن . وأما أنا فأقول لكم : إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة ، ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه . فإن كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يُلقى جسدك كلُّه فى جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك ، فاقطعها

وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يُلقى جسدك كلُّه فى جهنم » [متى ٥ : ٢٧ ـ ٣٠] .

وقال فى رواية أخرى : « ويل للعالم من العثرات . لا بُدَّ أن تأتى العثرات ، لأن العالم يقيم فى الإثم . ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة . خير للإنسان أن يُعلّق فى عنقه حجر الرحى ، ويغرق فى لجة البحر من أن يعثر جاره . إذا كانت عينك عثرة لك فاقلعها لأنه خير لك أن تدخل الجنة أعور ، من أن تدخل الجحيم ولك عينان . وإن أعثرتك يدك أو رجلك ، فافعل بهما كذلك ، لأنه خير لك أن تدخل ملكوت السماء أعرج ، أو أقطع من أن تدخل الجحيم ، ولك يدان ورجلان »

[بر ٨٧ : ١ ـ ٦] .

وهو ليس بدعاً من الرسل ، فقد صرّح أنبياء بنى إسرائيل بالبعث الجسدى . وهو قد اقتبس كلامهم ليقنع به . ومن كلامه واقتباساته هذا النص :

« الجحيم واحدة . وهى ضد الجنة . كما أن الشتاء هو ضد الصيف ، والبرد ضد الحر . فلذلك يجب على من يصف شقاء الجحيم أن يكون قد رأى جنّة نعيم اللـــه . يا له من مكان ملعون ـ بعدل الله ـ لأجل لعنة الكافرين والمنبوذين . الذين قال عنهم أيوب خليل الله : « ليس من نظام هناك ، بل خوف أبدى » ويقول إشعياء النبى فى المنبوذين : « إن لهيبهم لا ينطفئ ، ودودهم لا يموت » وقال داود أبونا باكياً : « حينئذ يمطر عليهم برقاً وصواعق وكبريتاً وعاصفة شديدة تباً لهم من خطأة تعساء . ما أشد كراهتهم حينئذ للحوم الطيبة ، والثياب الثمينة ، والأرائك الوثيرة ، وألحان الغناء الرخيمة . ما أشد ما يسقمهم الجوع واللهب اللذّاعة ، والجمر المحرق ، والعذاب الأليم . مع البكاء المر الشديد » [بر ٦٠ : ١ ـ ٨]

والاقتباسات هى

١ ـ « أرضِ ظلام مثلِ دُجى الموت ، وبلا ترتيب ، وإشراقها كالدجى » [أيوب ١٠ : ٢٢] .

٢ ـ « ويخرجون ويرون جثث الناس ، الذين عصوْا علىَّ ، لأن دودهم لايموت ، ونارهم لا تطفأ . ويكونون رذالة لكل ذى جسد » [إش ٦٦ : ٢٤] .

٣ ـ « يُمطر على الأشرار فخاخاً . ناراً وكبريتاً ، وريحَ السموم تصيبَ كالسهم » [مزمور ١١ : ٦] .

ذلك هو كلام المسيح عيسى بن مريم وهو نفسه كلام أنبياء بنى إسرائيل . وهو موافق لما فى القرآن الكريم . فإنَّ مما فيه : ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً * كلما نضجتْ جلودُهم بدّلناهُم جلوداً غيرَها لِيذُوقوا العذابَ * إنَّ اللهَ كانَ عزيزاً حكيماً** ﴾ (النساء : ٥٦)

فهل يعتقد بولس فى بعث الأجساد ؟ لا . إنه لا يعتقد فى بعث الأجساد . فكيف تلتقى المسيحية والإسلام فى اليوم الآخر ؟ إنهما لا يلتقيان .

يقول بولس : « لكن يقول قائل : كيف يُقام الأمواتِ ؟ وبأى جسم يأتون ؟ يا غبى الذى تزرعه لا يحيا إنْ لم يمت . والذى تزرعه . لستَ تزرعُ الجسم الذى سوف يصير حبة مجردة ، ربما من حِنطة أو أحد البواقى . ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد . ولكل واحد من البزور جسمه . ليس كل جسد جسداً واحداً ، بل للناس جسد واحد ، وللبهائم جسد آخر ، وللسمك آخر وللطير آخر . وأجسام سماوية ، وأجسام أرضية . لكن مجد السماويات شئ ، ومجد الأرضيات آخر . مجد الشمس شئ ، ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر ، لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد .

هكذا أيضاً قيامة الأموات . يُزرع فى فساد ، ويُقام فى عدم فساد . يُزرع فى هوان ، ويُقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ، ويقام فى قوة . يزرع جسماً حيوانياً ، ويقام جسماً روحانياً ، يوجد جسم حيوانى ، ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضاً : « صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّة » وآدم الأخير روحاً محيياً . لكن ليس الروحانى أولاً ، بل الحيوانى وبعد ذلك الروحانى . الإنسان الأول من الأرض ترابى . الإنسان الثانى الرب من السماء كما هو الترابى ، هكذا الترابيون أيضاً ، وكما هو السماوى ، هكذا السماويون أيضاً ، وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس أيضاً صورة السماوى .

فأقول هذا : أيها الإخوة . إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم الفساد » [١ كور ١٥ : ٣٥ ـ ٥٠] .

وقد اقتبس بولس من التوراة : « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض . ونفخ فى أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفساً حية » [تك ٢ : ٧] وغرضه من الاقتباس : أن

يقــول : إن أبانا آدم قد خلقه الله من تراب الأرض . وإذْ هو مات ، فإنه سوف يحى . وكيف يحيا ؟ يقول : كما إنك تضع الحبة فى الأرض . فتموت ، ثم تخرج عوداً أخضر ، ثم ينمو ، حتى تصير فيه حبات كثيرة . مثل الحبة الأولى التى دفنت وماتت . هكذا آدم وبنيه . يعودون إلى الله بحياة بجديدة ، كما تعود الحبة بالخضرة التى تختلف عن الحبة . وقوله باطل . وذلك لأن نهاية الحبة المنزرعة فى الأرض ، هى حبات كثيرة تشبه الحبة الأولى . فالبذرة أنبتت ما يشاكلها إلى سبعمائة ضعف . وفى نصوص الكتاب : أن المرء يعود إلى الله بنفس الهيئة التى كان عليها فى الدنيا . ومن نصوص الكتاب : « تنزع أرواحها فتموت ، وإلى ترابها تعود . ترسل روحك فتُخْلَق ، وتُجَدِّد وجه الأرض » [مز ١٠٤ : ٢٩ ـ ٣٠] .

ولماذا قال بولس : « إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ؟ قال بولس هذا القول من أجل التضليل فى « ملكوت الله » الذى دعا عيسى ويوحنا المعمدان إلى اقترابه . وهو ملكوت محمد رسول الله ﷺ . وذلك لأن النبى دانيآل أخبر عن تأسيس ملكوت الله بعد ممالك أربعة تنشأ على الأرض . هى بابل وفارس واليونان والرومان .

ومن المؤكد : أن الملكوت سيكون على الأرض . كما كانت مملكة بابل وغيرها . فقال بولس : إن الملكوت لن يكون أرضياً ، وإنما سيكون روحياً ، فى آخر الزمان . وإذ يُقام بالروح ، تقوم القيامة على إثره بالروح أيضاً . وهو ملك المسيح الروحى ، لا ملك محمد الأرضى . هذا هو غرض بولس . وقد بيَّناه فى غير هذا الموضع . فى كتابنا « حياة القبور » .

٦ ـ وقال الأنبا غريغوريوس : والمعروف : أن الإسلام دين توحيد . وكذلك المسيحية دين توحيد .

* والرد عليه :

إن الإسلام ليس دين توحيد فقط . وإنما هو مُكوَّن من أمرين : الأول : التوحيد . والثانى : التنزيه . فقوله : إن الإسلام دين توحيد هو قول ناقص . وتمامه : إن الإسلام دين توحيد وتنزيه . والمسيحية على المذهب الأرثوذكسى دين توحيد بلا تنزيه . فالمساواة

غير حاصلة بين الإسلام والمسيحية فى التوحيد والتنزيه . وقد ذكر غريغوريوس أدلة على التوحيد فى الإسلام . ولم يذكر أدلة على التنزيه فى الإسلام . وذكر أدلة على التوحيد فى اليهودية والمسيحية . ولم يذكر حقيقة مذهبه وهو أن الله انقلب إلى المسيح ، وأُدخل القبر عنوة ، ليتعذب فى نار جهنم ثلاثة أيام . وهذا ليس من التنزيه فى شئ . ونحن المسلمين واليهود نعبد الله وننزهه ولا نشرك به أحداً . والله الذى نعبده نحن واليهود وننزهه ولا نشرك به أحداً يُسيء إليه النصارى الأرثوذكس بقولهم : إنه انقلب إلى المسيح ، وصفع على وجهه وأُهين ، وحلّ فى بطن العذراء . ومع إساءاتهم هذه ، يعبدونه ويتقونه ويخشونه ويهابونه . ويسئ إليه النصارى الكاثوليك بقولهم : إنه متميز ومنفصل عن الابن ، والابن متميز ومنفصل عن الله . والروح متميز ومنفصل عن الله ، وعن الابن . ومع إساءاتهم هذه ، يعبدونه ويتقونه ويخشونه ويهابونه . فهل هذا تنزيه ؟

ومن نصوص التوحيد في الإسلام :

﴿ وَما مِنْ إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحدٌ ﴾ (المائدة : ٧٣)

ومن نصوص التنزيه فى الإسلام :

﴿ ليسَ كمثلهِ شئٌ * وهو السميعُ البصيرُ ﴾ (الشورى : ١١)

ومن نصوص التوحيد فى التوراة :

« إنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها » [طوبيا ٨ : ١٩]

ومن نصوص التنزيه فى التوراة :

« إنى أنا الله . ليس آخر . أنا الله وليس مثلى » [إش ٤٦ : ٩]

وقال عيسى عليه السلام : يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم .

ففى الأصحاح الرابع من إنجيل متى : « قال له يسوع : اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » [متى ٤ : ١٠]

وفى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى : « وإذا واحد تقدّم وقال له : أيها المعلم الصالح . أىّ صلاح أعمل ، لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد . وهو الله » [متى ١٩ : ١٦ _ ١٧]

وفى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام : « والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى » [يو ١٤ : ٢٤] .

وفى الأصحاح العشرين من إنجيل يوحنا : « قال لها يسوع : يا مريم . فالتفتت تلك وقالت له : ربّونى ـ الذى تفسيره يا معلم ـ قال لها يسوع : لا تلمسينى ، لأنى لم أصعد بعدُ إلى أبى . ولكن اذهبى إلى إخوتى ، وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » [يو ٢٠ : ١٦ ـ ١٧] .

وتشهد الأناجيل الأربعة ورسائل الحواريين بأن عيسى ليس هو الله ، وليس هو ابناً طبيعياً لله . ففى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا : « الله لم يره أحد قط » [يو ١ : ١٨] وحيث إن اليهود والأمم رأوا عيسى عليه السلام فإن عيسى لا يكون هو الله .

وفى الأصحاح الرابع من إنجيل مرقس : « وقال لهم فى ذلك اليوم ـ لما كان المساء ـ : لنجتز إلى العبر . فضربوا الجمع وأخذوه . كما كان فى السفينة ، وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة . فحدث نوء ريح عظيم ، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلىء وكان هو فى المؤخر على وسادة نائماً . فأيقظوه وقالوا له : يا معلم أما يهمك أننا نهلك ؟ » [مر ٤ : ٣٥ ـ ٣٨]

فقوله إن يسوع المسيح كان فى مؤخرة المركب نائماً على وسادة ، يدل على أن يسوع المسيح ليس هو الله رب العالمين . وذلك لأن التوراة تصرح بأن الله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم . ففى المزمور المئة والحادى والعشرين : « أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يَأتى عونى . معونتى من عند الرب ، صانع السماوات والأرض . لا يدع رجلك تزل ، لا ينعس حافظك . إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل »

٧ ـ وقال الأنبا غريغوريوس : إن قانون الإيمان المسيحى ، مطلعه : « بالحقيقة نؤمن بإله واحد »

*** والرد عليه :**

إن هذا من الأنبا كالشاعر الذى يقول :

دَعِ المساجدَ للعُبّاد تسكنها   و مِلْ بنا نحو خمّار ليسقينا

ما قال ربك : ويْلٌ للأُلَى سكـرُوا　　　بل قـــال ربُّــكَ : ويلٌ للمُصلّينا

وكان يجب على الأنبا ذكر القانون بتمامه ، ثم انقسام النصارى بسبب تفسيره ونص القانون هو : « نؤمن بإله واحد . آب ضابط الكل ، خالق كل الأشياء . ما يـرى ومـا لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح . ابن الله . المولود من الآب . المولود الوحيد . أى من جوهر الأب . إله من إله . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق . مساوٍ للآب فى الجوهر . الذى به كان كل شىء فى السماء وعلى الأرض . الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل وتجسَّد وصار إنساناً وتألّم ، وقام أيضاً فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء وسيأتى من هناك ، ليدين الأحياء والأموات .. الخ »

فأين التوحيد يا غريغوريوس ؟

والأقنوم عبارة عن « شخص متميز عن غيره » والأقانيم عند الكاثوليك ذوات إلهية متميزة . أما عند الأرثوذكس فمراحل ثلاثة للذات الإلهية ، التى هى « الله » رب العالمين . وأنت يا غريغوريوس تؤمن بالأقانيم وتقرُّ بها . وإنك إن لم تؤمن بها وتقرُّ بها ، تكون من الكافرين بملّتك . فهل وأنت الآن تساوى بين الإسلام والمسيحية فى التوحيد تقدر أن تنكر الأقانيم ، كما ينكرها المسلمون واليهود ؟ تقدر أن تنكر الأقانيم ؟ فلماذا تدّعى المساواة ؟

* * *

ثانياً ـ ألوهية مريم العذراء

قانون الإيمان عند النصارى الأرثوذكس حبر على ورق . أى لا فائدة منه ولا نفع فيه . وذلك لأن التوراة تكذبه ، والإنجيل يكذبه . وبيان ذلك : إنه ينص على ثلاثة آلهة منفصلين . هم :

١ ـ الآب الذى هو الله رب العالمين .

٢ ـ والابن الذى هو عيسى عليه السلام .

٣ ـ والروح القدس . الذى هو روح الله نفسه . وهذا بحسب اعتقادهم . وبحسب النص نفسه وهو : « نؤمن بإله واحد . آب ضابط الكل . خالق كل الأشياء . ما يرى وما لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح ... وبالروح القدس »

وإنهم بحسب النص ثلاثة : آبٌ ، وابن ، وروح قُدُس . وبحسب أصل كل أقنوم هم اثنان لا ثلاثة فالآب هو الله . والابن هو النبى المنتظر الذى أخبر عنه داود فى المزمور الثانى . ومن المؤكد : أن النبى غير الله ، والله غير النبى . والروح هو لقب لبيركليت الذى تحدث عنه المسيح فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا . وهم ثلاثة فى الظاهر متغايرون ومتميزون . وقانون الإيمان يدل على ذلك . فأين التوحيد ؟

والأرثوذكس يؤمنون بأن الله هو المسيح . أى لا تثليث . فماذا يقولون فى قانون الإيمان الذى ينص بصراحة على التثليث ؟ وماذا يقولون فى أصل نبوءة الابن ، وأصل نبوءة الروح القدس ؟ وهما نبوءتان لواحد ، يعرفه غريغوريوس معرفة جيدة .

بل ماذا يقولون فى « المسيح » الذى هو الله فى مذهبهم . وقد أُهين وجاع وعطش وتعب وأُنزل إلى قبر فيه نار ودخان ؟ هل هذا يليق بالله رب العالمين ؟

انظر إلى قول متى فى الأصحاح السابع والعشرين عن حادثة قتل المسيح وصلْبه : « فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة . فعرّوه وألبسوه رداء قرمزياً ، وضفروا إكليلاً من شوك ، ووضعوه على رأسه ، وقصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود ، وبصقوا عليه وأخذوا

القصـبة ، وضربوه على رأسه . وبعدما استهزأوا به ، نزعوا عنه الرداء ، وألبسوه ثيابه ، ومضوا به إلى الصّلب »

بل ماذا يقول الأرثوذكس فى نصوص التوراة التى تدل على تنزيه الله وتعظيمه . ومنها : « مَنْ مثلك يا الله » ؟ ـــ « إنه لا نظير لك يا رب » . « قد عظمت أيها الرب الإله ، لأنه ليس مثلك ، وليس إله غيرك » ؟ .

والأنبا غريغوريوس كرر القول بأن الله واحد ، ولا يمكن إلا أن يكون واحداً . ولم يكرر القول فى تنزيه هذا الواحد . وأيضاً : لم يحل الإشكالات الواردة على عقيدة تجسد الإله الواحد . كيف يتجسد الإله ويهان ؟!! ولماذا ؟!! وكيف يكون واحداً وفى قانون الإيمان أنهم ثلاثة ؟!! بل لم يذكر الأنبا غريغوريوس أى كلمة عن صفات الله تعالى . الصفات التى تدل على شبهه بإنسان . والصفات التى تدل على كماله . ففى التوراة : أن الله يتأسف ويغضب ويفرح ويمشى ويتحرك . وفى التوراة أن الله على كل شئ قدير . وأنه فعال لما يريد .

فالنقد الموجه إلى المقالة الثانية فى جريدة الجمهورية . هو من جهة نقصانها وعدم وفائها بالمطلوب .

ففى سفر التكوين : « فحزن الرب أنه عمل الإنسان . وتأسّف فى قلبه » [تك ٦ : ٦] وقد قال اليهود والنصارى للمسلمين فى هذا وشبهه :

إن الله تعالى قرّب ذاته المقدسة إلى عقول البشر بنسبته إلى نفسه كل صفات الإنسان ، ليقدر البشر على تصور ذاته . أما هو عز وجل فليس كمثله شئ . وهذا أيضاً وارد عندكم فى القرآن . ففيه : ﴿ **إنَّ اللهَ لا يستحى** ﴾ ـ ﴿ **فلمَّا آسفُونَا** ﴾ ـ ﴿ **ومكَرْنا مكْراً** ﴾ ـ ﴿ **إنَّ اللهَ يحبُّ** ﴾ ـ ﴿ **غضبَ اللهُ عليهم** ﴾ ـ ﴿ **نسُوا اللهَ فنسيَهُمْ** ﴾ والمعنى من هذا كله : أن الله يكلم البشر على قدر عقولهم لا أنه مثل الإنسان . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما عن يد الله وشبهها . فقد قال اليهود والنصارى للمسلمين :

إن النص المحكم هو « ليس مثل الله » وهو محكم ، لأن له معنى واحداً وهو نفى المثل عن الله . والنص المتشابه هو « يد الله » وهو متشابه ، لأنه يحتمل معنيين اثنين

أحدهما : اليد الجسمية . وثانيهما : الكناية عن القدرة . والمتفق منهما مع المحكم هو المعنى الكنائى ، فيكون هو مراد الله تعالى .

وأما عن أن الله قد هجر الأرض ، وتخلّى عن أهلها فلم يرحمهم ، وأنه فقير . وما شابه ذلك . فإن اليهود والنصارى يقولون : هذا قول سفهاء من اليهود . لا نقيم لهم أى وزن . كما فى المسلمين سفهاء ، نسبوا إليه الحلول والاتحاد . وغير ذلك من العبارات الموهمة للكفر والمروق عن الدين .

وعلى ما قدمنا يكون قول الأنبا : « وإذاً فالواحد هو الله . والله واحد . ولا يمكن إلا أن يكون واحداً . ولا يوجد غير إله واحد » قول ظاهره صحيح وحَسن . ولكنه فى الحقيقة ليس هو اعتقاد المسيحيين كلهم . ومن يعتقد منهم بأنه واحد ، فإنه لا ينزهه عن السوء والفحشاء . ألم يقولوا : بأنه هو المسيح . وأن المسيح قد ضُرب وأهين ؟ وشَتَم أمه بقوله لها : « مالى ولك يا امرأة » وأنه قال للمرأة التى أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل : إننى لا أدينك مثل الذين هربوا من إدانتك ، لأنهم كانوا مخطئين . وأن المجدلية التى تابت على يديه ، خرّت عند رجليه . وأنها أخذت مَناً من طيب ناردينٍ خالص كثير الثمن ، ودهنت قدمَى يسوع ، ومسحت قدميه بشعرها ، فامتلأ البيت من رائحة الطيب . ويقول لوقا : « وفيما هم سائرون دخل قرية ، فقَبلته امرأة ، اسمها مرثا فى بيتها » هل هذا تنزيه لله تعالى عن السوء والفحشاء ؟ وهل يعقل عاقل : أن إله السماوات والأرض يتجسّد فى جسد إنسان ، ليُضرب وليشتم أمه ، ولتنسب إليه الخطايا ، ولتخرّ الخاطئات عند رجليه ، وليبيت مع امرأة فى بيتها ؟ مَن يعقل هذا ؟

ولقد جاء فى القرآن الكريم : **﴿ وإذْ قالَ اللهُ : يا عيسى ابنَ مريم أأنتَ قُلْتَ للناس : اتخذونى وأُمّى إلهين من دونِ الله ؟ قال : سُبْحانك * ما يكون لى أنْ أقولَ ما ليس لى بحقٍّ * إنْ كنتُ قلتُه ، فقد علمتَه * تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نفسك * إنك أنتَ علاّمُ الغيوب * ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتنى به : أن اعبدُوا اللهَ ربى وربكم * وكنتُ عليهم شَهيداً ما دُمْتُ فيهم فلمّا توفيتنى كنتَ أنت الرقيبَ عليهم وأنت على كُلِّ شئ شهيد * إنْ تُعذّبهم فإنهم عبادُك وإنْ تغفرْ لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيمُ ﴾** (المائدة : ١١٦ ــ ١١٨)

وهذا الذى هو مذكور فى القرآن الكريم ، موجود عند النصارى إلى هذا اليوم .

فقوله « أن اعبدُوا اللهَ ربّى وربكم » موجود فى الأصحاح العشرين من إنجيل يوحنا . فى قوله لمريم المجدلية : « اذهبوا إلى إخوتى . وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم » [يو ٢٠ : ١٧]

وعن الشهادة يقول عيسى عليه السلام : « ومتى جاء المُعزّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء » [يو ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧] والمعزّى ترجمة كلمة « باراكليت » وبيركليت هى اسم أحمد ﷺ .

وأما عن سؤاله من أجل الحواريين أن يغفر لهم إذا شاء . فهذا مذكور فى الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا وفيه : أنه لم يطلب هلاك المكذبين .

ومن كلامه « أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم . كانوا لك وأعطيتهم لى . وقد حفظوا كلامك . والآن علموا : أن كل ما أعطيتنى هو من عندك لأن الكلام الذى أعطيتنى : قد أعطيتهم . وهم قبلوا وعلموا يقيناً : أنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتنى . من أجلهم أنا أسأل . لستُ أسأل من أجل العالم ، بل من أجل الذين أعطيتنى ، لأنهم لك . وكل ما هو لى ، فهو لك . وما هو لك ، فهو لى . وأنا ممجّد فيهم . ولستُ أنا بعدُ فى العالم . وأما هؤلاء فهم فى العالم ، وأنا آتى إليك . أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك ، الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً ، كما نحن . حين كنت معهم فى العالم كنتُ أحفظهم فى اسمك . الذين أعطيتنى ، حفظتهم . ولم يهلك منهم أحد ، إلا ابن الهلاك : ليتم الكتاب . أما الآن فإنى آتى إليك . وأتكلم بهذا فى العالم ليكون لهم فرحى كاملاً فيهم . أنا قد أعطيتهم كلامك . والعالم أبغضهم ، لأنهم ليسوا من العالم ، كما أنى أنا لست من العالم . لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير . ليسوا من العالم كما أنّى أنا لستُ من العالم . قدّسهم فى حقّك . كلامك هو حق . كما أرسلتنى إلى العالم ، أرسلتهم أنا إلى العالم . ولأجلهم أُقدّس أنا ذاتى ، ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق .

ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط . بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فىّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً

واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني . وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فيَّ ، ليكونوا مُكمَّلين إلى واحد ، وليعلم العالم : أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني أيها الآب أريد أنَّ هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا ، لينظروا مجدى ، الذى أعطيتني ، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم ، أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني . وعرّفتهم اسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتني به ، وأكون أنا فيهم »

التعليق

هذا نص من إنجيل يوحنا ، المقدس عند النصارى ، أعدْ قراءته مرات ومرات . وتأمل مخاطبة يسوع المسيح لله . ولاحظ قوله لله تعالى : « وآمنوا أنك أنت أرسلتني » « أرسلتني إلى العالم » ـ « ليؤمن العالم أنك أرسلتني » ـ « وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني » ومن هذه الملاحظة يتبين : أ ـ أن الله شيء . ب ـ ويسوع المسيح شيء . ويتبين : أ ـ أن الله أرسل يسوع ب ـ وأن يسوع رسول الله . ويتبين : أن المسيح يتذلل إلى الله بأن يرحم المؤمنين به ، من بنى إسرائيل والأمم . لقوله : « ولستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط » يعنى الحواريين « بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم » من سائر الأمم . المعبَّر عنهم فى القرآن بـ « الناس » لأن الألف واللام للعموم . وقد كانت دعوة عيسى عليه السلام فى البدء خاصة ببنى إسرائيل ، ولما فهموا مراده أمرهم بالانطلاق إلى الأمم للتبشير بمحمد ﷺ ويزداد المسيح فى التذلل والخضوع لله ، ليرحم الناس ولا يعذبهم بقوله : « وأحببتهم كما أحببتني » ـ « ليكون فيهم الحب الذى أحببتني به » ـ « وأكون فيهم » بتعاليمى التى سمعها الحواريون منى ، وسمعها غيرهم منهم .

وأما عن ألوهية « عيسى » عليه السلام وأمه مريم رضى الله عنها :

فإن لفظ « الإله » يرد على أ ـ الحقيقة . ب ـ ويرد على المجاز .

وهو على الحقيقة بمعنى المعبود . وعلى المجاز بمعنى السِّيد . فظاهر اللفظ واحد . وحقيقة اللفظ مختلفة . ومثل ذلك مثل لفظ « الساعة » يُستعمل للساعة الزمنية التى هى ستون دقيقة ، ويستعمل للدلالة على القيام من الأموات فى يوم الدين .

والنصارى يستعملون لفظ الإله فى حق عيسى بمعنى العبادة . إذْ هو الله رَبُّ العالمين نفسه على مذهب الأرثوذكس ، وإذْ هو الإله الثانى على مذهب الكاثوليك . أما مريم « فلفظ الإله » عليها من قبيل المجاز ، بمعنى « السيدة » وبيان ذلك :

أن لفظ « الإله » أُطلق مجازاً فى لغة أهل الكتاب على السادة . ففى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك إلهاً لفرعون » [خر ٧ : ١] وفى سفر الزبور : أن الرجال والنساء آلهة أى سادة . ففى المزمور الثانى والثمانين : « أنا قلت : إنكم آلهة . وبنو العلي كلكم » وقد اقتبسها المسيح ذاته فى الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا فى قوله لعلماء بنى إسرائيل « أليس مكتوباً فى ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة » ؟ فمريم رضى الله عنها دخلت فى الألوهية تحت هذا النص ، لأنها من بنى إسرائيل من سبط لاوى ، من نسل النبى المعظم هارون أخى موسى ـ عليهما السلام .

هذا هو المعنى . لا ما جاء فى كتاب « مصباح الظلمة » لابن كبر ـ صفحة ٣٢ أن جماعة من النصارى فى أرض العرب كانت تعبد مريم ويسمون بالمريمانيين .

ومِثْل ذلك فى القرآن الكريم : قوله : ﴿ **وقالتْ اليهود عُزير بن اللهِ وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله ذلك قولهُمْ بأفواههم يُضاهِئُون قَوْلَ الذِين كفرُوا مَن قبلُ . قاتلهمُ الله أنّى يؤفكُونَ** ؟ ﴾ (التوبة : ٣٠)

انظر إلى « عُزّير » وإلى « المسيح » وانظر إلى « ابن الله » ولاحظ : أن « عزير » تصغير وتحقير . وأن « المسيح » ليس على صيغة التصغير والتحقير . واعلم أن فى التوراة : يُطلق لقب « ابن الله » على كل فرد من بنى إسرائيل . رجلاً أو امرأة صالحاً أو فاسداً ، بمعنى المؤمنين بالله ، والمنتسبين اليه لا إلى جماعة الشيطان الرجيم ففى الأصحاح الرابع عشر من سفر التثنية : « أنتم أولاد للرب إلهكم » .

وعزير والمسيح من بنى إسرائيل فهما من أولاد الله مجازاً ، لا حقيقة . وليس ههنا محل الإشكال . وإنما محله هو فى السبب الذى من أجله أطلق اليهود لقب « ابن الله » على عزير والسبب الذى من أجله أطلق النصارى لقب « ابن الله » على المسيح . والسبب : هو أن « عزّرا » لما حرّف التوراة عمداً فى مدينة بابل . وكتبها على ما تهوى أنفس اليهود ، أطلقوا عليه لقب « ابن الله » مبالغة فى تعظيمه فصغّره الله وحقّره بقوله « عزير » وأن المسيح لم يرض بأن يكون ابناً طبيعياً لله ، ولذلك لم يصغّره

الله ولم يُحقِّره . فاللفظ واحد وهو « ابن الله » ووضعه على أحدهما ، غير وضعه على الآخر .

وقد جاء فى القرآن قول فرعون لقومه : ﴿ **مَا علمتُ لكم من إلهٍ غيرى** ﴾ والمراد من لفظ « إله » سيد . وذلك لقولهم له : ﴿ **أتذرُ موسى وقومه ، ليفسدوا فى الأرضِ ، ويذرَكَ وآلهتَكَ** ﴾ ؟ فقولهم « وآلهتك » يدل على أنه كان يعبد غيره ، لا نفسه . فقوله « من إله غيرى » يدل على سيد ورئيس ، لا على أنه إله يُعبد من دون الله .

وخلاصة ما جاء فى كتب النصارى عن عقيدتهم فى مريم العذراء ما يلى :

١ ـ يقولون : إنها « أم الإله » أو « أم إله » أو « أم النور الحقيقى » .

٢ ـ الكاثوليك يعبدونها مثل عبادة الله . فقد قال القديس لويس مارى دى مونغور ـــ الذى يعتبر فى الكاثوليكية صاحب اكتشاف سر عبادة مريم : « التكريم الثالث الذى لا يعرفه إلا القليلون . هذا التكريم هو أن نهب ذواتنا بكليتها إليها ، كأسرى مريم . وليسوع بواسطتها . على أن تقوم جميع أعمالنا مع مريم ، وبواسطة مريم ، وفى مريم ، ولأجل مريم » ويقول القديس توما اللاهوتى : « للقديسين أن يُخلِّصوا من النفوس عدداً يكثر ، أو يقلُّ ، بحسب الاستحقاقات التى أحرزها كل منهم فى زمن وجوده على الأرض ، أما العذراء الطاهرة المجيدة . وهى الممتلئة من الاستحقاقات ، فلها أن تخلِّص جميع البشر » .

٣ ـ المجمع المسكونى الثالث فى مدينة أفَسوس سنة ٤٣١ ب م وضع مقدمة لقانون الإيمان هى : « نعظِّمكِ يا أم النور الحقيقى ، ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة ، والدة الإله لأنك ولدت لنا مُخلِّص العالم . أتى وخلَّص نفوسنا . المجدُ لكَ يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، ثبات الكنائس ، تهليل الصديقين ، غفران الخطايا . نبشِّر بثالوث واحد . نسجد له ونمجده . يا رب ارحم . يا رب بارك . آمين » .

وسبب انعقاد هذا المجمع : قول نسطور : « إن لقب والدة الإله ، له مذاق وثنى . وهو يتعارض مع التعبيرات الواردة فى الكتب المقدسة » .

ووالدة الإله باللغة اليونانية « ثيئوتوكوس » أى « أم الله » ولها صلوات فى الكنيسة

الأرثوذكسية عناوينها هى :

١ ـ المجد لأمك العذراء . ٢ ـ كل الأفراح تليق بك يا والدة الإله .

٣ ـ بشفاعة والدة الإله . ٤ ـ اشفعى فينا يا سيدتنا .

٥ ـ كل الشعوب يسبحون مع لغات الألسن لوالدة الإله .

٦ ـ من أجل هذا كل أحد يرفعك يا سيدتى ... وصلوات أخرى .

ويقول النصارى : إنه فى القرن الخامس الميلادى ظهرت جماعة وثنية كانت تعبد كوكب الزهرة ، اعتنقت النصرانية ، واعتقدوا أن مريم هى ملكة السماء ، أو إلهة السماء بدلاً من الزهرة ، فأصبحت عقيدتهم :

١ ـ الله ٢ ـ ومريم ٣ ـ والمسيح .

وهذه البدعة حاربتها الكنيسة . واندثرت فى القرن السابع الميلادى .

النصرانية أم المسيحية ؟

والأنبا غريغوريوس قال : من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام . ولم يقل بين الإسلام والنصرانية فلماذا قال المسيحية ، ولم يقل النصرانية ؟ وهل هذا منه خداع ؟ .

إنه يقول : أنا مسيحى ، ولا يقول : أنا نصرانى . فلماذا يقول هذا ؟

اعلم : أن الكلمة العبرانية « هانصرى » لها معنيان : الأول : المنذور لله تعالى . أى الرجل الصالح . والثانى : المحتقر فى أعين الشعب . وكان عيسى عليه السلام من المنذورين لله تعالى . هو والنبى يحى عليه السلام لقوله : « فقال الملاك : كونى حاملاً بالنبى الذى ستدعينه يسوع ، فامنعيه الخمر والمسكر ، وكل لحم نجس ، لأن الطفل قدوس الله » [بر ١ : ٨ ـ ٩ لو ١ : ١٥ ـ و ١ : ٣١] ولما جهر فى اليهود بما لا تهوى أنفسهم ، أرادوا قتله ، ونسبوا إليه ما لايليق به من الصفات الخسيسة . ومن هذه الصفات صفة « هانصرى » التى حوّلوها من لقب للمدح والكرامة إلى لقب للاحتقار والازدراء . وقد قبلها وتفاخر بها ليرد كيدهم إلى نحورهم . وأتباعه كان يقال لهم : الهانصريين ، استهزاء بهم . ثم حرفت الكلمة إلى « الناصريين » ثم إلى « النصارى » .

وكل أتباع موسى عليه السلام من أيامه إلى أيام سبى بابل كان يُطلق عليهم « المسلمون » على شريعة موسى . ومن السبى إلى أيام عيسى عليه السلام كان يطلق عليهم « اليهود » أو « بنى إسرائيل » ولما جاء عيسى بالبينات ، وصحح لهم التوراة ، وبيّن لهم التحريفات ، وفسرها تفسيراً حسناً ، كان يطلق على أتباعه من المؤمنين لقب « المسلمون » على شريعة موسى ، لأن المسيح لم ينسخها ولم يبطلها . أما اليهود فكانوا يطلقون عليهم « الناصريين » تحقيراً من شأنهم . ولما انعقد مجمع نيقية ٣٢٥ م واتفق المجتمعون على وضع نبوءات التوراة التى هى لمحمد ﷺ على عيسى عليه السلام صار يطلق على الناصريين لقب « المسيحيين » وإلى هذا اليوم يقول النصرانى : أنا نصرانى ، ويقول : أنا مسيحى . ويقول أيضاً : أنا مسلم .

واليهودى يقول : أنا مسلم ، وأنا يهودى ، وأنا إسرائيلي . ولا يقول اليهودى : أنا مسيحى . وذلك لأنه يعتقد أن « المسيح المنتظر » لم يأت بعد . وأما النصرانى فإنه يقول : أنا مسيحى ، لاعتقاده : أن يسوع هو مسيح اليهود المنتظر .

فليأت الناس بنبوءات التوراة عن « النبى المنتظر » وليضعوها كلها أمام أعينهم ـ وهى كلها عن واحد ـ ولينظروا فى الأوصاف مجتمعة ليروا على مَنْ من الأنبياء تدلُّ ؟ هل تدل على يسوع بن مريم ، أم تدل على محمد بن عبد الله ، أم على نبى لم يأت بعد ؟

بحسب لسان بنى إسرائيل ، تجد كلمة « ها ما شيح » العبرانية ، تُطلق لقباً معظّماً على : أ ـ النبى . ب ـ والعالم . جـ ـ والملك . وهى فى الآرامية « ما شيح » وفى اليونانية « مسيح » وفى اللغات التى لا تنطق الحاء « مَسِيًّا » .

وأصل الكلمة على الحقيقة : هى فى الممسوح بالدهن المقدس . ثم صارت مجازاً ، تطلق على من يصطفيه الله لأداء رسالة مقدسة ، ولو لم يمسح . فموسى مسيح الرب ، لأنه نبى وملك وعالم . والمماثل له فى الأوصاف الثلاثة هو « النبى الأمى الآتى إلى العالم » وطالوت مسيح الرب ، لأنه ملك فقط ، واليسع مسيح الرب لأنه نبى فقط . وكوروش الفارسى أُطلق عليه لقب مسيح لكونه ملكاً ، نبّه الرب روحه ليُطلق اليهود من الأسر ويرجعهم إلى أورشليم .

ورأسُ النُّبوءات التى تدل على المَسِيًّا : هى قول موسى عليه السلام : « يُقيم لك

الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي . له تسمعون ... أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أُوصيه به » [تث ١٨ : ١٥ _ ٢٢] .

وقال يوحنا : إن المسيا هو المسيح الرئيس « مَسيا . الذي تفسيره المسيح » [يو ١ : ٤١] . « قالت له المرأة : أنا أعلم أم مسيا الذي يقال له المسيح يأتي . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ » [يو ٤ : ٢٥] .

وعيسى عليه السلام « مسيح » لكن ليس هو « المسيح الرئيس » وفسر هو نبوءات التوراة _ بحسب لسان بني إسرائيل _ لتدل على محمد ﷺ . ومما قاله لهم : إن النبي الأمي الآتي إلى العالم الذي هو مثل موسى . أنتم تلقبونه بلقب « المسيح الرئيس » كما في الأصحاح التاسع من سفر دانيئال ، ودانيئال حدد زمانه بانتهاء المملكة الرابعة _ وهي مملكة الروم _ على يديه . وإنه سيأتي من بعدي . وكان بنو إسرائيل من بعد سبي بابل يزعم السامريون منهم : أن « المسيح » سيأتي من يوسف الصدّيق ، ويزعم العبرانيون منهم : أن « المسيح » سيأتي من يهوذا ، من نسل داود عليه السلام . فخاطب المسيح عيسى عليه السلام اليهود العبرانيين بلغتهم ، وسألهم : ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ أي « المسيح الرئيس » _ الذي هو النبي الأمي ، والذي هو بيركليتوس الروح القدس _ سيأتي من أي نسل ؟ وأجابوا : من نسل داود . فوبخهم عيسى عليه السلام على قولهم . وقال : لن يأتي من نسل داود . وذلك لأن داود قال عنه بظهر الغيب : إنه سيده . أي لو فرض كونه حياً في وقت ظهوره ، لخضع لشريعته . والابن لا يكون سيداً لأبيه . فإذاً « المسيح الرئيس » _ بحسب لسانكم _ لن يكون من نسل داود . أي لا يكون من اليهود .

وإذا كان « المسيح الرئيس » لن يأتي من نسل داود ، ولا من اليهود . فمن أي نسل سيأتي ؟ أجاب : من نسل إسماعيل يأتي . ولماذا ؟ لأن الله عاهد إبراهيم بالسيّر أمامه ، لدعوة الناس إلى دينه ، ومحو عبادة الأوثان ، والترأس عليهم ، للتمكين لشريعته . وطلب إبراهيم أن يسير نسل إسماعيل أمامه ، كما يسير نسل إسحق ، فاستجاب الله له . ووعده بالبركة في إسماعيل .

وكما بدأتْ بركة إسحق في الأمم من موسى عليه السلام ، وكان من أيامه ملوك

على الأم من بنى إسحق ، تبدأ بركة إسماعيل فى الأم من محمد عليه السلام . ويكون من أيامه ملوك على الأم من بنى إسماعيل . فإن معنى البركة الممنوحة من الله لإسحق وأخيه هى : أن يبدأ نسل إسحق بها أوّلاً . ومعهم كلٌّ بنى إبراهيم بالتَّبَع ، لكنَّ الملوك تكون من بنى إسحق لأن شريعة موسى فيهم ، ثم يبدأ نسل إسماعيل ومعهم كلٌّ بنى إبراهيم بالتبع ، لكن الملوك تكون من بنى إسماعيل ، لأن شريعة محمد فيهم .

وهذا مستفاد من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين . فإن فيه :

١ ـ ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملاً . فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً .

٢ ـ وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك . لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارةُ . وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً ، أباركها فتكون أمماً . وملوك شعوب منها يكونون .

٣ ـ وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة .

اعلم هذا . ثم اقرأ هذا النص من إنجيل متى وهو : « وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » فإن كان داود يدعوه رباً ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » [متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٦] .

إن عيسى عليه السلام يسأل عن ظنهم فى النبى الأمى « المسيح الرئيس المنتظر » الذى أخبر عنه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . ولما أجابوا بأنه سيكون من داود . احتج عليهم بكلام داود نفسه المدون فى المزمور المئة والعاشر . ونصه « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيب عزِّك من صِهيون . تسلَّط فى وسط أعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك ، فى زينة مقدسة . من رحم الفجر لك طَلُّ حداثتك . أقسم الرب ولن يندم : أنت كاهن إلى

الأبد ، على رتبة ملْكي صادَق . الربُّ عن يمينك يُحطم في يوم رجزه ملوكاً . يدين بين الأمم . ملأ جثثاً . أرضاً واسعة ، سحق رءوسها ، من النهر يشرب فى الطريق ، لذلك يرفع الرأس » أ . هـ .

والمعنى : قال داود عليه السلام : إن الله قال لسيدى : اجلس عن يمينى ، كناية عن أن الله معه ، ناصره ومعينه ، وسيجعل أعداءه تحت قدميه . وقال : إنه سيكون ملكاً ، وستظل شريعته إلى الأبد .

ويقول النصارى : إن هذا المزمور يشير إلى يسوع . وهل كان يسوع ملكاً ؟ وهل كان محارباً ؟ وهل كانت معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى ؟

وعلى كلامه عليه السلام المدون فى إنجيل متى ومرقس ولوقا وبرنابا مَنْ يكون هو المسيح الرئيس ؟ هل هو هو أو غيره ؟

يجيب على هذا السؤال . هذا النص من إنجيلِ برّنابا . وهو : « أجاب الكاهن : إنه مكتوب فى كتاب موسى : إن إلهنا سيرسل لنا مَسيًّا ، الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله . وسيأتى للعالم رحمة من الله . لذلك أرجوكَ أن تقول لنا الحقِ . هل أنت مسيا الله الذى ننتظر ؟ أجاب يسوع : حقاً إن الله وعد هكذا ، ولكنى لستُ هو » .

« فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ ...

إن اسمه المبارك : محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك . يا محمد تعالَ سريعاً لخلاص العالم » .

تلك نصوص ذكرتُها للدلالة على أن « النبي » الآتى إلى العالم هو نفسه « المسيح » والمسيحيون أتباعه ، فمن هو هذا النبى الذى يلقبونه بلقب المسيح ، ليوهموا العالم بأنه سيكون من جنسهم أو هم لقبوه بحسب لسانهم ؟ ليجيب النصارى أنفسهم على هذا السؤال .

غير أنى ههنا أسألهم هذين السؤالين : فى أى وقت أُطلق عليكم لقب المسيحيين ؟ وفى أى بلد ؟ إنه أُطلق عليكم بعد مجمع نيقية ، فى القرن الرابع الميلادى . فى مدينة « أنطاكيَة » وذلك لأن سفر أعمال الرسل ، المدون فيه أنكم مسيحيون ليس له وجود فى العالم من قبل القرن الرابع . ومكتوب فيه : « ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكيِة أوّلاً » [أع ١١ : ٢٦] .

وبعد هذا الذى قلته . أقول لأهل العلم من المسلمين وأهل الكتاب :

أولاً : كلُّ المسلمين قد قالوا : إن قول موسى عليه السلام : « يُقيم لك الرب إلهك نبياً ... الخ » يدل على محمد ﷺ ومن كتبهم التى فيها هذا : الجواب الصحيح والجواب الفسيح وهداية الحيارى وتفسير شيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى وتفسير المنار وإظهار الحق والأجوبة الفاخرة . إلى آخره .

ثانياً : كل اليهود والنصارى قد قالوا : إن قول موسى : « يُقيم لك الرب إلهك نبياً » هو الذى يدل على مجئ المسيح المنتظر . ففى سفر أعمال الرسل . يطبق بطرس هذا القول على يسوع . فيقول لليهود : « فتوبوا وارجعوا ، لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . ويرسل يسوع المبشر به لكم قبل ، الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شئ ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ، تباد من الشعْب » [أع ٣ : ١٩ ـ ٢٣] .

وأطلق بُولُس على يسوع بن مريم عليه السلام لقب « المسيح » المنتظر ، لا مسيح . ليبين كما بيَّن بطرس : أن النبوءات قد خُتمت بيسوع ولا نبى من بعده . ففى سفر الأعمال : وأما شاول فكان يزداد قوة ، ويُحيِّر اليهود الساكنين فى دمشق محققاً : أن هذا هو المسيح » [أع ٩ : ٢٢] .

ثالثاً : اعترف يوحنا بأن المسيح المنتظر هو نفسه المسيا ، وقال : إنه لم يكن قد أتى قبل المعمدان ويسوع .

رابعاً : اعترف عيسى عليه السلام ـ طبقاً لرواية الأناجيل الأربعة ـ بأنه ليس هو المسيح . فى قوله لعلماء بنى إسرائيل : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ... الخ

خامساً : اعترف كثيرون من علماء الغرب ـ ومن قبلهم قد اعترف برنّابا بصراحة ووضوح ـ بأن يسوع أعلن أن المسيا ـ أى المسيح ـ سيأتى من بعده . ومنهم الفيلسوف الفرنسى رينان . كما ذكر الدكتور فردريك . و فارار . فى كتابه « حياة المسيح » .

فمن هم المسيحيون يا أيها العلماء ؟ ولماذا الخِداع من الأنبا غريغوريوس فى عنوان المقالتين ؟

هدم عقيدة التثليث بشريعة النذر :

واعلم علِم اليقين : إن مريم العذراء رضى الله عنها كانت أمها تسمى « حنّة » وكان أبوها يسمّى « يهوياقيم » من نسل عمران أبى موسى وهارون عليهما السلام . وكان الزمان من « عمران » رئيس أسرتها إلى « يهوياقيم » ألفاً وخمسمائة وإحدى وسبعين سنة ـ بحساب النصارى ـ يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً . فهى ابنة « عمران » بحسب أنه رئيس العائلة ، وهى ابنة « يهوياقيم » بحسب أنه أبوها المباشر . وأمها نذرتها لله تعالى ـ « فصلّتْ إلى الرب ، وبكت بكاء ، ونذرت نذراً . وقالت : يا ربَّ الجنود إن أنت نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتنى ، ولم تنس أمتك ، بل رزقت أمتك زرع بشر ، فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته » أ . هـ .

وشريعة النذر فى التوراة فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين ، وفى الأصحاح السادسِ والأصحاح الثلاثين من سفر العدد . وفيه : « إذا نذر رجل نذراً ، أو أقسم قسماً أن يلزم نفسه بلازم ، فلا ينقض كلامه . حسب كل ما خرج من فمه ، يفعل . وأما المرأة فإذا نذرت نذراً للرب والتزمت بلازم فى بيت أبيها فى صباها وسمع أبوها نذرها ، واللازم الذى ألزمت نفسها به ، فإن سكت أبوها لها ، ثبتت كل نذورها وكلُّ لوازمها التى ألزمت نفسها به ، تثبت ...

وأما نذر أرملة أو مطلقة . فكل ما ألزمت نفسها به ، يثبتُ عليها ... ولكن إن نذرت فى بيت زوجها ، أو ألزمت نفسها بلازم ، بقسم . وسمع زوجها ، فإن سكت لها ولم ينهها ، ثبتت كل نذورها . وكلُّ لازم ألزمت نفسها به . يثبت ... الخ » .

ويهوياقيم مات بعد ولادة مريم بست سنين . ولما ولدتها أمها ورأتها أنثى تعجبت ، لأنها كانت قد نذرت ما فى بطنها ليظل سائراً أمام الله فى هيكل قدسه بأورشليم طول حياته والأنثى فى الحيض لا تلامس شيئاً من الأقداس ، ولا تدخل القدس لتؤم الناس فى هيكل سليمان . كما فى سفر اللاويين ، الأصحاح الثانى عشر ٣ : « كلَّ شئ مقدس لا تمسَّ ، وإلى المقدس لا تجئ حتى تكمل أيام تطهيرها » وأيضاً : ١٥ : ١٩ ـ ٢٠ .

ثم إن « حنّة » أرضعتها ثلاث سنين ، وذلك لأن تمام الرضاعة فى شريعة التوراة ثلاث سنين . ففى الأصحاح السابع من سفر المكابيين الثانى : « يا بنى ارحمنى . أنا التى حملتك فى جوفها تسعة أشهر ، وأرضعتك ثلاث سنين » [٢ مك ٧ : ٢٧] .

وأم مريم لما كانت قد نذرت ما تلده « مُحرراً » فإن مريم صارت محررة من قبل ولادتها . والمحرر يظل راهباً طول عمره ، فلا يتزوج قط . وكان المنذور يذهب به أهله إلى مدينة « أورشليم » إن كان من طائفة العبرانيين . ليعيش فى الأروقة المخصصة للرهبان بجوار هيكل سليمان على الأموال المخصصة لهذا الغرض . ويعين له الكهنة كافلاً ليشرف على أحواله فى العلم يقول الأنبا غريغوريوس : « وقد أقامت مريم فى رواق النذيريين من الأطفال ، وكانت أمها حنة تزورها من وقت إلى آخر ، تحمل إليها هداياها من طعام ولباسٍ ، إلى أن بلغت العذراء مريم الثامنة من عمرها ، فتوفيت أمها ، وكان أبوها يواقيم قد توفِّى قبل أمها بسنتين أى عندما كانت العذراء مريم فى السادسة من عمرها . وبهذا أمست العذراء مريم فى الهيكل يتيمة من الأبوين فى الثامنة من عمرها . وظلت هناك فى بيت الرب إلى أن بلغت الثانية عشرة من عمرها . وهى سن البلوغ للفتاة ، التى ينبغى فيه للفتاة أن تغادر الهيكل . فإلى أين تذهب ؟ لقد وقع الكهنة فى حيرة من أمرها . إلى أين تذهب ؟ وإلى مَنْ يسلمونها ، ليتولى أمرها ؟ » أ . هـ . وفى كلامه هذا وفاق مع المسلمين وخلاف . فتولِّى أمرها ليس فى سن الحيض ، بل فى بدء دخولها فى أروقة الهيكل .

ومن الخلاف بعد هذا : هو أن النصارى يقولون : إن الكهنة من آل هرون جمعوا عصى الرجال الذين هم داووديون من « بيت لحم » ووضعوها فى الهيكل . وفى اليوم التالى وجدوا عصا « يوسف النجار » قد أفرخت وعملت أوراقاً . وأن حمامة بيضاء قد جاءت واستقرت على رأس يوسف .

وكان يوسف فى ذلك الوقت فى الرابعة والتسعين من عمره . فزوجوها له . وضموها إلى بيته وكان يوسف نجاراً من نسل داود ، من سبط يهوذا .

والمسلمون ينكرون هذا . ويقولون : إن المنذور اللاوى يُوجد فرق بينه وبين غير اللاوى . من المحتمل أنه لا يتزوج ، فقولكم بأن يوسف النجار قد تزوجها ، هو قول باطل ، ثم إن مريم من نسل هرون عليه السلام . ونسل هرون هو القائم بالعلم والدين وهو الذى يتسلم التبرعات من الشعب لإنفاقها فى سبيل الله . وبناء على عملهم هذا ، تكون مريم فى كفالتهم . ولم تكن مريم من « بيت لحم » وإنما كانت من « حبرون » وهى من مدن الكهنة الهارونيين . فإذا حصل اقتراع على كفالتها ، يكون الاقتراع على

رجال « حبرون » الهارونيين الذين هم من سبط لاوِى ، لا من سبط يهوذا . وأحقُّ الهارونيين بكفالتها هو زكريا الكاهن النبى ــ عليه السلام ــ فإنه من نسل هرون . وعنده قريبتها « أليصابات » وكانت « مريم » لا تنقطع عنها . حتى أنها لما أحست بالحمل بيسوع « قامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال ، إلى مدينة يهوذا ، ودخلت بيت زكريا ، وسلمت على أليصابات » [لو ١ : ٣٩ ــ ٤٠] ومكثت عندها فى بيتها ثلاثة أشهر .

ولما ولدت يسوع ، نذرته لله ، وسلّمته للهارونيين فى هيكل سليمان بأورشليم ليتعلم العلم ويكون « محرراً » طول حياته . وظل هو فى رواق النّذيرين إلى أن مارس وظيفته النبوية عن أمر الله ، وسارت معه فى طول البلاد وعرضها .

فنحن المسلمين نمنع صلة يوسف النجار بالعذراء وبابنها يسوع الذى يدعى المسيح . واليهود يوافقوننا على هذا المنع . أما النصارى فإنهم لا يوافقون على هذا المنع ، لغرض : هو إتمام نبوءات التوراة قَسْراً على يسوع المسيح ــ وقد بيّنا هذا فى موضعه ــ ومن مواضعه كتابنا يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية .

وقد بيّن برنابا ولُوقا : أن مريم حملت بالمسيح من قبل أن تعرف يوسف النجار . فقد قال برنابا : « بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر ، بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم ، المثابرة على الصلاة مع الصوم يوماً مّا وحدها ، وإذا بالملاك جبريل قد دخل مُخدعها ، وسلّم عليها قائلاً : ليكن الله معك يا مريم . فارتاعت العذراء من ظهور الملاك . ولكنّ الملاك سكّن روعها . قائلاً : لا تخافِى يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله ، الذى اختارك لتكونى أمّ نبى يبعثه إلى شعب إسرائيل ، ليسلكوا فى شرائعه بإخلاص . فأجابت العذراء ، وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلاً ؟ فأجاب الملاك : يا مريم إن الله الذى صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان ، لأنه لا مُحال عنده . فأجابت مريم : إنى لعالمة : أن الله قدير ، فلتكن مشيئته . فقال الملاك : كونى حاملاً بالنبى الذى ستدعينه يسوع ، فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس ، لأن الطفل قدوس الله . فانحنت مريم بضعة قائلة : ها أنا ذا أمة الرب ، فليكن بحسب كلمتك . فانصرف الملاك » [بر ١ : ٢ ــ ١١] .

[انظر لو ١ : ٣٤ لو ١ : ٣٧ لو ١ : ٣١ قض ١٨ : ٤ و ٧ ولو ١ : ١٥ ولو ١ :

٣٨ ولو ١ : ٤٦ ـ ٥٥] ولاحظ : اتفاق لوقا وبرنابا على قولهما : « كيف يكون هذا ، وأنا لستُ أعرف رجلاً ؟ » لأنها منذورة . ويقول متى : إن الملاك بشرها وهى تعرف رجلاً هو يوسف بالخطْبة لا بالزواج . ثم قال متى : ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . فإذاً بعد ولادتها البكر ـ وهو يسوع ـ قد وطئها ، وأنجب منها ستة أولاد . أربعة ذكور وبنتين . وهذا لا يليق بالراهبات المنذورات .

ويقول النصارى : إن الملاك جاءها بالبشارة وهى فى بيت يوسف . وكانت قد بلغت العذراء ١٣ سنة و ١١ شهر و ٤ أيام ويقول الأرثوذكس والكاثوليك : إنها بعد ولادة المسيح لم يعرفها يوسف بالوطء ، ولم يكن قد عرفها بالوطء وإنما عرفها بالزواج . وفى الأناجيل عبارات يفهم منها : أن يوسف لم يكن زوجاً للعذراء . منها « فقام وأخذ الصبى وأمه » ولم يقل وزوجه . وقال القديس باسيليوس : « إن المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا بزواج العذراء بعد ولادتها السيد المسيح لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم » وماتت العذراء مريم وكانت قد بلغت ثمانية وخمسين سنة وثمانية شهور وستة عشر يوماً .

وقد كتب الأنباغُريغوريوس مقاله عن حياة مريم ـ رضى الله عنها ـ قال فى نهايتها : « ها هو موقف الكنيسة الأثوذكسية بإزاء العذراء مريم . إننا لم نرفعها إلى مقام الألوهية ، كما فعل الكاثوليك ، ولم ندَّعِ كمثل ما ادَّعوا ، دون دليل كتابى أو برهان من التقليد : أن العذراء حبل بها بلا دنس . إذ أن هذه البدعة فوق أنها تعليم حادث ـ يرجع إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ـ فإنها لا تعتمد على نص كتابى ، بل على العكس . هى بدعة ، ترفضها نصوص الكتاب المقدس ، التى تجعل لسان البشر جميعاً بالآثام حبل بى وفى الخطية اشتهتنى أمى . كما أن هذا التعليم يجعل العذراء معصومة من الخطأ كالمسيح ، ويجعلها فى غير حاجة إلى دم المسيح ، مع أنها تقول صريحاً : « تبتهج روحى بالله مخلِّصى » [لو ١ : ٤٧] إن الكنيسة المقدسة ترفض هذا التعليم الغريب ، وتؤمن أن العذراء حبل بها بدنس الخطية كما حبل ويحبل بغيرها من البشر . وكل الفارق : أن العذراء قبيل حلول الأقنوم الثانى فى أحشائها ، حلَّ الروح القدس عليها ، فطهَّر أحشاءها ، ونقَّى دمها من الخطيئة الأصلية ، حتى يكون المسيح وحده هو القدوس بلا شرٍّ .

وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهية والعصمة ، كذلك ضلَّ

البروتستانت ضلالاً شنيعاً حين احتقروها ، وجهلوا وتجاهلوا نعمة الله عليها وفيها . لكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علمت فى العذراء تعليماً مستقيماً ، فلا تؤلهها ولا تحتقرها ، بل تكرمها وتطوبها » أ هـ .

وليس فى إنجيل لوقا : أن مريم العذراء من بيت داود من سبط يهوذا . وإنما فيه أنها من بيت هارون ـ كما قرر القرآن الكريم فى نسبها ـ فقد قال لوقا : إنها قريبة لأليصابات . وهى من بنات هرون ، وزوجها زكريا من أولاد هرون [لو ١ : ٥] . ثم قال : « وفى الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل ، اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم » [لو ١ : ٢٦ ـ ٢٧] لقد قال مخطوبة لرجل داوودى ، ولم يقل : إنها داوودية ، وبعد ذلك قال لوقا : إن اليصابات قريبة لمريم [لو ١ : ٣٦] فإذا كانت أليصابات هارونية ، ومريم لها من الأقرباء . فإن مريم تكون هارونية . وذلك لأن شريعة التوراة تحرم البنت من الميراث فى سبطها إذا تزوجت رجلاً من غير سبطها . وهذا فى سفر العدد ٣٦ : ٨ ، ٩ وقد أخطأ لوقا ـ إن كان هو الكاتب وليس هو ، فالحشر ههنا فى الإنجيل بعد مجمع نيقية ـ فى قوله : أن مريم كانت فى « الناصرة » وهى من مدن الجليل أثناء البشارة ، وفى قوله : إنها كانت مخطوبة لرجل داوودى . وذلك لأن الناصرة قرية من قرى الجليل الذى يسكنه اليهود السامريون . وهم كفار فى نظر اليهود العبرانيين .

فكيف يقبل العبرانيون ولداً ـ هو يسوع ـ فى أورشليم وهو من السامريين الكفار فى نظرهم ؟ [يو ٤ : ٩] .

وقوله : إن مريم قريبة لأليصابات ، ينفى أنها تخطب لغير لاوى من سبطها ، فكيف يخطبها يوسف ؟ فالحق الذى لا مرية فيه : هو أن امرأة عمرانَ أم مريم . نذرتها لتظل طول عمرها بلا زوج . وأن مريم نذرت ابنها ليظل طول عمره بلا زوجة . وأن هذه العائلة كانت فى مملكة العبرانيين حول مدينة القدس « أورشليم » وأن عمران هو رئيس العائلة . ومعنى امرأة عمران : امرأة من نسله منتسبة إليه . ومعنى ابنه عمران : امرأة من نسله منتسبة إليه . ومعنى يا أخت هارون : أنها من نسل هارون ابن عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم . وأن البشارة بالحمل كانت فى أيام انتذارها بالهيكل . وقد خرجت منه إلى « حبرون » ففاجأها المخاض إلى جذع النخلة .

وقولهم بكفالة يوسف لها ، لأنها يتيمة الأبوين . قول باطل . وذلك لأن الكافل

للمنذور يعينه له الكهنة حال دخوله أروقة النذيرين . وفى القرآن : أن الكافل لها هو زكريا عليه السلام وأنه كلما دخل عليها المحراب وهو هيكل سليمان وجد عندها علماً بالتوراة وآدابها ، علماً تفوق به أقرانها وقيل : طعاماً تحمله الملائكة . ولذلك طلب من الله ولداً يرثه ويرث من آل يعقوب .

وإذا خرجت المنذورة فى سن الحيض من الهيكل . فإنها تمارس وظيفتها الدينية فى العبادة والتعليم ، وتعيش على الأموال المخصصة لهذا الغرض من عند الكهنة ، ولا تتزوج . فما فائدة أن يكفلها إنسان فى هذه السن ؟ .

ويقول الأرثوذكس : إن مريم بعدما ولدت يسوع المسيح ، لم تفقد بتوليتها . أى لم تصر امرأة ، بل ظلت عذراء ، ودامت بتوليتها إلى أن ماتت بعد ابنها بثمان سنوات تقريباً . وجاء فى كتب التقاليد عندهم : أن العلاّمة أوريجين قال : « لقد تسلمنا تقليداً فى هذا الشأن : أن مريم قد ذهبت إلى الهيكل بعدما أنجبت المخلّص ، لتتعبد ، ووقفت فى الموضع المخصص للعذارى . وحاول الذين يعرفون عنها أنها أنجبت ابناً طردها من الموضع ، لكن « زكريا » أجابهم : أنها مستحقة المكوث فى موضع العذارى . إذ لا تزال عذراء » [Com in Met 25 ص ١٨ القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ـ القمص تادرس يعقوب] .

انظر إلى كلام « أوريجين » ودقق النظر فيه . تجد أن مريم ذهبت إلى أروقة الهيكل بعد ولادة المسيح لتقيم حيث كانت تقيم من قبل . فى الموضع المخصص للراهبات العذارى . فهى إذن لم تخطب ولم تتزوج بحسب شريعة النذر المحتمل أنها تحرم الزواج على المنذورة اللاوية . ولاحظ : أن المدافع عن حقوقها هو النبى زكريا والد يوحنا المعمدان . فالكافل لها فى الهيكل من الصغر هو زكريا كما قال القرآن الكريم .

تفسير كلمة مريم :

قد وُجدت تفاسير متباينة لمعنى هذا الاسم من الجانب اللغوى . نذكر منها :

أولاً : كما أن اسم موسى وهارون مصريان أصيلان ، فإنه يحتمل أن يكون اسم أختيهما أيضاً مصرياً « ميريام » مشتقاً عن كلمتين :

أ ـ « ميرى » مأخوذ عن فعل « مر » أى يحب . فتعنى « محبوبة » .

ب ـ « يام » كان مستخدماً لـدى المصريـين للإشـارة إلى الاسم الإلهـى العـبرى « يهوه » وبهذا فإن « ميريام » تعنى « المحبوبة لدى الله » .

ثانياً : يرى الحاخامات الأوائل القدامى أن اسم مريم يحمل رمزاً لمرارة العبودية ، التى عانى منها بنو إسرائيل فى مصر . فكلمة مريم ـ فى نظرهم ـ مأخوذة عن العبرية Merur جاءت عن قسوة معاملة المصريين لهم .

ثالثاً : يرى بعض الكتاب المسيحيين الأوائل : أن الكلمة العبرية « مريام » جاءت مشتقة عن كلمتين :

أ ـ « مار » يعنى « مر » . ب ـ « يم » يعنى « بحر » فكلمة مريم تعنى « مرارة البحر » .

رابعاً : يرى البعض : أن كلمة « مريم » هى مؤنث الكلمة الآرامية « مار » ومعناها : « سيد » فتعنى : « سيدة » .

خامساً : فى الكتب الإسلامية تعنى : العابدة الخادمة . [عن الثعلبى النيسابورى . المتوفى سنة ٤٢٧ هـ] .

المسيح وأمه فى هيكل سليمان :

أعد قراءة كلام العلامة أوريجين . وهو أن مريم قد ذهبت إلى الهيكل بعدما أنجبت ابنها يسوع المسيح . وعاشت فى أروقة النذيرات ، لتعلّم العلم للصغيرات المنذورات .

وفى إنجيل يعقوب : أن القديسة مريم وُلدت من يواقيم وحنة الشيخين ، وأن والدتها قد نذرت ابنتها خادمة للرب كل أيام حياتها . وفى الثالثة من عمرها قدمت مريم للهيكل حيث كانت تغتذى بأيدى ملائكة . هذا من إنجيل يعقوب الأولى .

ومن كلام يعقوب وأوريجين يتبين : أن مريم عاشت فى الهيكل إلى أن حملت بالمسيح ثم لما أحست بدنو الوضع تركت الهيكل ، واتجهت إلى « حبرون » وهى مدينة الخليل ، ووضعته فى الطريق ، وحملته فى اليوم التالى إلى أهلها . وأراد أهلها أن يحرقوها بالنار لأنها فى نظرهم زانية . والزانية إذا كانت ابنة كاهن تحرق ، ولا ترجم . فأنطق الله المسيح ببراءتها . وبعدما أرضعته ثلاث سنوات فى « حبرون » انطلقت به إلى

الهيكل وقدَّمته نذيراً للرب . وعاشت معه . هى فى مكان المنذورات . وهو فى مكان المنذورين . فى بيت واحد . مثل ما عاش موسى عليه السلام مع أمه « يوكابد » فى بيت فرعون مصر .

ومن المحتمل : أن قوله : « فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ، ثم رجعت إلى بيتها » [لو ١ : ٥٦] . يدل على ذلك . فإن لوقا تتبع بتدقيق ولم يكن معصوماً من الخطأ ، ويكون المعنى : أن مريم مكثت نحو ثلاث سنين هى مدة الرضاعة فى بيت زكريا وأليصابات ، ثم رجعت إلى مكانها فى الهيكل ، ولا يصح أن يكون الرجوع لبيت أم مريم . فإن بيت أليصابات هو نفسه بيت أمها ، وفى سفر اللاويين ١٢ : ٤ أن المرأة الوالدة ذكراً تبقى فى المنزل بعد ختان الطفل الذى يحدث فى اليوم الثامن مدة ثلاثة وثلاثين يوماً أخرى . فمدة التطهير تستمر أربعين يوماً . ومن المؤكد أن مريم عاشت هذه المدة فى بيت أليصابات قريبتها ، وأنها فى اليوم الثامن ختنته فى بيتها ، وفى اليوم الأربعين صعدت به إلى أورشليم لتقدم زوج يمام أو فرخى حمام ، لأنه ابن بِكْر .

هذا هو الحق . وما عدا هذا من كونه كان من أبناء « الناصرة » ، وأنه اشتغل بالنجارة مع يوسف النجار ، وأنه هو « المَسيًّا » الذى سيملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، وأن يوسف كان من سبط يهوذا ، ويعيش مع السامريين فى مدن الجليل ، وأنه أخذ مريم من الناصرة ليسجل اسمه واسمها فى التعداد الذى صدر من أوغسطس قيصر فى بيت لحم . وبينما هما فى الطريق ، ولدت المسيح فى بيت لحم . فكل هذا من المحرفين لأغراض نعرفها ويعرفها أهل الكتاب .

ونصوص الكتب تبينها ، فإن مدن الجليل ـ والناصرة منها ـ هى مدن السامريين ، فكيف يعيش يوسف بينهم وهو من اليهود العبرانيين ، من سبط يهوذا ؟ وكيف ينزل إلى بيت لحم ليسجل اسمه فى التعداد . مع أن زمان التعداد مشكوك فيه . هل كان قبل ولاية « كيرينيوس » أم بعد ولايته ؟ وكيف يشتغل نجاراً وقد حكى لوقا أنه كان فى الهيكل بين المعلمين يسمعهم ويسألهم ؟ وقد كان المسيح معلماً فى الهيكل وإماماً للناس وقارئاً وشارحاً للناموس فى أيام السبت . ولا يقوم بهذا إلا الهارونى . وقميصه قد اقترعوا عليه لأنه كان بلا خياطة من فوق . وهذا زىُّ الهارونيين . وكانوا ينادونه بالربِّى .

وهو لقب العلماء العظام من بنى هرون . وكيف يقولون إنه هو الملك الآتى ليملك على بيت يعقوب . وهو ما حكم وما ملك . وقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؟ .

ويعتقد النصارى فى شفاعة مريم للخطاة والآثمين . ويفرقون بين شفاعتها وشفاعة القديسين بقولهم : إن شفاعة القديس تسمى « صلاة » أى يصلى من أجل المذنب ويطلب له المغفرة . أما شفاعة مريم فتسمى « شفاعة » ومعناها كما يقول الأنبا غريغوريوس ـ : « أن العذراء تستطيع من ذاتها أن تعطينا سؤلنا ، تستطيع ذلك بشفاعتها وصلواتها ، وبالدّالة التى لها عند ابنها الحبيب . مثال ذلك : ما ورد فى بعض الصلوات : « هيئ لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء . فإليك أتضرع ، وبك أستشفع ، وإياك أدعو ، أن تساعدينى ، لئلا أخزى . وعند مفارقة نفسى من جسدى ، إحضرى عندى ، ولمؤامرة الأعداء اهزمى ، ولأبواب الجحيم اغلقى » أ . هـ .

لاحظ ما نقلناه عن غُريغوريوس سابقاً . وهو : « إننا لم نرفعها إلى مقام الأُلوهية كما فعل الكاثوليك » واسأل نفسك : ما هو الفرق بين الكاثوليك والأرثوذكس فى الطلب من العذراء ؟ .

شريعة فك المنذور :

وقال الأنبا غريغوريوس ما نصه : « لكن هناك أمراً آخر يستوقف النظر . وهو أن العذراء مريم نذيرة للرب من بطن أمها . والنذر جاء من منطوق فم أمها ، وكان برغبتها ومنطلق حريتها . ولم تكن فى ذلك مقهورة أو مجبرة « فصلّت إلى الرب ، وبكت بكاء ، ونذرت نذراً ، وقالت : يا رب الجنود إن أنت نظرت نظراً إلى مذلة أَمَتك وذكرتنى ، ولم تدنس أمتك ، بل رزقت أمتك زرع بشر ، فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته » ولما ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوى فيما هى تصلّى ، وقال لها : « يا حنّة إن الله سمع لدعائك وصلواتك ... الخ » . قالت : كل أيام حياتها فى هيكله المقدس .

ولم يتعرض لفكّ النذر بقليل أو بكثير : لا هو ولا غيره . وذلك لأن النذر لم يُفك من حنة امرأة عمران ، ولم يفك من مريم ابنتها لا لنفسها ولا لابنها الذى هو يسوع الذى يدعى المسيح . ففى الأصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين : « وقال الرب

لموسى : أوص بنى إسرائيل : أنه إذا نذر أحد نفسه أو سواه للرب ، فإن فداء المنذور يكون بموجب جدول تقويمك التالى حسب موازين القدس : يفتدى كل ذكر من ابن عشرين إلى ابن ستين سنة بخمسين شاقلاً [نحو ست مئة جرام] من الفضة ، وتفتدى كل امرأة منذورة بثلاثين شاقلاً [نحو ثلاث مئة وستين جراماً] من الفضة . أما إن كان المنذور ذكراً من ابن خمس سنوات إلى عشرين سنة ، فيفتدى بعشرين شاقلاً [نحو مئتين وأربعين جراماً] من الفضة أما فداء الأنثى فيكون عشرة شواقل [نحو مئة وعشرين جراماً] وإن كان عمر المنذور بين شهر وخمس سنوات ... الخ » .

المنذور اللاوى فى بنى إسرائيل :

بنو إسرائيل عليه السلام هم :

١ ـ رأُوبين ٢ ـ شِمْعون ٣ ـ لاوِى ٤ ـ يهوذا ٥ ـ زَبُولون ٦ ـ يَسَّاكَرَ
٧ ـ دان ٨ ـ جاد ٩ ـ أشير ١٠ ـ نَفْتالى ١١ ـ يوسف ١٢ ـ بنّيامين

بنو يوسف عليه السلام هما : ١ ـ أفْرايم ٢ ـ مَنَسَّى . واللاويون لا يُعَدُّون . فيكون العدد اثنا عشر سبطاً .

والولد الثالث وهو لاوِى . جعل الله فى ذريته الإمامة فى الدين على بنى إسرائيل . وجعل نسل هارون عليه السلام من سبط لاوى فَوْق اللاويين منزلة . فيكون منهم الكاهن الأعظم والأئمة العظام ، وسائر اللاويين مقيمى شعائر وحفظة طقوس ، ومرتبى عادات دينية فى الأعياد والمواسم ، ومعلمى ناموس وكتبة عقود .

فاللاوىُّ بحكم عمله هذا عند هيكلِ سليمان ، وعند الجوامع فى كل أنحاء العالم يكون مُكرَّساً للرب طول حياته ، ومنفرزاً ومفصولاً عن سائر الأسباط ، ومتميزاً « والكاهن الأعظم بين إخوته ، الذى صُبَّ على رأسه دُهن المسحة ، ومُلئت يده ، ليلبس الثياب ، لا يكشف رأسه ، ولايشق ثيابه ، ولا يأتى إلى نفس مَيتة ، ولا يتنجس لأبيه أو أمه ، ولا يخرج من المقدس . لئلا يدنس مقدس إلهه . لأن إكليل دُهن مسحة إلهه عليه . أنا الرب . هذا يأخذ امرأة عذراء . أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية . فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة » [لا ٢١ : ١٠ ـ ١٤] .

وإذا نذر رجل نفسه للرب من غير سبط اللاويين . فإنه يكون مثل اللاويين مقيمى

الشعائـر ، لا مثل الهارونيين الأئمة العظام . وعليه أن يقدم التقدمات للرب ، من مواش وخبز وفطير وزيت عند المذبح ، ويتزوج النساء العفيفات إذا أراد ، ما لم يكن قد اشترط فى نذره : أنه لا يتزوج النساء ، فشمشون كان من سبط « دان » وكان منذوراً لله من بطن أمه ، وخطب امرأة من أهل فلسطين من قبل أن يتحلل من نذره بحلق رأسه . وصموئيل النبى الذى ملّك على بنى إسرائيل طالوت ، كان منذوراً لله من البطن وكان متزوجاً وله ولدان هما يوئيل وأبيًا . وكان من سبط « أفرايم » .

أما إذا كان المنذور من اللاويين أنفسهم . فلماذا ينذر نفسه ، وهو مكرّس للرب سواء نذر نفسه أو لم ينذرها ؟ وإذا كان من الهارونيين الأئمة . فلماذا ينذر نفسه ، وهو مكرس للرب ، سواء نذر نفسه أو لم ينذرها ؟ لا بد من شئ زائد . وهو أنه لا يقرب النساء البتة .

وأليصابات امرأة زكريا ـ عليه السلام ـ وهى هارونية وزوجها هارونى ، نذرت ابنها يحى ـ عليه السلام ـ لله تعالى من البطن . فما هو الفرق بينه إذا كبر وبين صموئيل وشمشون فى خدمة الرب ؟ ففى الأصحاح الأول من لوقا : « فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً ، وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفرحون بولادته ، لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس » [لو ١ : ١٣ ـ ١٥] .

ومريم العذراء ـ رضى الله عنها ـ وهى هارونية ، نذرت ابنها عيسى ـ عليه السلام ـ لله تعالى من البطن . فما هو الفرق بينه إذا كبر ، وبين صموئيل وشمشون فى خدمة الرب ؟ ففى الأصحاح الأول من برنابا : « فأجاب الملاك : يا مريم . إن الله الذى صنع الإنسان من غير إنسان ، لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان ، لأنه لا محال عنده . فأجابت مريم : إنى لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته . فقال الملاك : كونى حاملاً بالنبى الذى ستدعينه يسوع . فامنعيه الخمر والمسكر ، وكل لحم نجس ، لأن الطفل قدوس الله . فانحنت مريم بضعة قائلة : ها أنا ذا أمة الرب ، فليكن بحسب كلمتك فانصرف الملاك ، أما العذراء فمجدت الله قائلة : اعرفى يا نفس عظمة الله ، وافخرى يا روحى بالله مخلّصى . لأنه رمق ضعة أمته ، وستدعونى سائر الأمم مباركة ، لأنه الله القدير

صيَّرنى عظيمة . فليتبارك اسمه القدوس ، لأن رحمته تمتد من جيل إلى جيل ، للذين يتقونه . ولقد جعل يده قوية فبدد المتكبر المعجب بنفسه ، ولقد أنزل الأعزاء من عن كراسيهم ، ورفع المتضعين . أشبع الجائع بالطيبات ، وصرف الغنى صفر اليدين ، لأنه يذكر الوعود التى وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد » [بر ١ : ٦ ـ ٢٢] .

والنصارى يُنكرون أن مريم هارونية ، ولا يُصرحون بأن عيسى ابنها كان منذوراً وإنما يلوحون ، مع أن لوقا قال عبارات تدل على نـذره ، وتـدل على أنهـا هارونيـة . منها : « وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » ـ « فقالت مريم : هو ذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك . فمضى من عندها الملاك » ـ فقالت مريم : تعظم نفسى الرب ، وتبتـهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر إلى اتضـاع أمتـه . فهـو ذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى ، لأن القدير صنع بى عظائم ، واسمه قدوس ، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه . صنع قوة بذراعه . شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الأعزاء عن الكراسىِّ ، ورفع المتضعين . أشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فارغين، عضد إسرائيل فتاه ، ليذكر رحمة . كما كلم آباءنا : « لإبراهيم ونسله إلى الأبد » .

وقال لوقا : إن جبرائيل ملاك الله قال لمريم : « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك ... الخ » لاحظ : كلمة « القدوس » الموصوف بها يسوع المسيح ، عند لوقا ، ولاحظ « لأن الطفل قدوس الله » عند برنابا . تجد أن لوقا وبرنابا صرحا بأن المسيح كان منذوراً لله من البطن .

ومن تلويحات النصارى . قول الأنبا شنودة الثالث ما نصه :

« النذر لكى يكون صحيحاً يلزمه تحقيق شرطين : الأول حرية الناذر . كأن يكون إنساناً ناضجاً فى غير وصاية أحد ، فإن كان الناذر عبداً يتحرر من النذر إن سمع سيده بالنذر واعترض حال سماعه ، وأيضاً : إن كان الناذر زوجة ، فلا تلتزم بالنذر ، إن اعترض رجلها عند سماعه بالنذر ، وهكذا الفتاة التى فى بيت أبيها . أما الشرط الثانى : فهو أن يكون موضوع النذر مقدساً ، وليس نجساً . وإلاَّ دفع عنه فدية ، فلا يجوز تقديم حيوانات نجسة مثلاً فى بيت الرب ، ولا يجوز أيضاً تقديم النذر من ثمن خطية ، كأن تفى سيدة نذرها من أُجرة زناها . . إذن من هو هذا النذير الكامل الحرية ، الذى يقدم نذراً مقدساً يفرح قلب الآب ، إلا كلمة الله المتجسد » أ . هـ .

ويقول النصارى فى دوائر المعارف تحت كلمة نذر ونذور ما نصه :

« نذر - نذور » VOWS لم يكن هناك وصية للإسرائيلى بأن ينذر نذراً - ولكن النذور كانت اختيارية - وكل من ينذر نذراً كان ملزماً أن يفى به - الإنسان الطبيعى يفتخر بقوته ولا يدرك أنه ضعيف فى ذاته - والنذر يفترض أن من ينذر له القدرة على الوفاء - لما سمع الإسرائيليون الناموس لم يترددوا أن يقولوا « كل ما أمر به الرب نفعل » لكنهم بكل أسف فشلوا فشلاً محزناً - والناموس جعل كل من ينذر نذراً أنه ملتزم بما نذر - وأعطى ارشادات للحالات الاستثنائية فى حالة استحالة ايفاء النذور . عد ٣٠ : ٢ - ١٤ ، تث ٢٣ : ٢١ - ٢٣ ، مز ٥٠ : ١٤ ، جا ٥ : ٤ و ٥ ، نح ١ : ١٥ .

وحالات النذر التى فى العهد الجديد هى من متعلقات النظام اليهودى ، فيذكر النذر الذى كان على أكيلا الذى دخل كورنثوس يهودياً وخرج منها مسيحياً لذلك حلق رأسه فى كنخريا وليس هذا إتماماً للنذر بل إلغاء له بعد أن صار مسيحياً لأن حلاقة رأس النذير لا تكون إلا فى الهيكل عد ٦ : ١٨ ، أع ١٨ : ٢ و ١٨ - ثم يذكر الرجال الأربعة الذين كان عليهم نذر فى أورشليم أع ٢١ : ٢٣ وهؤلاء كانوا نذيرين كيهود وطبقاً للناموس كانت حلاقة الشعر للنذير تتم مع تقديم الذبائح لدى باب خيمة الاجتماع أو الهيكل .

« نذير - شريعة النذير » عد ٦ : ١ - ٢١ هذا التعبير معناه الانفصال أو الانفراد لله - وكان على النذير أن يتمم ثلاثة شروط :

١ - لا يشرب خمراً ولا يأكل عنباً رمزاً لانفصاله عن المسرات العالمية .

٢ - لا يُمِرّ موسى على رأسه بل يرخى شعره (وعيب أو عار على الرجل أن يرخى شعره ١ كو ١١ : ٧ و ١٤) وذلك رمز لإنكاره لذاته والتخلى عن حقوقه وكرامته كرجل بالنسبة للعالم لكى ينفصل لله بغضّ النظر عما يقوله الناس عنه نظير موسى الذى حسب عار المسيح غنى . عب ١١ : ٢٦ .

٣ - لا يمس جسد ميت رمز تجنبه أية نجاسة أدبية التى هى سمات دائرة الموت والتجنب عن الله .

وإذا مات ميت فجأة بوجود النذير تنجس رأس انتذاره فيحلق رأسه ويقدم الذبائح ثم يبدأ النذر من جديد وكل الأيام السابقة لا تحسب - وعندما تكمل أيام انتذاره يقدم الذبائح والتقدمة والسكيب بالاضافة إلى القرابين التى تقدم عند تكريس الكهنة (انظر

تكريس الكهنة) فيحلق رأسه ويحرق شعره بالنار التى تحت ذبيحة السلامة رمز كمال الشركة الناتجة عن ذبيحة المسيح عد ٦ : ١ ـ ٢١ .

والنذير الذى يقيمه الله هو شخص منفصل عن الفساد الأدبى ضعيف فى ذاته لكى يقرن الله قوته بضعفه ويستخدمه لصالح شعبه الذى يكون تحت ضغط من الأعداء الذين يضايقونه فى داخل بلاده كما حدث من الفلسطينيين قديماً فى أيام شمشون ، فالنذير يزود بقوة الروح القدس من جهة ومن الجهة الأخرى ينفصل عن كل أسباب الفساد وسائر الشهوات التى يعيش فيه الشعب نظير يوحنا المعمدان .

وكان شمشون نذيراً للرب من البطن مرسلاً من الرب لكى يخلص الشعب من الأعداء ولكنه أفشى سر انتذاره وختم إرساليته بموته قض ١٣ : ١ ـ ٥ .

أما الرب يسوع فكان النذير الحقيقى ـ القدوس ـ المنفصل عن الخطاة ـ لم يكن يشترك فى الأفراح الأرضية ولكنه كان رجل الأحزان ـ حياته كلها لله وأخيراً مات عن الخطية والخطايا . وفيه تمت كل الذبائح ـ والمسيح الآن فى السماء كالنذير ينتظر اتمام أيام انتذاره لكى يشرب كأس الأفراح فى الملكوت مع خاصته مت ٢٦ : ٩ ـ والمؤمنون الآن هم أيضاً نذيرون لله من الوجهة الروحية باعتبارهم مقدسين فى المسيح يسوع ١ كو ١ : ٢ ولقد قال الرب عنهم « ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق » يو ١٧ : ١٩ » أ . هـ .

وفى الكتاب المقدس ترجمة دار المشرق تعليق على الأصحاح السادس من سفر العدد نصه :

« يلتزم المنذور بالامتناع ، لمدة نذره ، عن قصّ شعره وشرب المسكرات والاقتراب من الجثث . وتعبر القاعدة الأولى عن تكرسه لله وعمل الله فيه (راجع تك ٤٩ / ٢٦ وتث ٣٣ / ١٦ حيث يطلق هذا اللقب على يوسف) ، وتدل القاعدة الثانية على رفضه العيشة السهلة (راجع ما يقال فى الريكابيين فى أر ٣٥ / ٥ ـ ٨) . وأما القاعدة الثالثة فهى عبارة عن انتسابه الخاص إلى الله (راجع ما يقال فى الكهنة فى أح ٢١ / ١ ـ ٢ و ١٠ ـ ١١) . راجع عا ٢ / ١١ ـ ١٢ وأمثالاً عن هذا النذر الموقت فى رسل ١٨ / ١٨ و ٢١ / ٢٣ ـ ٢٦ . وكان باستطاعة الأم أن تنذر ولدها : مثل شمشون (قض ١٣ / ٥ ـ ٧ و ١٤ و ١٦ / ١٧ وصموئيل (١ صم ١ / ١١) ويوحنا

المعمدان (لو ١ / ١٥) أ . هـ .

ونص التوراة من ترجمتهم هو :

« ١ وخاطب الرب موسى قائلاً : ٢ « كلّم بنى إسرائيل وقُلْ لهم : أى رجل أو امرأة أراد أن ينذر نذر النذير للرب . ٣ فليمتنع عن الخمر والمسكر ولا يشرب خل خمر وخل مسكر ، ولا يشرب أى عصير من العنب ، ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً ، ٤ ولا يأكل طوال أيام نذره من كل ما يصنع من جفنة الخمر ، من الحَب إلى القشر . ٥ وطوال أيام نذره لا تمر موسى برأسه ، ويكون مقدساً إلى أن تتم الأيام التى نذر فيها نذر النذير للرب ، ويربى خصل شعر رأسه . ٦ وطوال أيام نذره للرب لا يدخل على جثة ميت : ٧ ولا يتنجس لا بأبيه ولا بأمه أو أخيه أو أخته عند موتهم ، لأنه نذر إلهه على رأسه . ٨ إنه كل أيام نذره مقدس للرب .

٩ فإن مات عنده ميت فجأة على بغتة وتنجس رأسه وهو النذير ، فليحلق رأسه فى يوم طهره ، فى اليوم السابع يحلقه . ١٠ وفى اليوم الثامن يأتى بزوجى يمام أو فرخى حمام إلى الكاهن ، إلى باب خيمة الموعد ، ١١ فيصنع الكاهن أحدهما ذبيحة خطيئة والآخر محرقة ، ويكفر عنه ما خطئ به بالقرب من الميت ، ويقدس رأسه فى ذلك اليوم . ١٢ فينذر للرب أيام نذره ، يأتى بحمل حولى ذبيحة إثم ، وتسقط الأيام السابقة ، فقد تنجس نذره .

١٣ وهذه شريعة النذير : يُؤْتى به ، يوم تتم أيام نذره ، إلى باب خيمة الموعد . ١٤ فيقرب قربانه للرب : حملاً حولياً تاماً للمحرقة ، ونعجة حولية تامة لذبيحة الخطيئة وكبشاً تاماً للذبيحة السلامية ، ١٥ وسلة فطير من سميذ ، أقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاقات فطير مدهونة بزيت ، وتقدمتها وسكبها . ١٦ فيقدمها الكاهن أمام الرب . ويصنع ذبيحة خطيئة النذير ومحرقته . ١٧ ويصنع الكبش ذبيحة سلامية للرب مع سلة الفطير ، ثم يصنع الكاهن تَقْدمة النذير وسكيبه . ١٨ ويحلق النذير رأسه ، وهو النذير ، عند باب خيمة الموعد ، ويأخذ شعر رأسه ، وهو النذير ويلقيه فى النار التى تحت الذبيحة السلامية . ١٩ ويأخذ الكاهن الكتف مطبوخة من ذلك الكبش وقرص فطير من السلة ورقاقة الفطير ويضعها على راحتى النذير ، بعد حلقه شعره وهو النذير .

٢٠ ويحركها الكاهن تحريكاً أمام الرب : إنها قدس ، فللكاهن تكون مع صدر التحريك وفخذ التقدمة وبعد ذلك يشرب النذير خمراً .

٢١ تلك شريعة من نذر أن يكون نذيراً . ذلك قربانه للرب فى شأن نذره فضلاً عما يكون فى يده وبحسب نذره الذى نذره يعمل على حسب شريعة نذره » .

وعلماء المسلمين فى أيام الإسلام الأولى كان لهم علم بأحوال عيسى عليه السلام من الأناجيل المعتمدة والأناجيل المخفية . كلٌ على حسب علمه . ويقدر أى إنسان فى عصرنا هذا على ضبط الحقائق . فالأناجيل المخفية كلها موجودة فى مكتبات النصارى كتاب أبو كريفا العهد الجديد New Testement Opocryphd . أى الأناجيل المزيفة أو المنسية .

انظر إلى هذه العبارة : « وكان المحرر إذا حرر ونذر . جُعل المحرر والمنذور فى الكنيسة ، يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها ، حتى يبلغ الحلم . فإذا بلغ ، خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث يشاء . وإن أراد أن يخرج بعد التخيير ، استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم . ولم يكن أحد من بنى إسرائيل وعلمائهم إلا من نسله محرر لبيت المقدس ، ولم يكن محرراً إلا الغلمان . وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والأذى » أ . هـ .

إنه يتحدث عن نذر الأولاد الصغار الذين نذرهم أهلوهم. حسب ما فى الأصحاح السادس من سفر العدد . وقوله : « خيِّر بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث يشاء » يقصد به : أنه يخير بين أن يبقى فى هيكل سليمان ، أو أن ينتقل إلى أى مسجد من مساجد القرى والنجوع ليؤدى الشعائر فيه .

وقوله : إن الأنثى تترك الهيكل فى سن الحيض . يُريد به : أنها لا تقدر على الإمامة . لكن من حقها أن تبقى معلِّمة فى مدارس الراهبات المقامة بجوار الهيكل .

انظر إلى هذه العبارة : « فلما وُلدتْ مريم أخذتها أمها حنة ، فلفَّتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ، ووضعتها عندَ الأحبار ، أبناء هرون . وهم يومئذ ثلاثون فى بيت المقدس . فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة . فتنافس فيها الأحبار ، لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم . فقال لهم زكريا : أنا أحق بها منكم ، لأن عندى خالتها . فقالت له الأحبار : لا تفعل ذلك ، فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها ، لتركت لأمها التى ولدتها . ولكنَّا نقترع عليها ، فتكون عند من خرج سهمه » أ . هـ .

إنه يتحدث عن ذهاب أم مريم بها إلى هيكل سليمان فى مدينة القدس « أورشليم » ووضعها إياها أمام بنى قومها . وهم الأئمة الهارونيون ، الذين يلقبون بالربانيين . وقال زكريا عليه السلام إن أليصابات قريبتها عندى .

انظر إلى هذه العبارة : « وحصوراً . قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، بمعنى أنه حصر نفسه عن الشهوات . وقال ابن المسيب والضحاك : هو العنّين الذى لا باءة له » أ . هـ .

إنه يتحدث عن أن يحى كان ناسكاً لا يقرب النساء . لنذره من البطن .

انظر إلى هذه العبارة : « لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمسة عشر سنة ، وقيل بنت ثلاثة عشر سنة ، وكان مع مريم فى المسجد من المحررين » أ . هـ .

إنه يتحدث عن أن الحمل كان فى أروقة النذيرات فى هيكل سليمان ، لا فى « الناصرة » .

انظر إلى هذه العبارة : « فلما أثقلت مريم ، ودنا نفاسها ، أوحى الله تعالى إليها : أن مسجد بيت المقدس من بيوت الله تعالى الذى طُهِّر ورُفع ، ليذكر فيه اسمه . فابرزى إلى موضع تأوين إليه ، فتحولت مريم إلى بيت خالتها أخت أمها أم يحى ، فلما دخلت عليها » أ . هـ .

إنه يتحدث عن انطلاقها إلى « حبرون » من مسجد بيت المقدس ، الذى هو هيكل سليمان بأورشليم . وذلك يكفى فى غرضنا مع النظر فى الخرائط الموضحة .

وغرضنا مما قلناه فى النذر : هو هدم عقيدة التثليث بشريعة النذر . وذلك لأن عيسى عليه السلام كان منذوراً لله ، والمنذور لله هو غير الله . وهذا الغير المنذور ، ليس مساوياً لله ، بل عبدٌ لله . كما قال تعالى : **﴿ لَنْ يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكةُ المقَربُونَ ﴾** وكما قال لوقا : « وفيما هو يصلّى على انفراد ، كان التلاميذ معه » [لو ٩ : ١٨] ، « وإذ كان يصلى فى موضع ، لما فرغ ، قال واحد من تلاميذه ... » [لو ١١ : ١] ، « وانفصل عنهم نحو رمية حجر ، وجثا على ركبتيه وصلّى » [لو ٢٢ : ٤١] .

ثالثاً : عليقة جبل حوريب

يقول الأنبا غريغوريوس : فالمسيحيون يؤمنون بإله واحد ، أحدى الذات مثلث الأقانيم والخاصيّات . والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية .

والرد عليه :

قوله بإله واحد .

هذا القول منه ناقص أم كامل ؟

إنه أرثوذكسي المذهب ، وليس كل النصارى أرثوذكس ففيهم كاثوليك وبروتستانت يصرحون بأن الله غير الابن . وهما غير الروح ، فكيف يعمّم الكلام ويقول : فالمسيحيون يؤمنون بإله واحد ؟

ثم لننظر في هذا الواحد . من هو ؟ يقول غريغوريوس : إنه الله رب العالمين ولو قال هذا وسكت . لما كان من نزاع بينه وبين اليهود والمسلمين ، ولكنه يقول أيضاً : إن هذا الواحد . وهو الله ، انقلب إلى « مسيح » أي صار إنساناً . انظر إلى قوله : « المسيحية تنادي بأن الله قد ظهر وتجلّى في المسيح » هذا تصريح غريغوريوس بأن الله رب العالمين ، قد ظهر للناس ورأوه في جسد المسيح . فالمسيح هو الله . والله هو المسيح . هذا تصريحه بالحرف الواحد .

وقوله هذا واضح البطلان . وذلك لأن الله تعالى بيّن في التوراة : أنه لا يُرى ولا يقدر أحد على رؤيته ، وبيّن أنه محتجب عن الحواس البشرية ، وبيّن أنه لا مثْل لـه ولا شبْه لـه . فإذا ظهر الله في جسد المسيح . فإن التوراة تكون كاذبة والإنجيل أيضاً يكون كـاذباً . إذْ فيه مثل ما في التوراة عن عدم رؤية الله ، وأنه لا مثل له ولا كفء .

ففي سفر الخروج يقول الله لموسى عليه السلام : « لا تقدر أن ترى وجهي ، لأن الإنسان لا يراني ويعيش » [خر ٣٣ : ٢٠] « وأما وجهي فلا يُرى » [خر ٣٣ : ٣٣] ويقول إشعياء : « حقاً . أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلّص » [إش ٤٥ : ١٥] .

وفى الإنجيل : « وملك الدهور الذى لا يَفْنى ، ولا يُرى . الله وحده » [ا تيمو ١ : ١٧] وفى ترجمة : « الإله الحكيم وحده » « الله لم يره أحد » [يو ١ : ١٧] .

ثم قوله : إن المسيحيين يؤمنون بالله ربِ العالمين ، على أنه هو الإله وحده ، وليس معه من إله ، لا المسيح ، ولا روح القدس . يلزمه هوِ وجميع الأرثوذكس . بإنكار قانون الإيمان ورفضه . فإن قانون الإيمان المسمّى بالأمانة يصرح بألوهية المسيح مع الله ، أى يصرح بإلهين اثنين . ثم يصرّح بتأليه الروح . فيصيرون ثلاثة ، وهذا هو النصِ : « نؤمن بإله واحد : آب ضابط الكل . خالق السماء والأرض . كل ما يُرى وما لا يُرى . وبربٍّ واحد يسوع المسيح . ابن الله الوحيد . المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور ، إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق . مساوٍ للآب فى الجوهر ، الذى به كل شىء كان »

لاحظ : ١ ـ نؤمن بإله واحد .

٢ ـ وبربٍّ واحد يسوع المسيح .

اثنان لا واحد يا غريغوريوس . اثنان لا واحد . والمسيح الإله الثانى « إله حَقٌّ من إله حق » والمسيح الإله الثانى « مولود غير مخلوق » والمسيح الإله الثانى « مساوى للآب » فقال لى : المساوى للآب هل هو الآب ؟ أم هو غير الآب ؟ كيف تقول بواحد هو المسيح وأنت تؤلّه اثنين . هما : الله والمسيح ؟

أنت تخدع مَنْ ؟ إن كنت صادقاً ، فاكفر بقانون الإيمان .

ثم اعلم : أنك تقول بطبيعة واحدة للمسيح . والكاثوليك يقولون بطبيعتين اثنتين للمسيح . فما معنى الطبيعة ؟ وما معنى الطبيعتين ؟

إنه إذا اختلط الماء باللّبن . فإنهما لا يتميزان . وذلك لأنهما قد امتزجا وصارا شيئاً واحداً . وكذلك طبيعة الله والمسيح عند الأرثوذكس . فطبيعة المسيح الإنسانية الجسدية ، وطبيعة الله اللاهوتية ، امتزجتا امتزاجاً شديداً ، واتحدتا اتحاداً قوياً . فصارا طبيعة واحدة ، فالله صار مسيحاً ، والمسيح صار إلهاً . فهما واحد . وهذا هو تقرير المذهب عند الأرثوذكس . أما عند الكاثوليك فإن الدُّهن والماء إذا اختلطا ، فإنهما يتميزان وينفصلان . فالطبيعة الإنسانية الجسدية للمسيح ، لم تمتزج بالطبيعة اللاهوتية له ،

فلذلك كان المسيح جسداً كاملاً ، وإلهاً كاملاً . له طبيعتان . واحدة بحسب الجسد وواحدة بحسب الألوهية . وألوهية المسيح غير ألوهية الله ، على هذا المذهب ، وهى ألوهية الله على مذهب الأرثوذكس .

والأقنوم فى اللغة اليونانية : هو الشىء المستغنى بذاته عن غيره . وقانون الإيمان لما صرح بالثلاثة ، صرّح على هذا المعنى للأقنوم . فالأقانيم ذوات متميزة ومنفصلة ، حسب معتمد أصل الأقنوم ، وحسب نص قانون الإيمان ، وبذلك قال النصارى من زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م إلى زمان مجمع خليقدونية سنة ٤١٥ م وفيه انفصل الأرثوذكس عن الكاثوليك . وقرروا : أن الله هو المسيح . واحتالوا على الأقانيم ليطبقوها على مذهبهم على النحو التالى :

الله هو الأقنوم الأول من قبل أن يتجسد ويظهر للناس فى جسد المسيح .

الله صار هو الأقنوم الثانى لما تجسد .

الله صار هو الأقنوم الثالث لما صار روحاً وخرج من القبر الذى دُفن فيه .

فصار الأقنوم « مرحلة » بدل أن كان يدلُّ على ذات منفصلة .

انظر إلى قول بولس : « وبالإجماع : عظيم هو سرُّ التقوى : الله ظهر فى الجسد » ظهور الله فى الجسد يدل على أن الأقنوم « مرحلة » لا ذات متميزة . وفى نص قانون الإيمان المتفق عليه قبل مجمع خيلقيدونية يدل على « ذات متميزة »

ونعود إلى نص كلام غريغوريوس فى وضع الأقانيم فى « الله رب العالمين » إنه يقول :

الله عقل

الله كلمة

الله روح

أى ثلاثة غير منفصلين لواحد .

الله له عقل وله كلام ، وله روح . كما للإنسان عقل وكلام وروح . فوضعنا الأقنوم الأول لعقل الله ، ووضعنا الأقنوم الثانى لكلمته ، ووضعنا الأقنوم الثالث لروحه . يريد أن يقول : ليس الأقنوم مرحلة ، وإنما هو دلالة على جزء متميز عن غيره فى الذات

الإلهية . فالعقل غير الكلام . وهو جزء في الذات وموجود قبل نطق الشفتين بالكلام . فليس الأقنوم مرحلة ، بل هو دلالة على عضو فى الذات .

هذا كلامه . ولنتأمل فيه جيداً . الله عقل . وكلام . وروح . ولنسأل أنفسنا هذا السؤال وهو : هل كان الله فى السماء بعقل وكلام وروح من قبل أن ينزل إلى الأرض ويتجسد فى جسد المسيح ؟ أى أن حالته وهو على الأرض يمشى بين اليهود ، هى نفس حالته قبل نزوله ؟ يقول النصارى : إن الكلمة هى التى تجسدت وصارت مسيحاً ، لا العقل ولا الروح . لقوله : « والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » فإذا تجسدت من أعضاء الله كلمته فقط . فإن العقل لم يتجسد ، والروح لم يتجسد . فيكون الله كله لم يتجسد ، ويكون المسيح ناقصاً فى التجسد لأنه الكلمة وليس العقل وليس الروح .

يقول ما نصه : « فالله الواحد هو أصل الوجود . ولذلك فهو الآب ، والآب لفظة سامية بمعنى الأصل . والله الواحد هو العقل الأعظم . ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلّى فى المسيح ، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العُلّيْقة ، وتجلّى فى المكان ، دون أن يحدّه المكان ، لذلك كان المسيح هو الكلمة . قال الإنجيل : « فى البدء كان الكلمة » والكلمة تجسيد للعقل ، فإن العقل غير منظور ، ولكنه يظهر فى الكلمة ، وهو أيضاً الابن . لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان ، بل لأنه صورة الله ، الذى لا يرى [كولوسّى ١ : ١٥] والله الواحد هو الروح الأعظم . وهو أبو جميع الأرواح ، ولهذا فهو الروح القدس لأن الله قدوس » أ . هـ

من كلامه يتبين : أن الله قد ظهر فى جسد المسيح . والمسيح هو كلمة الله والمتجسد هو الكلمة ، لقول يوحنا : « والكلمة صار جسدا » [يو ١ : ١٤] فيكون العقل غير متجسد وتكون الروح غير متجسدة فيصير التجسد ناقصاً ، فيكون مذهب التجسد باطلاً .

وقوله : والأب لفظة سامية بمعنى الأصل ، هو قول ناقص . فإن الأب لفظ يرد على الحقيقة ، ويرد على المجاز . يرد على الحقيقة بمعنى الولادة الطبيعية من ذكر وأنثى . فيكون الذكر أباً ، والأنثى أُماً . ويرد على المجاز بمعنى التوقير والاحترام . كما يقول الشيخ لتلميذه يا بنى . وعلى هذا المعنى قال المسيح للحواريين : « يا أولادى » [يو ١٣ : ٣٣] ويرد فى حق الله والمنتسبين اليه فى الهدف بالمجاز . ويرد فى حق الشيطان والمنتسبين إليه فى الهدف بالمجاز ، ففى سفر التثنية : « أنتم أولاد للرب إلهكم » [تث

١٤ : ١] وقال المسيح لعلماء بنى إسرائيل : « أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » [يو ٨ : ٤٤] وترد بمعنى الأصل مجازاً . فقد قال المسيح عن إبليس : « لأنه كذَّاب وأبو الكذاب » [يو ٨ : ٤٤] أى أصل لكل كذب فى العالم .

وقوله « على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العُلَّيقة » هو قول ناقص .

وبيان هذا التجلِّى : هو أن موسى عليه السلام لما خرج من أرض مَدين ، بعد عشر سنوات من إقامته فيها ، أجير غنم ، لكاهنها . رأى من جانب جبل الطور ناراً ، تشتعل فى أعشاب ، فقصدها ظاناً أن عندها ناساً مقيمين . فلما رآها تهتز كأنها جانّ . فى معتقد الرائى ، خاف منها وهرب . فناداه الله : بأن يقبل إليه ولا يخف . ففى الأصحاح الثالث من سفر الخروج : « وأما موسى فكان يرعى غنم تثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم إلى وراء البرية ، وجاء إلى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار ، من وسط علِّيقة . فنظر وإذا العلِّيقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر . ناداه الله من وسط العليقة ، وقال : موسى . موسى فقال : هأنذا . فقال : لا تقترب إلى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

ثم قال : أنا إله أبيك . إله إبراهيم . وإله إسحق ، وإله يعقوب ، فغطَّى موسى وجهه ، لأنه خاف أن ينظر إلى الله » [خر ٣ : ١ ـ ٦]

من الذى تجلَّى لموسى فى جبل طور سيناء ؟ الله أم ملاك الله ؟

إن المتجلى هو ملاك الله ، وليس هو الله نفسه . انظر إلى قوله : « ظهر له ملاك الرب » لم يقل ظهر له الله ، وإنما قال : ظهر له ملاك الرب نيابة عن الله . فقوله بعدُ : « فلما رأى الرب » معناه : فلما رآه ملاك الرب . على حذف مضاف . يدل على حذفه أوَّل الكلام وهو « وظهر له ملاك الرب » وتكلم هذا الملاك نيابة عن الله ، كأنه الله . ولهذا نظائر فى التوراة . منها : أن ملاك الله لما صارع يعقوب حتى طلوع الفجر وهو فى هيئة إنسان . قال هوشع : إن المصارع ملاك الله ، وقالت التوراة السامرية : إن المصارع ملاك الله ، وفى العبرانية : أن المصارع هو الله نفسه . والعبرانية تعنى ملاك الله بالله . لأن الله لا يحدُّه مكان ، وهو يملأ السموات والأرض ولا يراه أحد ، ولا يقدر أحد أن يراه .

وعبر يعقوب نفسه بأن الذين لاقوه هم ملائكة الله ، وليس هم الله نفسه : « ففى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التكوين : « وأما يعقوب فمضى فى طريقه ، ولاقاه ملائكة الله ، وقال يعقوب إذ رآهم : هذا جيش الله » [تك ٣٢ : ١ ـ ٢] .

وفى التوراة : « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ، ليهديهم فى الطريق ، وليلاً فى عمود نار ، ليضىء لهم لكى يمشوا نهاراً وليلاً . لم يبرح عمود السحاب نهاراً ، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب » [خر ١٣ : ٢١ ـ ٢٢] .

وهذا الرب السائر هو ملاك الله ، وليس هو الله نفسه ، لقوله : « فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل ، وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ، ووقف وراءهم ، فدخل بين عسكر المصريين ، وعسكر إسرائيل ، وصار السحاب والظلام وأضاء الليل . فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل » [خر ١٤ : ١٩ ـ ٢٠] .

فالمتجلّى لموسى فى العليقة هو ملاك الرب ، نيابة عن الله . وذلك لأنه لو كان هو الله نفسه ، لكان وهو فى الأرض غير موجود فى السماوات العلّى على العرش . وقد صرحت التوراة بأن الله له المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثمّ وجه الله ، كما صرح القرآن عن الله .. ففى سفر إرمياء : « ألعلى إله من قريب ، يقول الرب ، ولست إلهاً من بعيد ؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة ، أفما أراه أنا يقول الرب ؟ أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب ؟ » [إر ٢٣ : ٢٤] .

وعلى ذلك . فالفرق واضح بين تجلى الله لموسى ، وتجلى الله فى المسيح لا كما يقول الأنبا غريغوريوس . فتجلى الله لموسى هو ظهور مجده ، بواسطة رئيس ملائكته ، وتجلى الله فى المسيح هو من ابتداع غريغوريوس وآبائه .

وغريغوريوس يعلم أن قوله مبتدع ، لقوله : « وتجلى فى المكان ، دون أن يحده المكان » كيف يظهر فى المكان ولا يحده المكان ؟ إن هذا تناقض بيّن ، فظهور الله فى جسد المسيح ، يجعل المسيح هو الله ، ووجود المسيح فى مكان ، يحدُّه ذلك المكان . إذ المسيح جسم كسائر الأجسام . والجسم محدود ، والمكان يحده . فكيف يقول : تجلى فى مكان ولم يحده المكان ؟

إن ذلك كمن يقول زيد فى الحجرة ، ولا يشغل حيزاً من فراغها . إذْ وجوده فى

الحجرة ، تحدُّه الحجرة ، ويكون فى حالة وجوده فيها ، شاغلاً لحيز من فراغها . فإذا قلت : وجوده فيها لا يشغل حيزاً ، تكون كمختل العقل الذى لا يدرى ما يقول ، لكن لماذا جمع بين تجليه ، وبين عدم حدِّ المكان له . ليجمع بين نصوص الكتب . فإرمياء يقول : ليس لله مكان ، وهو بعلمه فى كل مكان ، ويوحنا يقول : إن الكلمة صارت جسداً . فاضطر إلى القولين . ولم يرجع إلى المحكم والمتشابه .

وقول غريغوريوس : والكلمة تجسيد للعقل ، قول باطل . فالكلمة تدل على العقل . وليست تجسيداً له . وقوله والعقل هو الابن . قول باطل فمن هو هذا الذى يقدر أن يجبر عقله على أن يقبل : إن عقل الله هو ابن الله . من يصدق أن عقل الله هو المسيح ابن الله ؟ هل هذا هو التلاقى بين المسيحية والإسلام ؟ هل المسيح عقل الله ، وابن الله ، وصورة الله ، وكلام الله ؟ فلماذا يقال بعد : إن الله كله هو المسيح ؟

ثم لاحظ قوله عن الروح القدس وهو : الله الواحد هو الروح الأعظم . وهو نفسه الروح القدس . أى الله رب العالمين ، روح ، وجبريل روح ، والمسيح روح ، والله هو أب الأرواح . فيكون هو نفسه الابن ، وهو نفسه يكون الروح . أى الله هو المسيح جسداً وروحاً مقترنان .

ذاك قوله . وهو نفسه يعلم أنه يُضلُّ به الأُميين من الناس ويخدعهم . ولو أنه صوَّر مذهبه بأب قبل التجسد ، وبابن بعد التجسد ، وبروح بعد الصعود إلى السماء حالة كونه ناقضاً أوجاع الموت ، لشهد له قول بولس « الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » فقد تكلم قبل تجسده ، وبعد تجسده . حسب ظاهر النص أى حالة كونه فى أقنوم الآب ، وحالة كونه فى أقنوم الابن ، وشهد له أن المسيح هو الذى يرسل الروح ـ حسب ظاهر النص ـ عند يوحنا وهو « ومتى جاء المعزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » لو أنه صوَّر بهذا التصوير ، لشهدت له نصوص بحسب الظاهر .

ويكون تصويره أقل فى مناقضته للعقل من قوله : إن الله بعقله وكلمته وروحه كان ، ولم يكن شىء من أعضاء ذاته متجسداً ، ثم تجسد منه عضو الكلام فى بطن امرأة . هى العذراء مريم رضى الله عنها .

وكيف ما كان تصوير المذهب ، فالحقيقة معروفة للأنبا غريغوريوس ، ولأهل العلم من أهل الكتاب ، وللمسلمين . وهو هنا لم يظهر الحقيقة ، ليضلَّ الأُميين من الناس ، ويخدعهم ، وهأنذا أبينها :

قل لى يا غريغوريوس : ما هو الدليل الكتابى على أُقنوم الابن ؟ أنت ذكرت الدليل الكتابى على أُقنوم الآب . ولكنك لم تذكر الدليل الكتابى على أقنوم الابن . ولو كنت ذكرته ، لاستحييت أن تقول : إن الله هو المسيح .

وقل لى : ما هو الدليل الكتابى على أقنوم الروح القدس ؟

أليس الابن فى أصل الكلام هو نبوءة عن محمد رسول الله ﷺ ؟ فلماذا جعلته هو الله ؟ وأليس الروح القدس هو نبوءة عن محمدرسول الله ﷺ ؟ فلماذا جعلته هو الله ؟

هذه هى الحقيقة يا غريغوريوس ، وقد انكشف الخداع فيها و بان . وأنت تظنُّ أنها ما تزال مستورة عن المسلمين . وهى موضحة فى كتاب « أقانيم النصارى »

وخلاصة ما فيه :

أقنوم ابن الله :

ذكر موسى عليه السلام فى الأسفار الخمسة : أن نبياً سيُقيمه الله من بعده للناس فى قوله : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون » وهذا « النبى » الآتى لقَّبه داود عليه السلام بلقب « ابن الله » على عادة التوراة فى تلقيب المطيع لله ابناً له ، لا على معنى الولادة الطبيعية بل على معنى المحبة والقرب . كما تقول : الفقراء عيال الله ، والأغنياء وكلاء الله . ففى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا : « أولاد الله . أى المؤمنون باسمه » [يو ١ : ١٢]

ووصفه داود بالمحارب والمنتصر والرئيس المطاع ، كما وصفه موسى فى كتابه ، وبيَّن أن سلطانه سيمتد إلى أقصى الأرض ، وأن دينه سيظل إلى نهاية الزمان ، وهذا « النبى » الآتى هو محمد رسول الله ﷺ لانطباق الأوصاف عليه ، ولأن إسماعيل مبارك فيه . وإنه هو المماثل لموسى . ولا نبى سيأتى مثل موسى فى بنى إسرائيل .

قال داود عليه السلام : « لماذا ارتجَّت الأمم ، وتفكَّر الشعوبُ فى الباطل ؟ قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ،

ولنطرح عنا رُبطهما . الساكنُ فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحتُ ملكى على صِهْيون ، جبل قدسى .

إنى أخبر من جهة قضاء الرب : قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزّاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب . فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه » أ هـ

وعيسى عليه السلام قال : إن هذا النبى الآتى ، الملقب من داود بلقب ابن الله ، سوف يرسله الله من بعدى . وهو محمد ﷺ . وترجم عبارة داود بقوله : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » ولم يترجمها بقال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . وذلك فى إنجيل برنابا .

أما فى إنجيل يوحنا فقد قال : إن الابن سيأتى من بعدى ، ومن لا يؤمن به ، فإنه سيمكث عليه غضب الله . قال المسيح : « تبارك اسم الله القدوس الذى من جوده ورحمته ، أراد فخلق خلائقه ليمجدوه . تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ، ليرسله لخلاص العالم ، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلاً : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » [بر ١٢ : ٦ ـ ٧] .

وقال المسيح : « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية ، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة ، بل يمكث عليه غضب الله » [يو ٣ : ٣٦]

ورُفع المسيح فى المجد . ولم يقل لهم إننى أنا النبى الآتى إلى العالم ، فقام بطرس وقال لليهود : إن المسيح يسوع هو النبى الآتى ، وما كنا له بعارفين . وهو لم يؤسس الملك ولم يحارب ولم ينتصر ، لأنه سوف يأتى مرة أخرى لذلك . وطبّق عليه هو وبولس وغيرهما كل النبوءات التى هى فى التوراة إلى اليوم عن محمد ﷺ ومنها نبوءة ابن الله فى المزمور الثانى .

وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م قال النصارى : إن « ابن الله » هو يسوع المسيح وإنه

هو النبى الآتى إلى العالم وليس ابناً بالمجاز ، بل هو ابن بالطبيعة . وألهوه مع الله . ليشككوا فى نبوة محمد ﷺ .

فأقنوم الابن عند النصارى هو فى الأصل نُبوءة عن محمد رسول الله نبى الإسلام ، وخاتم النبيين .

أقنوم الروح القدس :

وأصل أقنوم « الروح القدس » نبوءة عن محمد ﷺ نطقها عيسى عليه السلام عن محمد ﷺ فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا وما بعده .

وبيان ذلك : أن عيسى عليه السلام سمَّى نبى الإسلام باسم « أحمد » وهو بالعبرانية « بيركْليت » بكسر الباء ـ وباليونانية « بيركْليتوس » ولقَّب أحمد بالروح القدس . فقال : « أحمد الروح القدسِ » أى النبى المنسوب إليه لا إلى الشيطان الرجيم . فماذا فعل النصارى ؟ غيرّوا نطق بيركليت إلى باركليت بفتح الباء ـ لأن باركليت بفتح الباء تعنى : النائب عن عيسى عليه السلام ولا تعنى « أحمد » ثم ترجموها الآن بالمعزِّى . أى النبى الآتى عوضاً عن المسيح ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم فى العالم ، ونسخ شريعة موسى . ثم قالوا أن المعزى الروح القدس هو الأقنوم الثالث ، وذلك ليشككوا فى نبوءة محمد ﷺ ، وقال الأرثوذكس : أن الله هو نفسه الابن ، وهو نفسه الروح . وقال الكاثوليك والبروتستانت : إنهم ثلاثة متغايرون .

ففى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم معزياً آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد ... والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس ، الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم .. وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون »

ولما أراد النصارى التشكيك فى « المعزّى الروح القدس » كتبوا فى سفر أعمال الرسل : أنه بعد ارتفاع عيسى السلام بخمسين يوماً ، نزل من السماء الروح القدس ، وغيّر ألسنة الحواريين إلى لغات العالم ، وارتفع إلى السماء ثم فى مجمع القسطنطينية

سنة ٣٨١ م ألَّهوا المعزى الروح القدس وجعلوه أقنوماً ثالثاً . وقال الأرثوذكس : إن الآب هو نفسه الابن ، وهو نفسه الروح وقال الكاثوليك والبروتستانت : إنهم ثلاثة متغايرون .

تلك هي الحقيقة يا غريغوريوس . تقدر أن تنكر ؟ كل كتبك تقول : إن أصل أقنوم الابن من المزمور الثاني [١] . وكل كتبك تقول : إن أصل أقنوم الروح من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا . تقدر أن تنكر ؟ ثم إنك تحجب هذا عن الناس وتقول : يوجد تلاقي بين المسيحية والإسلام . كيف وأنت لا تعطي الحق لصاحبه ؟ النبوءتان لمحمد . هو صاحبهما . وأنت تعرف هذا . فلماذا لا تصرح بأنهما له ؟

---

(١) قال الأنبا غريغوريوس في الكتاب الحادي والثلاثين ما نصه :

جاء في سفر المزامير قوله : « قال لي : أنت ابني . وأنا اليوم ولدتك .. قبّلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق . لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » (مزمور ٢ : ٧ ـ ١٢) .

فمن هو الابن ؟ أو من هو المقصود بالابن ؟

لا يمكن أن يكون المقصود بالابن هو داود النبي أو غيره من بني البشر ، إذ لا يعقل أنَّ من لا يقبل داود أو غيره من الناس يبيد من الطريق أو يهلك ، كما لا يعقل أنَّ الله يطوّب ويغبط من يتكل على داود أو على بشر أيًا كان : « هكذا قال الرب : ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ، ويجعل البشر ذراعه ، وعن الرب يحيد قلبه » (ارميا ١٧ : ٥) . وقال الكتاب « لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم الذي ليس عنده خلاص .. طوبى لمن إله يعقوب معينه ورجاؤه في الرب إلهه » (مزمور ١٤٥ : ٣ ـ ٥) .

(الابن) إذن ليس هو داود وليس هو ابن آدم ، إنما الابن هو المسيح (المولود من الآب قبل الدهور) ميلاد الماء من النبع ، والفكر من العقل . الميلاد الأزلي غير الزمني . . هو ابن الله لا كبنوة الإنسان للإنسان ، إنّما هو ابن الله بمعنى أنه من طبع الله ومن جوهره ، هو صورة الله الغير المنظور (كولوسي ١ : ١٥) أو هو « بهاء مجده وصورة جوهره » (العبرانيين ١ : ٣) .

وأمّا (اليوم) في قوله « وأنا اليوم ولدتك » فهو الزمن الذي لا بداءة له ولا نهاية .. أو هو الزمن الذي ليس له زمان ، لأنه دائم أبداً ، حاضر دائماً ، أو هو الأزل الذي لا بداءة له ولا نهاية له ، لأنه دائم إلى الأبد .

(أ) والدليل من الكتاب المقدس نفسه على أنَّ المقصود بـ (الابن) هو المسيح ، الله الكلمة ، =

رابعاً ـ الخلاص من الخطايا
أصله وتطوره

ويقول النصارى كلهم : إن الديانة النصرانية تقوم على هذه الآية ، وهى :

« لأنه هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » [يو ٣ : ١٦] .

والمعنى ـ في دينهم ـ أن الله رضى بقتل المسيح عيسى عليه السلام ليُكفِّر عن خطايا بنى آدم ، وليأخذ بيد كل من يؤمن به إلهاً مصلوباً ويدخله الجنة بغير حساب .

= الأُقنوم الثانى من الثالوث القدوس هو قول القديس بولس الرسول فى عظته التى ألقاها فى مجمع اليهود فى أنطاكية بيسيدية يوم السبت « أيُّها الرجال الإسرائيليون .. نحن نبشركم بأن ما وُعِد به آباؤنا قد أتمه الله لنا نحن أبناءهم ، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى : أنت ابنى ، وأنا اليوم ولدتك .. » (أعمال الرسل ١٣ : ١٦ ـ ٣٣) .

(ب) ويؤكد الرسول بولس على نفس الحقيقة فى موضع آخر ، وذلك فى رسالته إلى العبرانيين بقوله عن المسيح . يسوع ابن الله أنه هو المقصود بـ (الابن) فى نص المزمور الثانى ، يقول « إن الله ، بعد ما كلَّم آباءنا قديماً بالأنبياء ، بأنواع وطرق كثيرة ، كلَّمنا فى هذه الأيام الأخيرة بابنه الذى جعله وارثاً لكل شيء ، وبه خلق الدهور . الذى وهو بهاء مجده وصورة جوهره ، وحامل الكون بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى . فكان أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أعظم من أسمائهم . لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى ، وأنا اليوم ولدتك » (العبرانيين ١ : ١ ـ ٥) مبيِّناً بهذا أنَّ (الابن) فى عبارة المزمور الثانى لا تنطبق على أحد آخر من البشر أو من الملائكة ، وإنَّما على يسوع المسيح وحده ، لا غيره .

(ج) ومرة ثالثة يُلحُّ الرسول بولس على نفس القضية مؤكداً أن ما جاء عن (الابن) فى المزمور الثانى ، قيل عن يسوع المسيح وحده بصفته رئيس كهنة العهد الجديد . يقول : « لأن كل رئيس كهنة يؤخذ من بين الناس ويقام فيما هو لله من أجل الناس ، ليقدِّم قرابين وذبائح عن الخطايا .. وليس أحد يأخذ لنفسه هذه الكرامة إلاَّ من دعاه الله كما دعا هارون . فكذلك المسيح أيضاً لم يُمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له : أنت ابنى ، وأنا اليوم ولدتك .. لأن الله قد دعاه رئيس كهنة إلى الأبد » (العبرانيين ٥ : ١ ـ ١٠) .

وكيف يُقتل المسيح وقد وصفه موسى بأنه لا يُقتل ؟ إنهم يقولون : إن موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية قال : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . وذكر من أوصافه : أن الله يحميه من أعدائه ، فلا يقدرون على قتله . ويقولون : إن ذلك النبى الآتى هو يسوع . فلماذا يقولون بقتله ؟ أى أنهم إن أخذوا النبوءة له ، يجب عليهم أن ينكروا قتله ، وإن قالوا بقتله ، يجب عليهم أن يتركوا النبوءة لصاحبها ، وصاحبها هو محمد رسول الله ﷺ .

يقول الأنبا أثناسيوس فى الكتاب السادس : « فالمسيح هو الله الغير المنظور ، وقد صار منظوراً . ولماذا صار منظوراً ؟ لينجز مهمة الفداء والخلاص ، التى ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها . فالله قد تجسد فى المسيح من أجل الفداء والخلاص ، فالفداء كان هو الغاية ، والتجسد كان هـو الوسـيلة » .

والرد عليه :

أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

١ ـ فى أيام سبى اليهود فى مدينة « بابل » سنة ٥٨٦ ق . م كانوا واقعين تحت ذل الأجانب وكان يظلم بعضهم بعضاً . الأجنبى يتحكم فيهم ، ويملى عليهم إرادته . وهم أنفسهم كانوا يقتلون أنفسهم ، ويخرجون فريقاً منهم من ديارهم ، يتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان . ومن شدة ظلمهم لأنفسهم : كانت كل طائفة تدعى أنها هى المسلمة لله والمنقادة إليه ، وغيرها كافرة . فإذا حاربهم عدوٌ أو حارب بعضهم بعضاً وانتصرت طائفة على طائفة . كانت الطائفة المهزومة تكون فى حكم الأجنبى والكفر الأصلى . فتدفع الجزية للطائفة المنصورة ، وتفدى نفسها من الأسر والذُّل بالمال .

ولما ضاع حق الضعيف فى تلك الحقبة من الزمان . قال إرمياء النبى للمظلومين والمضطهدين : لا تقاوموا الشر ، ولا تشتكوا ، ولا تذهبوا إلى قاضٍ أو والٍ أو أمير . واصبروا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . فإنك أيها المظلوم إذا ذهبت إلى قاضى العدل . فمن يدريك أنه يحكم لك بالإنصاف ؟ ولو حكم لك فمن ينفّذ لك حكمه من رجال الشُّرَط ؟ .

قال إرمياء وهو فى سبى بابل : « جيّد للرجل أن يحمل النّير فى صباه ، يجلسُ

وحده ، ويسكتُ لأنه قد وضعه عليه . يجعل فى التراب فمه ، لعلّه يُوجد رجاء . يُعطى خدّه لضاربه . يشبعُ عاراً ، لأن السيد لا يرفض إلى الأبد . فإنه ولو أحزن ، يرحمُ حسب كثرة مراحمه ، لأنه لا يذل من قلبه ، ولا يحزن بنى الإنسان . أن يدوس أحد تحت رجليه كل أسرى الأرض . أن يحرّف حق الرجل أمام وجه العلىّ . أن يقلب الإنسان فى دعواه : السيد لا يرى . من ذا الذى يقول فيكون ، والرب لم يأمر ؟ من فم العلى ألا تخرج الشرور والخير ؟ » [مراثى ٣ : ٢٦ ـ ٣٨] .

٢ ـ ونفس الحال كان حالُ اليهود فى فلسطين أيام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فأهل الروم كانوا فوق اليهود ، وكانوا يذلّونهم بدفع الجزية ، وبالأذى الشديد . وكان اليهودى القوى يظلم اليهودى الضعيف ويسلبه حقه فى وضح النهار ، بلا رقيب أو حسيب ، وإذا شكى الضعيف للقاضى أو الوالى . ينظر هل يدفع رشوة أم لا . ولما رأى المسيح ذلك منهم ، قال للضعفاء : لمن تشكون ؟ إنى أنصحكم بنصيحة إرمياء ، التى قالها لأناس مضطهدين مثلكم . قال المسيح : « سمعتم : أنه قيل عين بعين ، وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلاً واحداً ، فاذهب معه اثنين » [متى ٥ : ٣٨ ـ ٤١]

٣ ـ وكانت الطائفة الدينية التى تقود اليهود إلى الله هى طائفة الفرّيسيين وهى طائفة تتظاهر بالغيرة على الدين والحماس له ، وفى الحقيقة كانوا تجاراً باسم الدين ، ويأكلون بيوت الأرامل .

فلما رأوا المسيح متعففاً عن أكل الحرام ، وزاهداً فى متاع الحياة الدنيا ، أرادوا التخلّص منه حتى لا يظهر عوراتهم بتقواه . ولذلك سألوه سؤالاً محرجاً . لا يقدر أن يجيب عليه بنعم أو بلا . وهو : نحن فى هذا الزمان خاضعون لأهل الروم . وهم كفار . والجهاد فى سبيل الله واجب شرعى . فهل نشنّ الحرب عليهم ، ونطردهم من بلادنا ؟ إنهم مفسدون فى الأرض ، ويعبدون آلهة شتى ، ونحن ندفع لهم الجزية . فماذا ترى ؟ هل نمتنع عن دفع الجزية ، ونستعد للحرب ، لنخرجهم من أرضنا أم نستمر فى دفع الجزية ، ولا ندعو إلى الله ، ولا نجاهد فى سبيله ؟ وهو إن أجاب بالاستمرار فى دفع الجزية ، يتهموه بأنه معطل للشريعة ، وبأنه ضد الله لعدم الدعوة إليه . وبذلك يشككون الناس فى زهده وغيرته ، وإن قال لا تدفعوا الجزية ، يحرضون

أهل الروم على قتله ، بحجة أنه مهيج فتنة ضدهم ، وصانع ثورة . وإن سكت ولم يجب ، فإن هذا ليس من شيم النبيين والمرسلين . فنظر المسيح وعلم أنهم مراءون ومنافقون ، وعلم أنه لو قال لهم جاهدوا ، فلن يجاهدوا ، لأن الظلم فيهم أضعفهم ، ومنع من بينهم التراحم والتواد والثقة . فلذلك قال المسيح : استمروا فى دفع الجزية حتى تقدروا على الجهاد فى سبيل الله ، ولا تقاوموا السلطات ، واتركوا الحكام وما هم عليه .

يقول متى فى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيله : « حينئذ ذهب الفرّيسيون ، وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة . فارسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين ، قائلين : يا معلّم نعلم أنك صادق ، وتعلّم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا : ماذا تظنّ ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يامراؤون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » [متى ٢٢ : ١٥ ــ ٢٢]

٤ ــ وفى بدء دعوة المسيح ، قال للحواريين ، انطلقوا فى بلاد بنى إسرائيل بدعوتى ، وهى الدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات . ولا تحملوا معكم سيوفاً للقتال ، ولا عصياناً لضرب المخالف ، ولا تحملوا زاداً للأكل ، ولا كيساً لوضع النقود فيه ، وكونوا بسطاء كالحمام فى اللطف والوداعة ، وكونوا كالحيّات فى التحايل على تبليغ الدعوة . فذهبوا كما أمرهم ورجعوا إليه .

٥ ــ وفى نهاية حياته على الأرض قال للحواريين : إن بنى إسرائيل كانوا ضالين كالغنم التى لا راعى لها ، ولذلك أمرتكم بالتعليم وأنتم مسالمون . أما الآن فإنهم فهموا وعلموا . وكثر أتباعهم . والآن وقد كثر أتباعكم ، يجب عليكم أن تنطلقوا إلى بلاد الأُمم . وأنتم خائفون من الأمم .

يقول لوقا فى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيله : « ثم قال لهم : حين أرسلكم بلا كيس ، ولا مزود ، ولا أحذية . هل أعوزكم شئ ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس ، فليأخذه ، ومزود كذلك . ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً » [لوقا ٢٢ : ٣٥ ـ ٣٦] .

٦ ـ وسأله جنود أهل الروم عن إصلاء الحرب ضد روما . فأجاب بأن النبى أيوب عليه السلام قال : « أليس جهاد للإنسان على الأرض ، وكأيام الأجير أيامه » [أيوب ٧ : ١] ؟ ولم يصرح بشن الحرب ضدهم . ففى الفصل الثانى والخمسين بعد المائة من إنجيل برنابا : « فلما جاء يسوع إلى أورشليم ، ودخل الهيكل يوم سبت ، اقترب الجنود ليجربوه ويأخذوه ، وقالوا : يا معلم أيجوز إصلاء الحرب ؟ أجاب يسوع : إن ديننا يخبرنا : أن حياتنا حرب عوان على الأرض . قال الجنود : أفتريد إذاً أن نتحولنا إلى دينك ، أو تريد أن نترك جمّ الآلهة ، وأن نتبع إلهك الأحد ؟ » [برنابا ١٥٢ : ١ ـ ٤] .

فالمسيح عليه السلام لم يأمر بحمل السيف داخل بلاد اليهود ، وإنما أمر بحمل السيف خارج بلاد اليهود . وترك للحكام تنفيذ الشريعة فى داخل البلاد ، ونصح المضطهدين والمظلومين بالصبر على البلاء . حتى يعلم الناس كلهم حكم الله فيخشوه ويتقوه ، وتقوم جماعة منهم بالتمكين له . وذلك لأن اليهود خاضعون للحكام ، والحكام خاضعون للروم . والروم خائفون على آلهتهم أن لا تعبد ، والحكام خائفون من الروم لئلا يفسدوا فى الأرض ، ويجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وإن هادن الحكام الضعفاء وأكرموهم ، ربما يظن أهل الروم أنهم يريدون تأليف قلوب الرعية ، ليقوموا بثورة ضدهم . وهذا هو السبب فى أمر المسح أتباعه بحمل السيف فى بلاد الأمم ، لا فى بلاد اليهود ، فى خارج البلاد ، لا فى داخل البلاد ، بين الوثنيين ، لا بين أبناء الديانة .

جئنا إلى الأمة المسلمة

ونقول : كان بنو إسرائيل يسيرون أمام الله لدعوة الناس إلى عبادته ولمحو عبادة الأوثان . ويلزمون الناس بشريعة النبى موسى ، أن يعرفوها ، وأن يعملوا بها . وكل من يلتزم بها فإنه يكون مسلماً قلبه لله ، ومستسلماً له وخاضعاً ، وظلوا على هذا المنهج الحسن ، إلى أن جاءهم ملك بابلَ « نبوخذ نصَّر » بجيوش لا قبل لهم بها ، وأخرجهم من أرضهم وديارهم إلى أرض لم يعرفوها ، وأجبرهم على أن يتخلوا عن الجهاد فى سبيل الله ، وأن يقصروا شريعة الله عليهم ، وعلى من يرغب فيها من الأمم بمحض اختياره ، لا بالقتال ولا بالإكراه . واستحسن بنو إسرائيل رأيه ـ مع أن التوراة تحرم عليهم

الخضوع لعبّاد الأوثان فى قوله : « لا يحل لك أن تجعل عليك أجنبياً ليس هو أخاك » وحرّفوا التوراة . واشتركوا مع الأمم فى الجهر بمعرفة الله ومخافته ، وانفردوا عن الأمم فى العمل بالشريعة . ولم تيكاسلوا عن تعلمها وتعليمها لأبنائهم وبناتهم .

انظر إلى قول نبوخذ نصّر للنبى المعظم دانيئال . وهو : « حقاً إن إلهكم إله الآلهة ، ورب الملوك وكاشف الأسرار » [دا ٢ : ٤٧] وأرسل نبوخذ نصّر إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين فى كل أرضه : « الآيات والعجائب التى صنعها معى الله العلىُّ ، حَسن عندى أن أُخبر بها . آياته ما أعظمها ، وعجائبه ما أقواها ، ملكوته ملكوت أبدى ، وسلطانه إلى دور فدور » [دا ٤ : ٢ ـ ٣] .

« فالآن . أنا نبوخذ نصّر . أُسبّح وأُعظّم وأحمد ملك السماء ، الذى كل أعماله حق ، وطرقه عدل . ومن يسلك بالكبرياء ، فهو قادر على أن يُذلّه » [دا ٤ : ٢٧] .

ولما رجع اليهود من بابل . قام علماء بنى إسرائيل بأمرهم ، على توجيهات عزْرا ونَحَميا . وهى الانفصال عن الأمم والشعوب بعدم الزواج منهم ، والغيرة على الشريعة والتشدد لها . فلم يظهر فيهم رجل خليع ، ولم تظهر فيهم امرأة سافرة الوجه . وفى داخل بيوتهم ، بعيداً عن أعين الرقباء ، كان الشيطان معهم .

فالفقيه المتظاهر بالخلاعة ، يُجمعون على قتله ، والخارج على آراء الجماعة ، يجمعون على قتله ، والمرأة المتظاهرة بالفسق ، يجرُّونها من شعر رأسها إلى القُضاة . والحاكم الذى لا يحكم بالشريعة ، يثورون عليه ، ويندّدون به ويطلبون عزله . والحاكم الذى لا يقدرون عليه ، يتربصون به الدوائر ، وكان تغيير المنكر باليد على الحاكم ، وباللسان على الرعية إذا كان الحاكم ملتزماً بالإسلام . أما إذا زاغ فإنهم يعزلونه عن الحكم باليد . وعلى هذا الذى قلناه شواهد . فأخئاب الملك وامرأته إيزابل ، قتلوا من الصديقين والصالحين كثيراً . وانتصر النبى إلياس ومن معه على أخئاب وامرأته . ولم يتركوهما يقاومون أحكام الله ، وينعمون بعبادة « البعْل » ويهوذا المكابى غار الله ، وانتصر له بقتل كثيرين من أهل اليونان . وأمسك اليهود بزانية وقدّموها لعيسى عليه السلام ليقيم عليها حكم الله . وقد اتهموا عيسى عليه السلام بأنه نظر إلى امرأة ، وقال : إن بها عَمَشاً فى عينيها ، وطردوه من مجلس العلم . ومن مظاهر غيرتهم على الشريعة : أنهم طلبوا عيسى ليقتلوه ، لأنه شفى مريضاً فى يوم السبت . إذ الشفاء عمل

. والعمل محرم فى السبت .

وقد نقل متّى أحوالهم عن عيسى عليه السلام فقال :

« حينئذ خاطب يسوع الجموعَ وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى ، جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم . لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسِرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فيعرّضون عصائبهم ويعظّمون أهداب ثيابهم . ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع . والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى . وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة . ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السماوات . ولا تدعوا معلّمينَ لأن معلمكم واحد المسيح . وأكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع .

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفرّيسيُّونَ المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . ولِعلّة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيونَ المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً . ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً . ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشئ . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان أيما أعظم ألذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب . ومن حلف بالمذبح فليسَ بشئ . ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان أيما أعظم ألقربان أم المذبح الذى يقدس القربان . فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه . ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤن لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمُّون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يُصفّونَ عن البعوضة ويبلعون الجمل ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون

لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكلَّ نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصدّيقين . وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكي يأتى عليكم كل دم زكى سُفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يُترَكُ لكم خراباً . لأنى أقول لكم إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب »
أ .هـ

تلك كانت أحوال اليهود . وهم من بعد تفرقهم إلى هذا اليوم يبتعدون عن مخالطة الأمم ، ويعملون بما يقدرون عليه من توراة موسى التى كتبها عزرا فرادى أو جماعات . ولما صارت لهم غلبة فى أرض فلسطين فى هذه الأيام ، حكموا كل المواطنين بقوانين العَلمانية . والمتشددون منهم ينأون عنهم ، ويصفونهم بالمتطرفين اليهود .

أما النصارى . فإنهم أخذوا نظرية الخلاص من اليهود ، ووضعوها على عيسى عليه السلام بمعنى يختلف عن معناها عند اليهود . فالخلاص عند اليهود هو على يد « النبى الأمى » المذكور فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، من ذل الأجانب . وهو عند النصارى خلاص البشر من خطيئة آدم عليه السلام . والسبب فى ذلك : أن « النبى الأمى » المكتوب عنه فى التوراة وفى الإنجيل . وهو محمد رسول الله ﷺ قد نبّه عيسى عليه السلام على مجيئه من بعده .

وأتباعه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أُجبروا من أهل الروم على إنكاره ، وعلى أن يقولوا إنه هو عيسى ، وما كنا له بعارفين . ولما رضوا بما أُجبروا عليه ، تفادوا وصف أنه سيكون ملكاً ومحارباً ومنتصراً ومخلصاً من ذل الأجانب بقولهم : أنه سيكون ملكاً فى مجيئه الثانى . وإنه يخلص كل من يؤمن به من خطيئة آدم .

وأدّى قولُهم بزوال الخطايا إلى انحلال الدول ، وانهيار الأخلاق فى كل مكان . وذلك لأن الفاسق لا يردُّه عن فسقه خوف الرب ، إذا هو علم بأن المسيح كفارة عن الخطاة والفاسقة لا يردها عن فسقها خوف الرب إذا هى عملت .

وأىّ إنسانٍ ينادى بغفران الخطايا ، لا تثمر دعوته فى منع الفساد من المجتمع ، ويُوصف بأنه يحرض على الفسق . وهل يُقبل هذا عن المسيح ؟

فالنصارى عندهم توبيخ لمن يفعل الإثم ، لكن ليس عندهم مبرر لمقاومة الفساد إذ يقول بولس لتيموثاوس : « الذين يخطئون وبّخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف » [ا تيمو ٥ : ٢٠]

ويقول بولُس : إن الله قد كتب على الإنسان عمره ورزقه وشقاوته أو سعادته من قبل أن يوجده فى الحياة الدنيا . فهو إذاً مجبر على كل أفعاله . فلماذا يلام إذاً ؟ ولماذا يُقاوم ؟ يقول بولس : « فماذا نقول ؟ ألعل عند الله ظلماً ؟ حاشا . لأنه يقول لموسى : إنى أرحم من أرحم ، وأترأف على من أترأف . فإذاً ليس لمن يشاء ، ولا لمن يسعى ، بل الله الذى يرحم . لأنه يقول الكتاب لفرعون : إنى لهذا بعينه أقمتك ، لكى أظهر فيك قوتى ، ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض . فإذاً هو يرحم من يشاء ، ويقسى من يشاء ، فتقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ؟ بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله ؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزّاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة ، وآخر للهوان ؟ » [رو ٩ : ١٤ ـ ٢١] .

ويقول النصارى : إن معنى الإنجيل هو البشرى المفرحة بخبر سار هو موت المسيح على الصليب كفارة عن الخطايا . والحق : أنه كان يبشر بمحمد ﷺ ، وموت المسيح من أجل الخطايا مردود بأقوال المسيح نفسه ، وبأقوال التوراة وأسفار الأنبياء .

ففى التوراة : يقول إبراهيم عليه السلام لله تعالى : « أديّانُ كلّ الأرض لا يصنع

عدلاً ؟ » [تك ١٨ : ٢٥] وقال داود عليه السلام : « الرب يدين الشعوب » [مز ٧ : ٨] وفى سفر الجامعة : « فقلت فى قلبى : الله يدين الصدّيق والشرير » [جا ٣ : ١٧] .

وقال بولس : « كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله » [رو ١٤ : ١٢] « الله ديان الجميع » [عب ١٢ : ٢٣] « وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » [عب ١٣ : ٤] .

وقال المسيح عيسى عليه السلام : « وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور ، من أن تكون لك عينان ، وتطرح فى جهنم النار . حيث دودهم لا يموت ، والنار لا تطفأ » [مر ٩ : ٤٧ _ ٤٨] .

ويقول النصارى : إن يسوع المسيح سيدين أيضاً ، باعتباره هو الله عند الأرثوذكس ، وباعتباره الإله الثانى عند الكاثوليك . وأن إدانته ستكون فى يوم مجيئه الثانى من قبل أن تنتهى الدنيا . وعلى قولهم هذا ، سواء سيجىء أو لم يجىء . وسواء بالملك الأرضى ، أم بالملك الروحى . فإن موته كفارة ؛ منقوض منهم . باعترافهم بأنه سيدين الخطاة فلماذا الخلاص إذاً ؟

ثم إن الخلاص مرتبط بإقامة ملكوت السموات الذى لا ينقرض أبداً . وهم يقولون : إنه لم يؤسس الملكوت بعد ، ولسوف يؤسسه فى نهاية الدنيا بالملك الروحى . فلماذا فرّقوا بين : أ _ الخلاص ب _ وملكوت السموات ؟ فإن الخلاص لا يكون _ حسب النبوات _ إلا على يد « المسيح » فى حال تأسيسه « ملكوت السموات » لا قبله ولا بعده . فقولهم : إن الخلاص قد بدأ من ظهور يسوع ، ثم قولهم : والملكوت لم يتأسس . هو قول باطل . إذ الخلاص لا يكون إلا فى حال قيام الملكوت . ولا يكون هو خلاص من خطايا ، وإنما يكون من أعداء الله بالحرب . انظر إلى قول لوقا : « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس ، وتنبأ قائلاً : مبارك الرب إله إسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه . كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . خلاص من أعدائنا ، ومن أيدى جميع مبغضينا ، ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويذكر عهده المقدس » [لو ١ : ٦٧ _ ٧٢] .

فالخلاص يكون من الأعداء ويكون بالحرب ، على يد الذى قيل فيه : « ويكون أن

كل نفس لا تسمع لذلك النبى ؛ تُباد من الشعب » وهذا الشعب الذى يجب عليه أن ينصر النبى الأمى الآتى لئلا يباد ؛ يجب عليه أن يستعد للدخول فى ملكوته بتوبة نصوح . كما قال يسوع المسيح نفسه : « توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [متى ٤ : ١٧] وكما قال زكريا عن ابنه : « وأنت أيها الصبى نبى العلىّ ؛ تُدعى ، لأنك تتقدم أمام وجه الرب ؛ لتعدّ طرقه ، لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم » [لو ١ : ٧٦ ـ ٧٧] فيحيى ـ حسب قول أبيه ـ هو نبى الله العلى ، مالك السموات والأرض ، وسوف يتقدم أمام وجه « مسيح الرب » ليهيىء له الطريق ، وليمهد لقبول دعوته . ولن يكون خلاص إلا على يد « المسيح » [1] فلماذا استعجلوا الخلاص . والملكوت لم يظهر بعد ؟ وكيف يكون الملكوت ليسوع المسيح فى آخر الزمان . وهو نفسه قد قال : « ولست أنا بعد فى العالم » ؟ [يو ١٧ : ١١] .

وفى التوراة وفى الإنجيل أن الذى يذنب . ويستغفر الله ؛ يغفر الله له ، ومن يَمُتْ على غير توبة ، يحاسبه الله على كل ما عمل ، ويعطيه جزاء على كل ما عمل . فغفران يسوع المسيح ذنوب بنى آدم بسكب دمه على الصليب ؛ مردود بتصريح النصوص بأن الذى يغفر للتائب هو الله وحده ، وبأن يوم القيامة يوم رهيب ، وقد أعده الله للحساب وللمجازاة . ففى التوراة عن الرب : « غافر الإثم والمعصية والخطية » [خر ٣٤ : ٧] « الرب طويل الروح ، كثير الإحسان ، يغفر الذنب والسيئة ، لكنه لا يبرىء ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء ، إلى الجيل الثالث والرابع »
[عد ١٤ : ١٨]

وقوله : « لكنه لا يبرىء » ينقض غفران الخطايا بدم المسيح يسوع . وذلك لتصريحه بعقاب للذين لا يتوبون . وحدد بالجيل الثالث والرابع ليس لعموم الناس ، بل من عباد الأصنام فقط .

ويقول داود عليه السلام : « من أجل اسمك يا رب اغفر إثمى ؛ لأنه عظيم ... انظر

---

(١) المسيح المنتظر الذى يلقب بالمسيا أيضاً هو محمد رسول الله ﷺ لا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذلك بحسب لسان بنى إسرائيل فى التعبير عنه [راجع كتاب المسيا المنتظر ـ نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة] .

إلى ذلى وتعبى ، واغفر جميع خطاياى » [مز ٢٥ : ١١ ـ ١٨] ويقول دانيئال : « للرب إلهنا المراحم والمغفرة » [دا ٩ : ٩] وفى سفر ميخا : « من هو إله مثلك . غافر الإثم ، وصافح عن الذنب ؟ » [ميخا ٧ : ١٨] .

وأجمعت الأناجيل على أن الذى يغفر الخطايا هو الله وحده ، وأن الذى يسامح الناس يسامحه الله . ومن ذلك قول لوقا فى الأصحاح الخامس من إنجيله :

« وفى أحد الأيام كان يُعلّم ، وكان فَريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية ، من الجليل واليهودية وأورشليم . وكانت قوة الرب لشفائهم . وإذا برجال يحملون على فراش إنساناً مفلوجاً وكانوا يطلبون أن يدخلوا به ، ويضعوه أمامه ، ولما لم يجدوا من أين يدخلون به ، لسبب الجمع ، صعدوا على السطح ودلوه مع الفراش من بين الأجُرّ ، إلى الوسط ، قدام يسوع . فلما رأى إيمانهم قال له : أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك .

فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين : مَنْ هذا الذى يتكلم بتجاديف ؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ؟ فشعر يسوع بأفكارهم وأجاب وقال لهم : ماذا تفكرون فى قلوبكم ؟ أيما أيسر ؟ أن يقال : مغفورة لك خطاياك ، أم أن يقال : قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا : أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، قال للمفلوج : لك أقول : قم ، واحمل فراشك واذهب إلى بيتك . ففى الحال قام أمامهم ، وحمل ما كان مضطجعاً عليه ، ومضى إلى بيته . وهو يُمجِّد الله . فأخذت الجميع حيرة ، ومجدوا الله ، وامتلأوا خوفاً ، قائلين : إننا قد رأينا اليوم عجائب » .

لاحظ : قول المسيح عليه السلام : « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » ولاحظ : « مَنْ يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ؟ » ولاحظ : أن المفلوج مجَّد الله وحده ، والجميع أيضا « مَجَّدوا الله » واعلم : أن اليهود كانوا يعتقدون : أن البلايا والمصائب ، بسبب ارتكاب المعاصى والآثام . فالمولود أعمى هل عماه بسبب أن أبويه أخطآ ، أم أن المولود ذاته كان فى علم الله أنه سيكون آثماً ، فعاقبه مقدماً من قبل أن يأثم ؟ هذا هو اعتقاد اليهود .

والمفلوج : يعتقدون أن مرضه بسبب خطاياه . ومجيئه طوعاً يدل على توبته ، وقبول

توبته ، معناه زوال المرض . لزوال الخطايا . فقول المسيح له : قد غفرت خطاياك . معناه : أن الباعث على المرض ، قد زال . فقُمْ واحمل فراشك واذهب إلى بيتك . ولم ينقض المسيح اعتراف العلماء بأن الغفران من الله وحده . فقد أقر الاعتراف ووافق عليه . ولكنه بيَّن لهم : أن قوله « قم وامش » ليس سهلاً . وذلك لأن الناس يعتقدون أن الأمراض بسبب الآثام ، فلو قال قم وامش . لسألوه : هل تاب من قبل أم لم يتب ؟ ويجرون حواراً ونقاشاً ، ويتشعب الكلام ويطول .

وفى إنجيل يوحنا هذا المعنى . فقد قال يوحنا : « وفيما هو مجتاز ، رأى إنساناً أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أم أبواه ؟ حتى ولد أعمى . أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبواه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه » [يو ٩ : ١ ـ ٣] .

فالاعتقاد بأن الخطايا هى سبب الأمراض والعاهات ، كان سائداً فى بنى إسرائيل . وأجاب المسيح بحسب اعتقادهم ، وبيِّن أن أفعال الله معللة بالحكمة. وقال لمريض شفاه أيضاً : « ها أنت قد برئت ، فلا تخطئ أيضاً ، لئلا يكون لك أشرُّ » [يو ٥ : ١٤] .

وقد روى متى فى الأصحاح التاسع قصة المفلوج . وقال فيها : إن المسيح « قال للمفلوج : ثق يا بنى . مغفورة لك خطاياك » [مت ٩ : ٢] كيف يقول له : « يا بنى » وهو فى نحو الثلاثين من العمر ؟ وروى يوحنا أن المسيح قال للحواريين : « يا أولادى » [يو ١٣ : ٣٣] وروى يوحنا أن اليهود قالوا للمسيح : « ليس لك خمسون سنة بعد » [يو ٨ : ٥٧] فكيف مع هذا يدعى النصارى رفع المسيح فى الثالثة والثلاثين ؟ .

وروى لوقا فى الأصحاح السابع قصة المرأة التائبة على يد المسيح فى بيت الفريسى . وفى نهايتها يقول لها : « إيمانك قد خلَّصك . اذهبى بسلام » وهى قد تابت وبكت ، وبللت قدميه بالدموع . فغفران الخطايا تسبقه التوبة . وهو لما رآها تابت ، قال لها : هذا دليل على صحة الإيمان بالله . اذهبى بسلام .

ويُفرِّق النصارى بين سلطان الله ، وبين سلطان المسيح ، فى مغفرة الخطايا . فيقولون : الله يغفر والمسيح يغفر . الله يعمل ، والمسيح يعمل . وإذا غفر المسيح الخطايا يغفرها بسلطانه هو ، لا بسلطان الله . ويستدلون على استقلال المسيح بمغفرة الخطايا :

بأن المسيح كان يغفر بدون تضرع وابتهال إلى الله أن يغفر له . فقد جاء فى الإنجيل : « لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » [مر ٢ : ١٠] .

ويفرق الأرثوذكس بين غفران المسيح ، وغفران القساوسة والرهبان . بقولهم : إن المسيح صاحب السلطان الأصيل فى غفران الخطايا . أما القساوسة والرهبان . فإنهم ينطقون بالحل الكهنوتى كوكلاء عن المسيح فى المغفرة . فالكاهن بعد أن يسمع اعتراف التائب ، يقول له الكاهن بصوت واضح : « اللهم أنعم علينا بغفران خطايانا . باركنا . طهرنا . حاللنا ، وحالل عبدك [فلان] وقوّمنا إلى إرادتك المقدسة الطوباوية » فيرد التائب : « أخطأتُ ، حاللنى يا أبى » فيجيبه الكاهن : « الرب يحاللك » أى « فليغفر لك الرب » .

*** والرد عليهم :**

١ ــ قولهم إن المسيح غفر بسلطان مستقل عن الله . بدليل أنه لم يتضرع إليه حال شفائه المرضى . قول منقوض بما جاء فى الأناجيل من أنه كان يتضرع إلى الله ، ويلتمس منه الشفاء ، من أجل أن يؤمنوا بأنه رسول من الله ، ففى إقامته لـ « لَعَازَر » من الأموات . يقول يوحنا : « ورفع يسوع عينيه إلى فَوْق ، وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعتِ لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ، قلتُ ، ليؤمنوا أنك أرسلتنى » [يو ١١ : ٤١ ــ ٤٢] .

٢ ــ قولهم إن فى الإنجيل « الابن » يغفر الخطايا . من هو الابن ؟ !!

عندهم لقبان . لقب « ابن الله » ولقب « ابن الإنسان » وهما لقبان لواحد . هو « المسيح المنتظر » الملقب أيضاً بـ « المسيّا الرئيس » وقد قال العلماء الكبار من أهل الكتاب : إن لقب « ابن الله » هو من داود عن « النبى الأمى الآتى » فى المزمور الثانى . وإن لقب « ابن الإنسان » هو من دانيئال عن « النبى الأمى الآتى » فى الأصحاح السابع . وعيسى عليه السلام طبّق اللقبين على محمد رسول الله ﷺ ــ كما بيّنا فى كتاب البشارة ــ وهو ههنا يقول : كما أن غفران الخطايا فى ديانة موسى مقرر ، هو أيضاً سيكون مقرراً فى ديانة النبى الآتى . وأنا لأنى أتحدث عن مجيئه قد بيّن الله على يدى مظاهر غفران لتستيقنوا أن النبى الآتى فى شريعته غفران .

٣ ـ قولهم بالتحليل على يد الكاهن . ليس عليه من دليل . فالدليل الموجود هو أن العاصى يتوب بلا اعتراف أمام أحد ، والطلب يكون من الله وحده ، بلا واسطة هى إنسان أو ملاك ، أو أى شىء . ففى سفر صفنيا : « والذين لم يطلبوا الرب ولا سألوا عنه » [صف ١ : ٦] وفى الزبور : « واحدة سألت من الرب ، وإياها ألتمس » [مز ٢٧ : ٤] ويعيب الله على من يتخذ واسطة بقوله : « شعبى يسأل خشبه ، وعصاه تخبره » [مو ٤ : ١٢] ويبين الله أن السؤال منه وحده : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك » [مز ٢ : ٨٢] « ليكمل الرب كل سؤلك » [مز ٢٠ : ٥] « وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك » [مز ٣٧ : ٤] والله قريب ممن يدعوه ويجيب دعواتهم : « قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ، ويخلص المنسحقى الروح » [مز ٣٤ : ١٨] « اطلبوا الرب مادام يوجد . ادعوه وهو قريب » [إش ٥٥ : ٦] .

وفى إنجيل يوحنا : أن المسيح نفخ فى وجوه الحواريين ، وقال لهم : « اقبلوا الروح القدس » ثم قال : « من غفرتم خطاياه ، تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه ؛ أُمسكت » [يو ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣] ويستدل النصارى بهذا القول على أن الغفران يحل من الكاهن إذا اعترف الكاهن أمامه بخطاياه .

والرد عليهم :

هو أن هذا من التحريف المحشور فى آخر إنجيل يوحنا . ويدل على حشره : هو أنه مكتوب فى آخر الإنجيل بعد قيامة المسيح من الأموات ، وأنه أراهم يديه وجنبه ، ووضع إصبع « توما » على جنبه ، ليرى أثر مسمرته على خشبة الصلب . وهل صلب المسيح ؟ ولماذا ؟

ومعنى هذا عندهم : أن يكون النصرانى خاضعاً للكاهن . سواء كان باراً أو شريراً . لأنه من هو الذى ينأى عن الخطية ؟ وفى هذا المعنى يقول تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم** ﴾ (التوبة : ٣١) وإذا كان الكاهن من حقه أن يمسك الخطايا فإنه يكون من حقه أن يدخل جهنم أو يخرج منها ، وهذا ضد قول الله تعالى على لسان إشعياء « أنا . أنا هو الماحى ذنوبك ، لأجل نفسى ، وخطاياك لا أذكرها » [إش ٤٣ : ٢٥] .

وفى سفر حزقيال : « وأنتم تقولون : لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ؟ أما الابن

فقد فعل حقاً وعدلاً ، حفظ جميع فرائضى ، وعمل بها . فحياة يحيا النفس التى تخطىء هى تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابـن . برُّ البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه ، التى فعلها ، وحفظ كل فرائضى ، وفعل حقاً وعدلاً ، فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه . فى بره الذى عمل يحيا . هل مسرةً أُسرُّ بموت الشرير ؟ يقول السيد الرب . ألا برجوعه عن طرقه فيحيا ؟ وإذا رجع البار عن بره ، وعملٍ اثماً ، وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير . أفيحيا ؟ كل بره الذى عمله لا يذكر . فى خيانته التى خانها ، وفى خطيته التى أخطا بها ، يموت » [خر ١٨ : ١٩ ـ ٢٤] .

ويقول الكاثوليك : إننا نحن خلفاء بطرس ـ شِمعون الصَّفا ـ وقد قال له المسيـح : « أنت بطرس . وعلى هذه الصخرة أَبْنِى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكلُّ ما تربطُه على الأرض ، يكون مربوطاً فى السموات ، وكل ما تحلُّه على الأرض يكون محلولاً فى السموات » [متى ١٦ : ١٨ ـ ١٩] . فنحن نشرع للناس ، ونحلُّ لهم ونحرم ، ونغفر لهم ذنوبهم ، ولنا الامتياز عن سائر الطوائف كما كان لبطرس عن سائر الحواريين . وبقولهم هذا ابتدعوا « صكوك الغفران » وأكلوا بها أموال الناس بالباطل .

*** والرد عليهم :**

١ ـ هو أن بطرس وصفه المسيح بالشيطان ، كما لقَّب يهوذا الاسخريوطى بـ « ابن الهلاك » فهو فى منزلة يهوذا الذى أسلمه ـ بحسب المكتوب ـ ولا مزية له . ففى إنجيل متى : « فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » [متى ١٦ : ٢٣] .

٢ ـ وبطرس ـ كما هو مكتوب ـ لعن المسيح وسبَّه وشتمه وأنكره . ففى إنجيل متى عنه : « فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف : إنى لا أعرف الرجل » [متى ٢٦ : ٧٤] .

٣ ـ وفى الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا . سوَّى المسيح بين الحواريين ، ما عدا يهوذا ، الذى قال إنه « ابن الهلاك » فقال لله تعالى : « أنا فيهم ، وأنت فىَّ ، ليكونوا مكمَّلين إلى واحد ، وليعلم العالم : أنك أرسلتنى ، وأحببتهم كما أحببتنى » [يو ١٧ : ٢٣] .

ويقول النصارى الأرثوذكس : إن مَثَل الله والمسيح وروح القدس . كمثل ملك من الملوك . يرسم الأوامر بصفته الملك ، ويبدى رأياً بصفته من أبناء الشعب ، وينقذ من السجن والحبس والقتل بصفته المصدق على أحكام القضاء ، إما بإقرارها وإما بإلغائها . وهو واحد . فالله هو الديّان للأحياء والأموات بصفته آباً ، وهو أيضاً ديان بصفته ابناً ، وهو أيضاً ديان بصفته روحاً .

فالأنباغريغوريوس كتب مقالاً تحت عنوان « من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام » وقال فيه نقلاً عن يعقوب : « واحد هو واضع الشريعة ، وهو الديان ، الذى يقدر أن يخلّص ويهلك » [يع ٤ : ١٢] وقال فيه نقلاً عن بولس : إن المسيح « صورة الله الغير المنظور » [كو ١ : ١٥] فالديان عند النصارى الأرثوذكس هو الله . والله عندهم هو المسيح . فيكون المسيح هو الديان ، على أنه صورة الله ، أما عند الكاثوليك فإن المسيح ديّان على أنه مستقل عن الله .

وقد صرّح المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأنه لا يدين أحداً . وعلى تصريحه هذا فإنه لا يكون هو الله ، ولا يكون هو إلهاً مستقلاً عن الله . فلماذا يقول النصارى بأنه سيدين . وهو نفسه قد صرح بأنه لا يدين ؟ ففي الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا يقول المسيح لعلماء بنى إسرائيل : « أنا لست أطلب مجدى . يوجد من يطلب ويدين » [يو ٨ : ٥٠] إنه يقول : غيرى هو الذى سيدين ، وهو الذى سيطلب مجده . ، ولم يقل أنا الذى سأدين . وفى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل يوحنا : « فنادى يسوع وقال : الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى . والذى يرانى يرى الذى أرسلنى . أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة . وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن ؛ فأنا لا أدينه » [يو ١٢ : ٤٤ ـ ٤٧] ولاحظ قوله عليه السلام : « فأنا لا أدينه » نفى أنه سيدين ، وصرح بأنه رسول الله رب العالمين .

وفى الأصحاح الثالث من يوحنا : « لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ؛ ليدين العالم » [يو ٣ : ١٧] وصرّح بولس بأن الديّان هو الله وحده ، وأنه سيدين المسكونة بالعدل ، فى قوله : « ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق ، على الذين يفعلون مثل هذه . أفتظن هذه أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه ، وأنت تفعلها ، أنك تنجو من دينونة الله ؟ أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن

لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تدخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب ، واستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » [رومية ٢ : ٢ ـ ٦] .

هذا نص كلام بولس . وقد صرّح فيه بأن الدينونة لله وحده وأنها بالحق ، وأنها بحسب أعمال الإنسان ، لا بسكب دم المسيح فدية عن المذنبين . ولم يصرح بأن للمسيح دينونة فى يوم الدين .

رواية برنابا عن غفران المسيح للمرضى

قال برّنابا :

« ولما بلغ يسوع بلاده ، ذاع فى جهة الجليل كلها : أن يَسُوع النبى قد جاء إلى الناصرة ، فتفقدوا عندئذ المرضى بجدٍّ وأحضروهم إليه ، متوسلين إليه أن يلمسهم بيديه ، وكان الجمع غفيراً جداً ، حتى أنَّ غنياً مصاباً بالشلل ، لمَّا لم يمكن إدخاله في الباب ، حُمل إلى سطح البيت ، الذى كان فيه يسوع ، وأمر القوم برفع السقف ودلِّيَ على ملاء أمام يسوع ، فتردد يسوع دقيقة ، ثم قال : لا تخف أيها الأخ ، لأن خطاياك قد غفرت لك . فاستاء كل أحد لسماع هذا .

وقالوا : مَنْ هذا الذى يغفر الخطايا ؟ فقال حينئذ يسوع : لعمر الله إنى لست بقادر على غفران الخطايا ، ولا أحد آخر ، ولكن الله وحده يغفر . ولكن كخادم الله أقدر أن أتوسل إليه لأجل خطايا الآخرين . لهذا توسلتُ إليه لأجل هذا المريض ، وإنى مُوقن بأن الله قد استجاب دعائى . ولكى تعلموا الحق أقول لهذا الإنسان : باسم الله . إله آبائنا ، إله إبراهيم ، وأبنائه ، قم معافى . ولما قال يسوع هذا ، قام المريض معافى ، ومجَّد الله .

حينئذ توسل العامة إلى يسوع ، ليتوسل إلى الله لأجل المرضى ، الذين كانوا خارجاً . فخرج حينئذ يسوع إليهم ، ثم رفع يديه وقال : أيها الرب إله الجنود الحى ، الإله الحقيقى القدوس الذى لا يموت ، ألا فارحمهم . فأجاب كل أحد : آمين . وبعد أن قيل هذا ، وضع يسوع يديه على المرضى ، فنالوا جميعاً صحتهم . فحينئذ مجَّدوا الله قائلين : لقد افتقدنا الله بنبيه ، فإن الله أرسل لنا نبياً عظيماً » [بر ٧١] .

فى هذا النص نجد أن يسوع المسيح قال : « الله وحده يغفر » تماماً كما روى عنه

يوحنا ـ الذى إنجيله مقدس عندهم ـ وعلّل المسيح قوله للمريض : « إن خطاياك قد غفرت لك » بأنه موقن بقبول الله لدعائه . فلذلك صرّح بغفران خطاياه ، لأن الله سيستجيب له . ولهذا شاهد فى إنجيل يوحنا . وهو أن المسيح قال لمريم لما مات أخوها ولم يكن حاضراً موته : « سيقوم أخوك » [يو ١١ : ٢٣] أى أنا موقن بأن الله سيستجيب لى إذا دعوته بإحيائه . وبعد محاورة وطول مدة ، ذهب المسيح إلى القبر مع جمع من اليهود ، وقال لله تعالى بحضرتهم : « أيها الآب . أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت : أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف . قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى » [يو ١١ : ٤٢] . ثم صاح على « لَعَازر » بأن يحيا . فحيى ، وقام من القبر ، وهم يشاهدون .

فقولُ المسيح « مغفورة لك خطاياك » لا يدلُّ على أنه الله الذى وحده يغفر ، بل يدل على أنه موقن بالاجابة من الله ولهذا التيقن من الله صرح بالغفران .

ومما تقدم يُعلم : أن قول المسيح : « ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك » تعليله هو:

١ ـ أن الناس يظنون أن الأمراض تأتيهم من الله بسبب خطاياهم . وإتيان المريض طوعاً إلى المسيح ، هو إتيان مصحوب بالتوبة إلى الله من الخطايا ، فلذلك صرّح بما يناسب التوبة . وهو الغفران .

٢ ـ وأن المسيح كان بجسارة يقول : « مغفورة لك خطاياك » لأنه يعلم مُسبقاً بأن الله يستجيب له ، ليعلم الناس أنه رسول الله إليهم . كما فى قوله وهى يحيى لعادر : « وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ، قلتُ ، ليؤمنوا أنك أرسلتنى » .

المحكم والمتشابه فى لفظ الدينونة

والنص المحكم عن الدّينونة هو: « دينونة الله هى حسب الحق » وشِبهه . والنص المتشابه عن الدينونة هو النص المحتمل لمعنيين . أحدهما على الحقيقة ، وثانيهما على المجاز . فالقسّيس الذى يرى الآثم ، ثم يعظه ويبصّره بأسباب التوبة ، يكون قد دانه أمام الله ، بمعنَى أنه لن يحاسب الله القسيس على تقصيره ، ويكون بوعظه قد تسبب فى إدانة الآثم . إذ لا يقدر أن يحتج أمام الله بأنه ما جاءه من نذير .

فالإدانة من القسيس تحتمل معنيين :

١ ـ إما أنه يقوده إلى الحاكم ليدينه على إثمه وينزل به العقاب .

٢ ـ وإما أنه أدانه بمعنى أنه خلّص من تهمة التقصير فى الدعوة ، وحمّله هو مسئوليته أمام الله . ولأن النص متشابه ، يجب رده إلى محكمه ، والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى ؛ فيكون هو المراد .

وعلى هذا المعنى يكون عيسى عليه السلام دياناً للناس ؛ بمعنى أنه بلّغ الرسالة ، وحمّلهم مسئولية أعمالهم ، ويكون أىُّ نبى من الأنبياء دياناً للناس على هذا المعنى ، وبولس استعمل لفظ الإدانة بالمعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى النص السابق . إذْ قال : إن الخاطىء جهاراً نهاراً ، يلومه الخاطىء سراً ؛ ليظهر للناس أنه نقى متحرز عن الإثم . وعبّر عن لومه له بإدانته له ، وهذا هو المعنى المجازى فقال : « أفتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها ؛ أنك تنجو من دينونة الله » ؟ وقوله « دينونة الله » هذا هو المعنى الحقيقى .

والإدانة على المجاز قد تكون :

١ ـ بالوعظ والإرشاد أى بالكلام .

٢ ـ وقد تكون بقتال المخالف وضربه على معنى : أن الله جعله سبباً لإدانة المخالف بقتاله وضربه فى الحياة الدنيا . فموسى عليه السلام وعظ وأرشد . وموسى أيضاً قتل ناساً ، وجعله الله سبباً فى إدانة فرعون وقومه بالغرق فى اليمّ . فإذا قلنا : إن موسى أدان العالم . يكون قولنا صحيحاً على أنه أدانهم نيابة عن الله ، الذى أرسله . وإذا قلنا : إن عيسى أدان العالم . يكون قولنا صحيحاً على أنه أدانهم نيابة عن الله ، الذى أرسله . أى أن الله يستخدم رسله لإدانة العالم ـ على المعنى المجازى ـ سواء بالوعظ أو بالحرب ، أو بكليهما معاً ـ فإن الديان ـ على الحقيقة ـ هو الله وحده .

* * *

الفرق بين دينونات الأنبياء

والدينونة :

أ ـ قد تكون بالوعظ .

ب ـ وقد تكون بالضرب للتأديب .

ج ـ وقد تكون بالوعظ والقتال معاً . فمن وعظ آثماً ؛ فقد أدانه ، بمعنى أنه لن يحمل عنه وزره في يوم الدين . ومن قتل قاتلاً قد سفك دماً زكياً على الأرض ؛ يكون قد أدانه . بمعنى : أنه قد أعطاه جزاءه الذى يستحقه . ومثال ذلك في الأنبياء : ذهاب النبى يونس بن أمِتَّاى إلى نينوى ، فإنه لما ذهب إليهم آمنوا بالله رب العالمين ، وتابوا عن ذنوبهم . وهو لم يذهب إليهم إلا للوعظ والنصح .

وقال عيسى عليه السلام : « رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ، ويدينونه ؛ لأنهم تابوا بمناداة يونان » [متى ١٢ : ٤١] كيف يدينون بنى إسرائيل فى يوم الدين ؟ يريد أن يقول : إنهم سيخزون بنى إسرائيل ؛ لأنهم لم يسمعوا كلام الله . وهم قد سمعوه. فالإدانة ههنا بمعني التوبيخ ـ مجازاً ـ وأيضاً : ملكة سبأ لما سمعت بخبر سليمان عليه السلام ؛ خضعت لله رب العالمين . وبنو إسرائيل لما سمعوا ، لم يخضعوا . فهى لذلك ستدين بنى إسرائيل فى يوم الدين . بمعنى أنها ستخزيهم .

يقول عيسى عليه السلام : « ملكة التَّيْمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه ، لأنها أتت من أقاصى الأرض ؛ لتسمع حكمة سليمان » [متى ١٢ : ٤٢] وفى نفس المعنى يقول بولس : « ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ؟ فإن كان العالم يدان بكم ؛ أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى ؟ » [١ كور ٦ : ٢] .

وتسمى شريعة موسى . شريعة إدانة ؛ لأن موسى بها سار أمام الله ، وقتل كثيراً من عُبَّاد الأوثان . ففى الإنجيل : « ألعل ناموسنا يدين إنساناً ، لم يسمع منه أوَّلا ، ويعرف ماذا فعل ؟ » [يو ٧ : ٥١] « وكل من أخطأ فى الناموس ؛ فبالناموس يدان » [رو ٢ : ١٢] .

وفى أيام عيسى عليه السلام كان اليهود ينتظرون « النبى الأمى الآتى إلى العالم » الذى أخبر عنه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، ولقّبه داود عليه السلام فى المزمور الثانى بلقب « ابن الله » وكانوا يعتقدون أن النبى الآتى سيحارب العالم ويدينهم ويملك عليهم ؛ لقوله عنه : « ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ؛ تباد من الشّعب » ولقول داود عنه : « الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكاً ، يدين بين الأمم ، ملأ جثثاً ، أرضاً واسعة ، سحق رؤوسها » [مز ١١٠ : ٥ ـ ٦] وقد سألوا المعمدان عن هذا النبى الآتى . هل أنت هو ؟ فأجاب : لا . لست أنا إياه [يو ١ : ٢١] .

ولما رأوا يسوع يعمل المعجزات ، ظنوا ـ طبقاً لما هو مكتوب ـ أنه النبى الآتى إلى العالم . فبيّن لهم أنه ليس هو . وكيف يبين ؟ قال لهم : إن النبى الآتى . من أوصافه أن يكون ملكاً . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون ناسخاً لشريعة موسى ، ولست أنا هو .

لأنى لن أنقض الناموس أو الأنبياء ولأنى لست ملكاً ، وقام وانصرف إلى الجبل وحده ، يقول يوحنا : « وأما يسوع فإذْ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ؛ ليجعلوه ملكاً ؛ انصرف إلى الجبل وحده » [يو ٦ : ١٥] .

ومن أوصاف النبى الآتى أن يدين العالم بالوعظ وبالحرب وبالقتال . فقال لهم : إن النبى الآتى الذى سيعزيكم : اسمه « أحمد » « بيركليتوس » باليونانى ، و « بيركليت » بالعبرى . وأنه « متى جاء ذاك يُبَكّت العالم على خطية ، وعلى برٍّ ، وعلى دينونة ، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضاً . وأما على دينونة ؛ فلأن رئيس هذا العالم قد دين » [يو ١٦ : ٨ ـ ١١] .

انظر إلى قوله : « ولا تروننى أيضاً » وتأمل فيه جيداً ، واسأل نفسك : هل هذا القول يدل على نزول المسيح من السماء فى آخر الزمان ؟ أليس هو مطابقاً لقوله : « ولستُ أنا بعدُ فى العالم » ؟ [يو ١٧ : ١١] ويقصد بقوله رئيس هذا العالم قد دين : أن

الشيطان الذى يضل العالم ، قد أخزاه الله بإظهار الحق الذى منع عنه طويلاً .

وقال المسيح : أنتم تظنون أننى أنا النبى الآتى إلى العالم ، فلذلك تقولون : إننى سأكون ملكاً ، وسأدين العالم بالوعظ والحرب . وأنا لست ملكاً . ألم أقل لكم : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ؟ فلذلك لن أدين العالم بالحرب ؛ لأننى لست « الابن » المنتظر . وإنما دينونتى هى بالكلام كدينونة يونان النبى ، وكدينونة أى عالم يُبلّغ رسالة الله . وذلك لأنى لست « الابن » والدينونة بالكلام والحرب للابن . كما هو نص المزمور المئة والعاشر ، والثانى والثمانين .

فلذلك لا أدين باعتبار أننى النبى الآتى ، الملقّب بالابن ، بل على اعتبار أننى بلّغْتُ رسالة الله ، ففى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل يوحنا : « من رذلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه الكلام الذى تكلمت به هو يدينه » .

وفى الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا : « فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل » يريد أن يقول : إن داود عليه السلام قال فى المزمور الثانى : « إنى أُخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى ؛ فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزّاف تكسرهم » وأن هذا الابن لن يخالف إرادة الله ، ويتّبع كلام إله آخر . وإنما سيكون تابعاً لله فى كل ما يأمر به . وكرر هذا المعنى فى قوله عن « المعزّى » وهو أيضاً من ألقاب النبى الآتى :

« وأما متى جاء ذاك روح الحق ؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجّدنى ، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » [يو ١٦ : ١٣ ــ ١٤] وقال المسيح عن الابن الآتى : إنه سيحيى الأموات من الأحياء . هؤلاء الأحياء الذين يعيشون فى الكفر والآثام . هم أموات بسبب جهلهم . وأنه سيحييهم إلى الإيمان والتوبة ، ويجعل لهم نوراً يمشون به فى الناس . وكما أن الله يحى الموتى فى القيامة ، هكذا الابن يحى موتى الكفر فى الحياة الدنيا ، ويقيمهم إلى حياة الإيمان . وأن الله تعالى لن يدين بنفسه أحداً . بل يدين بواسطة الابن . فيسلطه هو وأتباعه على عبّاد الأصنام وذلك بأمره لهم بالجهاد فى سبيل الله . ثم قال المسيح : وقد اقترب زمان مجئ الابن . إنه الآن ــ كناية عن سرعة مجيئه ــ

والذين هم أموات من الجهل ، كأنهم به فى داخل القبور ، سيحيون على كلامه فى حياة الإيمان .

وإذا أتى ونطق بكلام الله ، سيخرج إليه الذين عملوا الصالحات ، ولم يحرفوا كلام الحق ، وسيعرفوه ، وسينضمون إليه ، ويقاتلون معه ، فتكون لهم قيامة الحياة . وأما الذين أساءوا ، وحرفوا ، فإنهم سيقاومونه لئلا تظهر أعمالهم الشريرة للناس ، بسبب أفعاله الحَسَنَة . وعندئذ سيجرُّهم إلى ساحة القتال ، ليدينهم على شرهم ، وصدِّهم عن سبيل الله ، بالقتال الشديد .

ثم قال المسيح : وأنا قد بلغتكم هذا بصفتى رسول الله . وأنتم سألتم يوحنا المعمدان عنى ، فشهد بأنى رسول الله . والمعجزات التى يصنعها الله على يدى ، تدل على أن الله قد أرسلنى . وأنا لست أقبل مجداً ولا مُلْكاً . فلست أنا الآتى للمجد والملك . ومن سفاهتكم : أنكم لا تقبلون النبى الصادق ، وتقبلون الكذابين الذين يأتون من تلقاء أنفسهم ، لا من الإله الواحد الذى لم تروه ، ولن تروه .

قال يوحنا المعمدان فى الأصحاح الخامس : « فأجاب يسوع وقال لهم : الحقَّ الحق أقولُ لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً ، إلا ما ينظر الآب يعملُ ، لأنْ مهما عمل ذاك ، فهذا يعمله الابن كذلك . لأن الآب يحبُّ الابن ، ويريه جميع ما هو يعمله ، وسيريه أعمالاً أعظم من هذه ، لتتعجبوا أنتم . لأنه كما أن الآب يُقيم الأموات ويحى ، كذلك الابن يحى من يشاء . لأن الآب لا يدين أحداً ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن . لكى يكرم الجميعُ الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى أرسله .

الحق الحق أقول لكم : إنَّ من يسمع كلامى ، ويؤمن بالذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة . الحق الحق أقول لكم : إنه تأتى ساعة ـ وهى الآن ـ حين يسمع الأمواتُ صوتَ ابن الله ، والسامعون يحيون ، لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً ، لأنه ابن الإنسان . لا تتعجبوا من هذا . فإنه تأتى ساعة . فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة . أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى

شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة ، لأني لا أطلبُ مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذى أرسلني .

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتي ليست حقاً . الذى يشهد لى هو آخر . وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لى هى حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق ، وأنا لا أقبل شهادة من إنسان . ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم . كان هو السراج الموقد المنير ، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة .

وأما أنا فلِي شهادة أعظم من يوحنا . لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها ، هذه الأعمالُ بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لى : أن الآب قد أرسلني . والآبُ نفسه الذى أرسلني يشهد لى . لم تسمعوا صوته ، ولا أبصرتم هيئته ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو ، لستم أنتم تؤمنون به . فتّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التي تشهد لى . ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة .

مجداً من الناس لستُ أقبلُ . ولكنى قد عرفتكم : أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ، ولستم تقبلونني . إن أتى آخر باسم نفسه ، فذلك تقبلونه . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً ، بعضكم من بعض ، والمجدُ الذى من الإله الواحد ، لستم تطلبونه ؟ » .

ذلك نص كلام يوحنا . وإنه أيضاً لصريح فى نفى اللاهوت عن عيسى عليه السلام فقد قال : إن الله لا يرى وإذْ هم قد رأوا المسيح ، فإنه لا يكون هو الله . وصرح بأن الله واحد لا ثلاثة . فكيف يقولون بآب وابن وروح قدس ؟ .

وقد قال الأنبا أثناسيوس فى الكتاب الرابع والعشرين من سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية وعنوانه « أنت المسيح الله . ابن الله الحى » ما نصه : « على أن الرب يسوع المسيح قد أوضح مراراً فى مواضع متفرقة ، وفى مجالات مختلفة : أنه هو بعينه الديان ، وأنه سيأتى فى مجيئه الثانى ، ليدين الأحياء والأموات ، وأنه هو الذى سيحاسب الجميع أخياراً وأشراراً ، وأنه سيجازى كل واحد على حسب أعماله ، وسيعطى الأبرار أكاليل المجد ، وينعم عليهم بالدخول فى الملكوت الأبدى ، وسيحكم على الأشرار بالبحيرة ، المتقدة بالنار والكبريت ، المعدة لإبليس وملائكته .

قال المسيح له المجد : « فكما [1] أن الزُّؤان يُجمع أولاً ثم يحرق فى النار . هكذا يكون في نهاية هذا الدهر ، يُرسل ابن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من مملكته كلَّ من كانوا عثرة ، وكلَّ فاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان . حينئذ يضئ الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم »
[متى ١٣ : ٤٠ ـ ٤٣] .

« لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه ، مع ملائكته . وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » [متى ١٦ : ٢٧] .

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وكلُّ الملائكة القديسين معه ... »
[متى ٢٥ : ٣١ ـ] .

« فإن الآب لا يدين أحداً ، وإنما سلَّم القضاء كله للابن » [يو ٥ : ٢٢] .

« وقد أعطاه السلطان لأن يدين ، لأنه ابن الإنسان » [يو ٥ : ٢٧] .

يريد أن يقول :

١ ـ إن المسيح عيسى هو الديان للأمم والشعوب فى الحياة الدنيا .

٢ ـ وسيكون دياناً فى مجيئه الثانى .

٣ ـ واستدل بما فى الأناجيل عن ملكوت السموات ، الذى هو ملكوت ابن الإنسان .

٤ ـ وقال : إن نهاية هذا الدهر هى يوم القيامة وانتهاء الحياة الدنيا ، لا يوم ظهور النبى الآتى إلى العالم .

والرد عليه :

أولاً : بيَّنا من النصوص السالفة الذكر : أن المسيح عيسى عليه السلام نفى أنه هو النبى الآتى إلى العالم . وعليه لا تكون الإدانة له بالحرب والقتال ، وإنما تكون للنبى الآتى إلى العالم الملقب من دانيال بلقب « ابن الإنسان » ومن داود بلقب « ابن الله » .

---

(١) الأنبا غريغوريوس ينقل النصوص من الترجمة القبطية . ونحن ننقل من ترجمة البروتستانت .

ثانياً : مجئ المسيح الثانى منفى من المسيح نفسه . بقوله : « ولا تروننى أيضاً » وبقوله : « ولست أنا بعد فى العالم » .

ثالثاً : قول الأنبا غريغوريوس : إن نهاية الدهر هى نهاية الدنيا . قول باطل . فإن نهاية الدهر عبارة عن انتهاء دهر الملك والنبوة فى نسل إسحق عليه السلام ، وبدء دهر جديد فى نسل إسماعيل عليه السلام . وذلك لأن إسحق وإسماعيل هما حاملى بركة إبراهيم فى الأمم فى السير أمام الله ، واليوم الذى تظهر فيه بركة إسماعيل يسمى باليوم الأول لبركته ، ويسمى أيضاً باليوم الأخير لبركة إسحق . والدليل على ذلك إن المسيح بدأ دعوته بقوله : « توبوا ، فإنه قد اقترب ملكوت السموات » الذى أنبأ عن تأسيسه النبى المعظم دانيئال عقب دولة الروم ، وضرب الأمثال لمجيئه .

وفى مثل زوان الحقل قال : « هكذا يكون فى انقضاء العالم » عالم الملك والنبوة فى اليهود حاملى بركة إسحق « يرسل ابن الإنسان » صاحب ملكوت السموات « ملائكته » أى أتباعه ... إلى آخره .. وإذ يتأسس الملكوت بعد دولة الروم ، فإن المراد بانقضاء الدهر أو بانقضاء العالم تكون بركة إسحق . البادئة من موسى عليه السلام والمنتهية بمحمد ﷺ .

ولفهم المراد بانقضاء العالم ، نرتب الكلام فى ملكوت السموات على النحو التالى :

أ ـ فى الأصحاح السابع من سفر دانيئال كلام عن الممالك الأربعة : بابل ـ وفارس ـ واليونان ـ والرومان . المرموز إليهم بالحيوانات الأربعة . ثم قال دانيئال بعد ذكر الممالك الأربعة : « كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان ، أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » [دا ٧ : ١٣ ـ ١٤] .

ب ـ وقال المسيح عيسى عليه السلام : يا بنى إسرائيل « توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [متى ٤ : ١٧] .

ج ـ وذكر أمثلة لملكوت السموات . منها مثل ذكر الله معناه فى القرآن الكريم وهو مثل الكرامين والأردياء . وهو « يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان ،

وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمتْ فهى أكبر البقول وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها » [متى ١٣ : ٣١ ـ ٣٢] .

د ـ ومنها مثل زوان الحقل . أى النباتات الضارة . ونصه : « يشبه ملكوت السموات إنساناً ، زرع زرعاً جيداً فى حقله . وفيما الناس نيام جاء عدوه ، وزرع زواناً فى وسط الحنطة ، ومضى . فلما طلع النبات . وصنع ثمراً ، حينئذ ظهر الزوان أيضاً . فجاء عبيد رب البيت وقالوا له : يا سيد . أليس زرعاً جيداً ، زرعت فى حقلك ؟ فمن أين لـه زوان ؟ فقال لهم : إنسان عدو فعل هذا ، فقال له العبيد : أتريد أن نذهب ونجمعه ؟ فقال : لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد . وفى وقت الحصاد أقول للحصّادين : اجمعوا أوّلاً الزوان ، واحزموه حزماً ، ليحرق . وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى » [متى ١٣ : ٢٤ ـ ٣٠] .

هـ ـ وقد فسّر المسيح مثلَ زوان الحقل بقوله : « الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان ، والحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزوان هو بنو الشّرير ، والعدو الذى زرعه هو إبليس . والحصاد هو انقضاء العالم . والحصادون هم الملائكة . فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار ، هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم ، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم . من له أذنان للسمع ، فليسمع » [متى ١٣ : ٣٧ ـ ٤٣] .

يريد أن يقول : إن النبى الآتى لما أتى ، زرع زرعاً جيداً فى قلوب أتباعه ـ وهم بنو الملكوت ـ الذين هم من العالم . من العرب والروم وفارس واليمن وغيرهم . وبعد ما علّم تعاليم صالحة ، دخل فيهم منافقون من أهل الشر ، ودسُّوا تعاليم فاسدة . وإذْ اختلط الحق بالباطل ، أرسل النبى ابن الإنسان أتباعه ، المعبِّر عنهم بالملائكة لطهرهم وصلاحهم لنشر الدين الحق ولقتال الأشرار فى الأرض المقدسة . وعندئذ يميزون الأخيار من الأشرار ، ويهلكون الأشرار . فيبقى الأخيار فى خير إلى الأبد .

وفى نهاية أحاديث المسيح عن ملكوت السموات ، قال : « حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى » وذكر مثل العذراى العشر ، وقال : « وكأنما إنسان مسافر دعا

عبيده » وذكر مثل الوزنات . وقال عقبهما : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ... الخ » أى متى جاء محمد رسول الله الذى لقَّبه دانيئال بلقب ابن الإنسان مع ملائكته القديسين ، أى أتباعه الطاهرين ، فإنه سيميز الأخيار من الأشرار ، وسيهلك الأشرار هلاكاً ردياً .

ذلك هو المعنى . لا أن المعنى هو إدانة المسيح بالحرب أو بالكلام فى حال قيام القيامة . ومما يؤكده : أن النصارى يقولون : إن مجئ المسيح الثانى سيكون روحياً على القلوب ، شبه الرؤى فى الأحلام ، أو شبه وسوسة الشياطين فى صدور الناس ، أو شبه تنزل الملائكة على القلوب . وعند مجيئه يقوِّى إيمان الأخيار ، بالإيحاء ويهلك الأشرار ، بالإيحاء . ثم تقوم القيامة العامة لجميع الخلائق ، بالأرواح لا بالأجساد . ويدخل النصارى الجنة وحدهم بالأرواح لا بالأجساد .

وذلك باطل بمثل قول المسيح نفسه : « ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بى ، فخير له لو طوّق عنقه بحجر رمى وطرح فى البحر . وإن أعثرتك يدك فاقطعها ، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان ، وتمضى إلى جهنم ، إلى النار التى لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت لا يموت والنار لا تطفأ » [مر ٩ : ٤٢ ـ ٤٤] .

وبكلام المسيح نفسه عن الملكوت ، وأنه سيكون ملكوتاً أرضياً ، شبَّه مملكة داود وسليمان ، والممالك الأربعة .

التناقض بين الخلاص والإدانة

ويقول النصارى : إن آدم عليه السلام عصى الله ، وأكل من الشجرة التى نهاه عنها . فطرده من الجنة إلى الأرض هو وحواء ، وورث أبناءهما خطيئتيهما من بعدهما إلى زمان ظهور يسوع المسيح .

ثم إن الله أراد أن يرفع توارث الخطيئة ، بقربان ثمين ، يناسب كثرة الخطايا من آدم إلى يسوع المسيح . فوجد أن المناسب هو قتل ابنه بكر الخلائق يسوع على الصليب ، ليكون كل من يؤمن به ، من بعد قتله من أهل الجنة .

يقول بولس « لأنه كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا فى المسيح ، سيحيا الجميع » [١ كو ١٥ : ٢٢] فالخلاص من الخطايا الموروثة قد تم بدم المسيح ـ كما يقولون ـ

وإذْ قد تم حسب قولهم فلماذا الإدانة على الأعمال . سواء أكانت من الآب ، أم كانت من الابن ؟ ثم إن مريم أم المسيح بحسب قولهم فى الخطيئة هى وارثة أيضاً للخطيئة : إذ المسيح لم يكن قد رفع الخطايا بسكب دمه من قبل أن تلده . وهى ولدته كامرأة من بنات هرون ، وارثة للخطيئة من الأبوين بحسب اعتقادهم . والمولود من الخاطئة هو وارث أيضاً للخطيئة منها بحسب اعتقادهم . فكيف يكفر عن الخطايا وهو خاطىء ؟ ، وإذا كان قد كفر ، فلماذا يدين ؟ فإذاً الخلاص هو بالتوبة عن الخطايا ، وإذاً الإدانة بحسب الأعمال .

وقد اتفق النصارى على أن جسد المسيح من العذراء . واختلفوا فى لاهوته . هل هو شىء زائد عن روحه الناطقة . أم اللاهوت هو نفسه روحه ؟ قال « أبوليناريوس » : إن الكلمة الأزلى اتخذ من السيدة العذراء جسداً بلا روح أو نفس أو عقل ؛ فكان لاهوته بدلاً عن النفس . وقد اعتبرت الكنيسة هذا القول بدعة وقالت : إن اللاهوت اتحد بالناسوت الكامل ، وقد أسلم المسيح روحه على الصليب دون أن يفارق اللاهوت الناسوت .

فالجسد المتخذ من العذراء ـ على قولهم كلهم ـ هو جسد ملوث بالخطيئة من قبل حلول اللاهوت ، فكيف يحل فيه اللاهوت وهو غير مطهر من الدنس ؟

ويقدرون أن يجيبوا على هذا السؤال بقولهم : إن المعمدان غطّس يسوع وهو فى نحو الثلاثين من العمر فى نهر الأردن أو رش جسده بالماء . فصار بالغطاس أو بالرش مصبوغاً مطهراً من الخطايا . أى أن تعميده بالماء قد طهّره ، وخلّصه من الخطايا فهل حلول اللاهوت فى جسده كان قبل المعمودية أم بعدها ؟ إن كان قبلها فاللاهوت قد حل فى جسد خاطىء . وإذ يصح هذا ؛ فإنهم يسألون : ومن الذى عمّد العذراء فى نهر الأردن ؟ ويسألون أيضاً : إذا كانت المعمودية تخلّص من الخطايا . فما هى الفائدة من سكب الدم الزكى على خشبة الصلْب ؟ وأيضاً يسألون : إذا كان الخلاص قد تم بالمعمودية ، وبسكب الدم الزكى . فما فائدة أن يدين المسيح ؟ وهل سيدين بالكلام أم بالقتال ؟ إن كانت إدانته للخطاة بالقتال فهو لم يأت للقتال ؛ لأنه قد قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » وإن كانت إدانته بالكلام فلماذا تصرون على مجيئه فى آخر الزمان ؟

وقد صرّح يسوع المسيح نفسه بأن إدانته بالكلام لا بالقتال . ففى الأصحاح الثانى

عشر من إنجيل يوحنا : « فنادى يسوع وقال : الذى يؤمن بى ، ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى . والذى يرانى يرى الذى أرسلنى . أنا قد جئت نوراً إلى العالم ، حتى كلُّ من يؤمن بى ، لا يمكث فى الظلمة . وإن سمع أحد كلامى ، ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه . لأنى لم آتِ لأدين العالم ، بل لأخلص العالم . من رذلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه . الكلامَ الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير [1] لأنى لم أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم : أن وصيته هى حياة أبدية ، فما أتكلم أنا به ، فكما قال لى الآب ، هكذا أتكلم »

[يو ١٢ : ٤٤ ـ ٥٠]

* * *

(١) اليوم الأخير في أيام بركة إسحق ، وهو اليوم الأول في أيام بركة إسماعيل ، البادئة بمحمد ﷺ .

خامساً : تجسد الكلمة

يقول النصارى عن القرآن الكريم :

١ ـ إن محمداً عليه السلام التقى براهب اسمه جرجيس ولقبه بحيراء وهى لفظة كلدانية معناها : العالم المدقق المحقق ، ويلقب به من يطول باعه فى سائر العلوم . وبحيراء هذا كان راهباً على مذهب آريوس المنكر لألوهية المسيح .

٢ ـ وقال كثيرون منهم : إنه التقى براهبين أحدهما يسمى سرجيوس من شيعة النساطرة وكان يطلق عليه أيضاً نسطوريوس . والآخر هو بحيراء ، واسمه يوحنا لا جرجيس .

٣ ـ وقال بعضهم : إن بحيراء لم يكن آريوسيا وإنما كان على مذهب نسطوروس .

٤ ـ إن محمداً عليه السلام أخذ من الراهبين عقائد النصارى . ولما أحسَّ به بعض اليهود ، وثب نفر منهم إلى محمد منهم عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، وأمالوه إلى اليهودية . وهذا هو سبب مدحه وقدحه فى النصارى .

٥ ـ أشار محمد إلى :

أ ـ سر الثالوث الأقدس فى الله . المسمى فى الإنجيل « آب وابن وروح القدس »

ب ـ وأشار إلى لاهوت المسيح فى قوله إن عيسى المسيح « روح الله وكلمته »

٦ ـ مزج محمد تارة بين الكلمة والروح من جهة المسيح . وفرّق محمد تارة أخرى بين الكلمة والروح ، كأن كلاً منهما غير الآخر . ففى المزج قال **﴿ إنمَا المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رسولُ الله وكلمتُه ألقاهَا إلى مريمَ ورُوحٌ منه ﴾** (النساء : ١٧١) وفى التفريق قال آيتين **﴿ إنَّ اللهَ يُبشِّرُك بكلمة منه اسمهُ المسيح ﴾** (آل عمران : ٤٥) ولم يذكر الروح **﴿ إذْ أيَّدتُك بروحِ القُدسِ ﴾** ولم يذكر الكلمة . وجعل فى هذه الآية الروح القدس كنعمة من الله على المسيح لتأييده ، لا أن المسيح هو الروح .

٧ ـ مع هذا المدح ، قدح وعاب فى النصارى بقوله : **﴿ لاَ تَغْلُوا فِي دينكُمْ ولاَ تقولُوا على الله إلاَّ الحقَّ . إنما المسيحُ عيسى بن مريمَ رسولُ الله وكلمتُه ألقاها إلي مريمَ وروحٌ منه . فآمنُوا بالله ورُسُله . ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكُمْ ، إنما اللهُ إله واحدٌ سبحانه أنْ يكونَ له ولدٌ ﴾** . (النساء : ١٧١)

٨ ـ لو علم محمد ما فى الإنجيل ما اتهم المسيحيين هذه التهمة ، لأن الإنجيل مُصرِّح بالأقانيم فى إنجيل لوقا فى قوله : « وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيماً وابن العلىّ يدعى ،ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية » [لو ١ : ٣١ ـ ٣٣] .

٩ ـ « وليس المسيحيون بقائلين إن الله ثالث ثلاثة . حاشا . بل الله واحد بثلاثة أقانيم المشار إليها فى القرآن « الله وكلمته وروحه » فانظر كيف هو ينكر على المسيحيين ، بل على إنجيل الله أمراً لمح عليه فى قرآنه ، بصورة قلما تختلف عن صورة نص الإنجيل . وهم لا يقولون إلا ما جاء فى الإنجيل فهل كان يخلق به أن يتهمهم هكذا بما ليس فيهم ؟ وهو لم يطالع الإنجيل ، ولا أصحابه نظروا فيه . والإنجيل إنجيل الله ، والمسيحيون أهله ، حسبما جاء فى القرآن ، فيا ترى ما علّة اتهامه أهل الانجيل هذه التهمة ؟ ومن أين اتصل إليه هذا القول ؟ لا ريب أنه اتصل إليه من ذلك الآريوسى بحيراء صاحبه » أ . هـ بنصه .

ذلك قول النصارى عن محمد ﷺ فى كتبهم . وقد قاله الأنبا غريغوريوس فى رده على الشيخ محمد متولى الشعراوى . وأشار الله إليه فى القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولقدْ نعلَمُ أنهم يقولُونَ : إنَّمَا يُعلِّمه بشرٌ ﴾ (النحل : ١٠٣) . وردَّ عليهم بقوله ﴿ لِسَانُ الذى يُلحدُونَ إليه أعجَمِىٌّ . وهذا لسانٌ عربىٌّ مبينٌ ﴾ .

واستشهاد النصارى بالإنجيل خطأ بيِّن . وذلك لأن نص الإنجيل المستشهد به هم وضعوه بأيديهم فى مجمع نيقية ، من بعد لوقا بزمان طويل . ليوهموا العالم بأن يسوع هو النبى الأمى الآتى إلى العالم وليس من بعده نبى إلى يوم الدين .

وذلك لأن اليهود العبرانيين ـ الذين وُلد المسيح عيسى فى أرضهم ـ كانوا يزعمون أن النبى الأمى الآتى إلى العالم سيكون من نسل داود من سبط يهوذا . وسيكون ملكاً ويحارب أعداءه وينتصر عليهم ، ويملك على اليهود كلهم إلى الأبد والعالم ، وكان اليهود السامريون يزعمون أنه سيكون من نسل أفرايم من سبط يوسف ، وسيكون ملكاً عظيماً على كل اليهود والعالم ، فبعث الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من نسل هرون من سبط لاوى ، وجعله بلا أب لئلا يدعى أى فريق أنه هو النبى الأمى الآتى إلى العالم منهم ، وقد أتى ولا نبى بعده . وبشر بمحمد ﷺ ورفع فى المجد . وترك اليهود كلهم تحت سلطان أهل الروم . فلم يملك على بيت يعقوب ، ولم يجلس على كرسى

داود ، ولم يخلّص اليهود كلهم من سلطان أهل الروم . وقال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » [مر ١٢ : ١٧] وتشتت اليهود من بعده في الأرض ، وهدم الروم هيكل السامريين وهيكل العبرانيين . وظل الروم جاثمين على صدورهم إلى مجيء محمد ﷺ .

فقولوا لنا أيها النصارى : هل أعطى الرب الإله ، كرسى داود ليسوع المسيح ؟ فلماذا ضربه اليهود بالقصبة على رأسه واستهزأوا به وألبسوه لباس مشعوذ ؟ هل ملك يسوع المسيح على بيت يعقوب إلى الأبد ؟ وأين هو ملكه الذى لا نهاية له ؟

وقول الإنجيل « وابن العَلى يُدعى » يقصدون به : أنه ابن الله الذى أخبر عنه النبى داود في المزمور الثانى . وأوصاف المزمور كلها لا تدل عليه ، فضلاً عن أن المسيح نفسه قال : إن الابن سيأتى من بعدى وسيدين بالحرب والوعظ . أما أنا فلا أدين إلا بكلامى الذى أظهرته لكم عنه .

واستدل الأنبا غريغوريوس على أن المسيح كلمة الله المتجسدة ، فى رده على الشيخ محمد متولى الشعراوى ببدء إنجيل يوحنا وهو : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان فى البدء عند الله »

وقد شرحنا بدء إنجيل يوحنا فى كتابنا « اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة » ونشرح الآن بعبارات من كتبهم قول الله تعالى : ﴿ **إنّما المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه** ﴾ (النساء : ١٧١) ـ ﴿ **إنّ اللهَ يبشّرك بكلمةٍ منه** ﴾ فنقول :

ألقى كلمته [١]

ألقى على الحقيقة تدل على الرمى للشيء الثقيل من أعلى إلى أسفل . يقال فلان . ألقى حجراً على الأرض من فوق السطح ، فهوى على رأس فلان . وألقى على المجاز تدل على صدور الأمر مثل ألقى الرئيس أوامره على جنده أى تكلم بكلام لينفذوه . وتدل على إظهار الفكرة مثل ألقى الخطيب خطبة قيمة أى أظهر فكرة حسنة .

وقد جاء الإلقاء فى التوراة وفى الإنجيل حقيقة ومجازاً .

(١) **عيسى مثل آدم :**
وقال الله تعالى : ﴿ إن مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم . خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ﴾ . =

= فى التوراة : أ ـ أن آدم خلقه الله من تراب ، ثم نفخ فى أنفه نسمة حياة . ب ـ وأن الله خلقه بكلمته . ففي سفر التكوين : « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حية » [تك ٢ : ٧] وفى المزمور الثالث والثلاثين : « بكلمة الرب صنعت السموات ، وبنسمة فيه كلُّ جنودها » [مز ٣٣ : ٦] ، ثم قال : « لأنه قال ، فكان . هو أمر ، فصار » [مز ٣٣ : ٩] .

وليس النفخ فى آدم من فم الله نفسه ، فإن الله ليس جسماً ، لقوله : « ليس مثل الله » [تث ٣٢ : ٢٦] وإنما هو كناية عن قوله كن ، فكان ، وعن أمره كن ، فصار . ففى سفر أيوب : « بنفخته السموات مسفرة » [أى ٢٦ : ١٣] . « حيٌّ هو الله الذى نزع حقى ، والقدير الذى أمرَّ نفسى ، إنه ما دامت نسمتى فىَّ ، ونفخة الله فى أنفى ، لن تتكلم شفتاى إثماً ، ولا يلفظ لسانى بغش » [أى ٢٧ : ٢ ـ ٤] وفى سفر إشعياء : « يبس العشب ، ذبل الزهر ، لأن نفخة الرب هبَّت عليه » [إش ٤٠ : ٧] ، وفى كلام بولس : « وحينئذ سيستعلن الأثيم ، الذى الرب يبيده بنفخة فمه » [٢ تس ٢ : ٨] .

وشبه بولس آدم بيسوع المسيح ، فى قوله : « لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا ، على شبه تعدى آدم ، الذى هو مثال الآتى »
[رو ٥ : ١٤] .

ولما ضُرب ابن مريم مثلاً :

وقال الله تعالى : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً . إذا قومك منه يصدون ﴾ وقد ضربه الله مثلاً فى القدوة الصالحة لقوله : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ﴾ وفى التوراة أن الذين يعبدون الأصنام ، وأن الأنبياء الذين يدعون إلى غير الله ، يهلكهم الله ، ويجعلهم مثلاً وعبرة ، لينزجر الناس بما جرى لهم . ففى سفر حزقيال : « هكذا قال السيد الرب . توبوا وارجعوا عن أصنامكم . وعن كل رجاساتكم ، اصرفوا وجوهكم ، لأن كل إنسان من بيت إسرائيل ، أو من الغرباء المتغربين فى إسرائيل ، إذا ارتدَّ عنى ، وأصعد أصنامه إلى قلبه ، ووضع معثرة إثمه تلقاء وجهه . ثم جاء إلى النبى ليسأله عنى ، فإنى أنا الرب أجيبه بنفسى ، وأجعل وجهى ضد ذلك الإنسان ، وأجعله آية ومثلاً ، وأستأصله من وسط شعبى ، فتعلمون أنى أنا الرب ... » [حز ١٤ : ٦ ـ   ] .

الله ليس إنساناً :

وتصرح التوراة بأن الله ليس إنساناً ، والمسيح عيسى عليه السلام يصرح بأنه إنسان .

وتصريحه يدل على أنه ليس هو الله متجسداً أو غير متجسد ، ويدل على أنه ليس ابناً له بالطبيعة ففى سفر العدد : « ليس الله إنساناً فيكذب » [عد ٢٣ : ١٩] .

وفى صموئيل الأول : « نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ، فيندم » [١ صم ١٥ : ٢٩] وفى سفر أيوب : « لأنه ليس هو إنساناً مثلى » [أى ٩ : ٣٢] =

= المسيح إنسان :

قال عيسى عليه السلام لليهود : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق ، الذى سمعه من الله » [يو ٨ : ٤٠] والناس قد شهدوا بأن عيسى إنسان « أجاب الخدّام : لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » [يو ٧ : ٤٦] « يسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً ، مقتدراً فى الفعل والقول ، أمام الله وجميع الشعب » [لو ٢٤ : ١٩] .

لاحظ فى اعتراف عيسى عليه السلام أنه ١ ـ إنسان ٢ ـ تكلم بالحق ٣ ـ الذى سمعه من الله . وتذكر أن الأرثوذكس يقولون : إن يسوع هو الله متجسداً . فإذا كان هو الله فمن سمع ؟ ولاحظ فى اعتراف الناس : ١ ـ يسوع إنسان ٢ ـ يسوع نبى الله . فلماذا يقولون : إنه هو الله نفسه ؟ .

قد خلت من قبله الرسل :

وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . وأمه صدّيقة ﴾ .

وفى التوراة وفى الإنجيل نصوص تدل على أن الله أرسل رسلاً من قبله ، وهو مرسل من الله مثلهم . ومن النصوص : « فقال حجّى رسول الرب برسالة الرب لجميع الشعب قائلاً : أنا معكم . يقول الرب » [حج ١ : ١٣] . « أرسل موسى عبده ، وهارون » [مز ١٠٥ : ٢٨] وقال عيسى عليه السلام : « لأنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى . لماذا لا تفهمون كلامى ؟ » [يو ٨ : ٤٢ ـ ٤٣] .

وقال عيسى عليه السلام عن رعاة اليهود الفسقة : « جميع الذين أتوا قبلى هم سرّاق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم ... أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتى ، وخاصتى تعرفنى . كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب . وأنا أضع نفسى عن الخراف . ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى ، وتكون رعية واحدة وراع واحد » [يو ١٠ : ٨ ـ] . لاحظ قوله « ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة » .

وأما عن أن أمّه صدّيقة :

فالصديق هو المداوم على العمل بالشريعة ، لقوله : « فم الصديق يلهج بالحكمة » [مز ٣٧ : ٣٠] « فم الصديق ينبوع حياة » [أم ١٠ : ١١] « طريق الصديق استقامة » [إش ٢٦ : ٧] « وابتهجوا يا أيها الصديقون » [مز ٣٢ : ١١] « الصديقون يرثون الأرض » [مز ٣٧ : ٢٩] « الصديقون يحمدون » [مز ١٤٠ : ١٣] « عينا الرب نحو الصديقين » [مز ٣٤ : ١٥] . وفى إنجيل يوحنا أن مريم كانت من الصديقين والقانتين « فقالت مريم : تعظّم نفسى الرب . وتبتهج روحى بالله مخلّصى ، لأنه نظر إلى اتضاع أمته . فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى ، لأن القدير صنع بى =

١ ـ « مركباتُ فرعون وجيشه ألقاهما فى البحر » [خر ١٥ : ٤] وليس المعنى على الحقيقة وهو أن الله نزل من السماء وأمسك بكلتا يديه جسم فرعون وأجسام كل جيشه وألقاهم فى البحر . وإنما المعنى على المجاز وهو أن الله أهلكهم بقوته .

٢ ـ « وكان لما قرأ يهودى ثلاثة شطور أو أربعة ، أنه شقه بمبراة الكاتب ، وألقاه فى النار التى فى الكانون » [إر ٣٦ : ٢٣] هنا تجد أن الكاتب ألقى الورقة فى النار وحرقها . فالإلقاء على الحقيقة .

٣ ـ « كيف غطّى السيد بغضبه ابنة صهيون بالظلام . ألقى من السماء إلى الأرض

= عظائم ، واسمه قدوس ، ورحمتُه إلى جيل الأجيال للذين يتقونه صنع قوة بذراعه . شتّت المتكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الأعزاءِ عِن الكراسى ، ورفع المتضعين ، أشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فارغين ، عضد إسرائيل فتاه ، ليذكر رحمةً . كما كلم آباءنا : « لإبراهيم ونسله إلى الأبد » [لو ١ : ٤٦ ـ ٥٥]

المسيح قد جاء بالحكمة :

« الرب يعطى حكمة . من فمه المعرفةُ والفهم . يذخر معونة للمستقيمين . هو مجن للسالكين بالكمال . لنصر مسالك الحق وحفظ طريق أتقيائه . حينئذ تفهم العدل والحق والاستقامة . كلّ سبيل صالح . إذا دخلت الحكمة قلبك ، ولذّت المعرفة لنفسك ، فالعقل يحفظك ، والفهم ينصرك » [أم ٢ : ١٠ ـ ١١] . وكان المسيح « يتقدّم فى الحكمة » [لو ٢ : ٥٢] أى فى معرفة الشريعة .

المسيح مصدق للتوراة :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » [متى ٥ : ١٧] .

المسيح بيّن بعض الذى اختلفوا فيه :

كاختلافهم فى المسيح المنتظر ، الذى هو المسيا ، النبى الأمى المكتوب عنه فى سفر التثنية هل سيأتى من السامريين أم من العبرانيين أم من الاسماعيليين ؟ فإن دانيئال قد قال عنه : « سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، ولكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين . فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً . يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة » [دا ٩ : ٢٤ ـ٢٥] . وقد بين المسيح عيسى عليه السلام أنه لن يأتى من نسل داود أى من العبرانيين لأن داود دعاه بسيده . وسيأتى من الاسماعيليين ، لأن لإسماعيل بركة .

ومما تقدم ، يعلم : أن كل ما جاء فى القرآن عن المسيح عليه السلام له شواهد فى التوراة وفى الإنجيل . وعليه . فإنه لا يصح للنصارى أن يقولوا : إن ما ذكره القرآن عن المسيح عيسى عليه السلام هو من المذاهب المندثرة التى كانت مع الهراطقة وأصحاب البدع .

فخرَّ إسرائيل » [مر ٢١ : ١] يريد أن يقول : إن الله غضب على اليهود ، وألقى فخرهم من السماء ، فوقع فخرهم على الأرض . فهل الفخر شيء مجسد أم شيء معنوى ؟ إنه شيء معنوى مثل إلقاء الكلمة . فالكلمة شيء معنوى وليست شيئاً مجسداً ، وهو هنا يُكَنَّى عن أنه نبذهم وأهملهم .

٤ ـ « وللشرير قال الله : ما لك تحدّث بفرائضى ، وتحمل عهدى على فمك وأنت قد أبغضت التأديب ، وألقيت كلامى خلفك » [مز ٥٠ : ١٦ ـ ١٧] فالله ههنا يقول : إن الشرير ألقى كلام الله خلفه . وليس كلام الله جسماً حتى يُلْقَى . فالمراد ههنا المعنى المجازى ، وهو أنه لم يعمل بالشريعة .

٥ ـ « وألقيت كرسيه إلى الأرض » [مز ٨٩ : ٤٤] كناية عن سلب الملك منه .

٦ ـ « فقل لهم : إنى ألقيت تضرعى أمام الملك » [إر ٣٨ : ٢٦] أى تحدثت بخشوع ، فإن التضرع ليس جسماً .

٧ ـ « يرسل كلمته فى الأرض . سريعاً جداً يجرى قوله . الذى يُعطى الثلج كالصوف ، ويذرِّى الصقيع كالرماد . يلقى جَمَدَه كفتات . قدام بَرده من يقف ؟ يرسل كلمته فيذيبها . يهبُّ بريحه فتسيل المياه . يخبر يعقوب بكلمته . وإسرائيل بفرائضه وأحكامه » [مر ١٤٧ : ١٥ ـ ١٩] .

هنا شبَّه الكلمة بإنسان ، وحذف الإنسان ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الإرسال . على طريق الاستعارة المكنية ، أيضاً قوله « يجرى قوله » شبه القول وهو معنوى بشئ حسى . وإلقاء الجمد تعبير مجازى عن ذوبانه بواسطة الرياح ، لا أنَّ الله هو الذى يمسك الجمد بيديه ، ويرميه على الأرض ، مثل رمى الأحجار .

الكلمة على الحقيقة والمجاز

إذا تكلم إنسان بكلام مَّا . فإن كلامه يكون على الحقيقة هو الحروف والأصوات الصادرة من فمه . ولكنه إذا أعطى أمراً من الأمور . فإن الأمر يكون كلمة هذا الإنسان . مجازاً . والآلة التى يستخدمها لإنفاذ أمره ، تسمى أيضاً كلمة . وقد جاءت الكلمة فى التوراة وفى الإنجيل حقيقة ومجازاً .

١ ـ « الرب يُعطى كلمة . المبشرات بها جند كثير » [مز ٦٨ : ١١] أى يعطى وعداً بشئ يسر حدوثه فى المستقبل .

٢ ـ « لتأتنى رحمتك يا رب . خلاصُك حسب قولك . فأجاب مُعيِّرى كلمة ، لأنى اتكلت على كلامك » [مز ١١٩ : ٤١ ـ ٤٢] قوله أُجاوب مُعيِّرى كلمة . معناه : أرد على الذين يعيروننى كلاماً يخزيهم . فالكلمة ههنا بمعنى الكلام والحجة . وقوله اتكلت على كلامك . معناه : على وعدك ، الذى تكلمت به من قبل . فالكلام بمعنى الوعد .

٣ ـ « تفّاح من ذهب فى مصُوغ من فضة . كلمة مقولة فى محلها » [أم ٢٥ : ١١] فقد وصف الكلمة المقولة فى موضعها بأنها شبه تفاح فى طبق فضة . وهو يقصد بالكلمة مجموع كلمات تقال فى مواضعها .

٤ ـ « كل كلمة من الله نقية » [أم ٣٠ : ٥] أى كل شريعة من شرائعه فيها فائدة . فالكلمة ههنا بمعنى الحكم الشرعى .

٥ ـ « هل إلى الدهور يرفُض الرب ، ولا يعود للرضا بعد ؟ هل انتهت رحمته ؟ أنقطعت كلمته إلى دور فدور ؟ هل نسى الله رأفة ؟ » [مز ٧٧ : ٧ ـ ٩] قوله إن كلمة الرب لم تنقطع معناه : أن أوامره باقية . فكلمته ههنا مجاز بمعنى الأمر .

٦ ـ « آذوا بالقيدِ رجليه . فى الحديد دخلت نفسه إلى وقت مجئ كلمته . قول الرب امتحنه ، أرسل الملك فحلّه » [مز ١٠٥ : ١٨ ـ ٢٠] أى أن يوسف الصديق علَيه السلام دخل السجن ، وبقى فيه إلى حين صدور الأمر . فإلى وقت مجئ كلمته معناه صدور الأمر .

٧ ـ « ورذلوا الأرض الشهية . لم يؤمنوا بكلمته » [مز ١٠٦ : ٢٤] أى لم يصدق اليهود مواعيد الله . فالكلمة ههنا بمعنى الوعد .

٨ ـ « فصرخوا إلى الرب فى ضيقهم ، فخلّصهم من شدائدهم . أرسل كلمته فشفاهم ، ونجّاهم من تهلكاتهم » [مز ١٠٧ : ٢٠] قوله أرسل كلمته . أى أصدر أمره . والكلمة لا ترسل . فإنها ليست جسماً .

٩ ـ « لصقت بالتراب نفسى فأحينى حسب كلمتك » [مز ١١٩ : ٢٥] أى حسب وعدك بنجاة الصالحين .

١٠ ـ « لأنك قد عظّمت كلمتك » [مز ١٣٨ : ٢] أى شددت على إنفاذ وعدك .

١١ ـ « يُرسل كلمته » [مز ١٤٧ : ١٨] أى يصدر أمره .

١٢ ـ والآلات التى يستخدمها الله فى تنفيذ وعوده . هى أيضاً تسمى كلمة ، لأنها سبب لإتمام الوعد . فإذا وعد الله بتدمير مدينة . وتكلم بهذا الوعد . ثم أرسل ملاكه ليدمرها . يسمى الملاك كلمة الله لأنه سبب فى حدوثها . ويسمى الوعد بالتدمير كلمة الله . ففى المزمور المئة والثامن والأربعين : « سبِّحى الرب من الأرض يا أيتـهـا التنانين وكلَّ اللجج . النار والبـرد الثلج وضـبـاب الريح العاصفة الصانعة كلمته » [مز ١٤٨ : ٧ ـ ٨] فقد تبين أن الأسباب التى يستخدمها الله فى تنفيذ مراده تسمى كلمة . والأمر أيضاً يسمى كلمة . وههنا الأسباب هى : النار والبرد . والثلج والضباب والريح العاصفة .

١٣ ـ وتسمى الشريعة كلمة الله فى « يخبر يعقوب بكلمته ، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه » [مز ١٤٧ : ١٩] .

١٤ ـ وقال يعقوب : « شاء فولدنا بكلمة الحق » [يع ١ : ١٨] أى خلقنا بأمره .

١٥ ـ وقال بولس : إن الكلمة تغسل . أى شبه الكلمة بالماء . ففى رسالة إلى أهل أفسس : « لكى يقدسها مطهراً إياها ، بغسـل المـاء بالكلمـة »
[أفس ٥ : ٢٦] .

وبناء على ما قدمنا : يكون قول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ **وكَلِمتُه ألقاهَا إلى مَرْيمَ** ﴾ معناها : أصدر أمره . وليس المعنى : أن صفة كلامه تعالى نزلت وتجسدت فى بطن مريم ، وبقى بلا صفة الكلام . فـ ﴿ **وكَلِمتُه ألقاهَا** ﴾ مثل « ألقى من السماء إلى الأرض فخرَّ إسرائيل » ومثل « أرسل كلمته فشفاهم » ومثل كلمته التى هى النار والبرد والثلج والضباب والريح العاصفة . أى هم أسباب استخدمها الله لتنفيذ أوامره . فإذا كانت الكلمة الملقاة إلى مريم هى صفة كلام الله وتجسدت وحدها من سائر الصفات ، فلماذا لا يقولون بتجسد النار والبرد والثلج والضباب والرياح العاصفة . إذ الكل كلمته ؟

المسيح عيسى بن مريم رسول الله

كلمة « المسيح » كلمة يونـانيـة تطلـق علـى : ١ ـ النبـى ٢ ـ والعالـم ٣ ـ والملك . ومعناها فى الأصل : الممسوح بالدهن المقدس . ومعناها مجازاً : المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة . وكل أنبياء بنى إسرائيل يطلق عليهم لقب « مسيح »

ومسيح فى اللغات التى لا تنطق الحاء « مسيا » وأطلق اليهود على النبى الأمى الآتى إلى العالم لقب « المسيح الرئيس » أى « المسيا » وليس « المسيح الرئيس » عيسى عليه السلام . فعيسى مسيح ، ولكن ليس هو « المسيح » وعيسى « مسيا » ولكن ليس هو « المسيا »

وفى الأناجيل الأربعة عبارات كثيرة تدل على أن عيسى رسول الله ومن هذه العبارات :

الآب أرسلنى

يقول المسيح عيسى عليه السلام :

« مَنْ قَبلنى فقد قَبِلَ الذى أرسلنى »[1] (متى ١٠ : ٤٠)

« مَنْ قَبِلنى ، فقد قَبِل لا إياى وإنما الذى أرسلنى » (مرقس ٩ : ٣٧) .

« ومن قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى » (لوقا ٩ : ٤٨) .

« ومن ازدرانى فقد ازدرَى الذى أرسلنى » (لوقا ١٠ : ١٦)

« طعامى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى » (يوحنا ٤ : ٣٤) .

« إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية » (يوحنا ٥ : ٢٤)

« لأننى لا أبتغى مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يوحنا ٥ : ٣٠) .

« الأعمال التى أنا أعملها ، هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى » (يوحنا ٥ : ٣٦) .

« الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٧) .

« لأنى قد نزلت من السماء ، لا لأعمل بمشيئتى ، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى » (يوحنا ٦ : ٣٨) .

---

(١) فسر الأنبا أثناسيوس الإرسال بقوله :

« المسيح إذن « مرسل من الآب » لا على نحو إرسال الملائكة والأنبياء والرسل ، إرسالاً من خارج ، ولكنه (مرسل من الآب) على نحو إرسال الشمس لأشعتها ، فإرساله من باطن ، فى داخل الثالوث القدّوس ، وعلى نحو إرسال العقل للفكر ، وإرسال الفكر للكلمة .

لذلك ، وإن نزل إلى الأرض ، لكنه فيما كان على الأرض ، كان فى الوقت نفسه جالساً على عرشه فى السماء ، ملكاً وإلهاً إلى الأبد » أ هـ .

« وهذه هي مشيئة الآب الذى أرسلني : أن كل الذين أعطاني لا أهلك منهم أحداً »
(يوحنا ٦ : ٣٩) .

« لأن هذه هي مشيئة أبي الذى أرسلني : أن كُلَّ مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يوحنا ٦ : ٤٠) .

« ما من أحد يستطيع أن يُقبل نحوى مالم يجتذبه إليَّ الآب الذى أرسلني ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يوحنا ٦ : ٤٤) .

« كما أن الآب الحيَّ قد أرسلني » (يوحنا ٦ : ٥٧) .

« إن تعليمي ليس لى من عندى ، بل من عند الذى أرسلني » (يوحنا ٧ : ١٦) .

« وأنا لم آتِ من نفسي وحدى وإنما أرسلني ذلك بالذى هو حقٌ » (يوحنا ٧ : ٢٨)

« وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه ، لأني منه ، وهو الذى أرسلني »
(يوحنا ٧ : ٢٨ ، ٢٩) .

« أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً ثم أمضي إلى الذى أرسلني » (يوحنا ٧ : ٣٣) .

« وإني وإن دِنْتُ فدينونتي حق ، لأنني لست وحدى ، بل أنا والآب الذى أرسلني »
(يوحنا ٨ : ١٦) (٢٠ : ٢١) .

« فأنا أشهد لنفسي . ويشهد لى أبي الذى أرسلني » (يوحنا ٨ : ١٨) .

« إن الذى أرسلني هو حق » (يوحنا ٨ : ٢٦) .

« إن الذى أرسلني هو معي ولم يتركني وحدى » (يوحنا ٨ : ٢٩) .

« فأنا لم آتِ من نفسي وحدى ، وإنما هو الذى أرسلني » (يوحنا : ٨ : ٤٢) .

« ينبغي ما دام النهار أن نعمل أعمال الذى أرسلنا » (يوحنا ٩ : ٤) .

« إن الذى يؤمن بي ، ليس بي يؤمن ، وإنما آمن بالذى أرسلني »
(يوحنا ١٢ : ٤٤)

« ومن رآني فقد رأى الذى أرسلني » (يوحنا ١٢ : ٤٥) .

« لأنني لم أتكلم من نفسي وحدى ، وإنما الآب الذى أرسلني هو الذى أوصاني بما أقول وبما أتكلم » (يوحنا ١٢ : ٤٩) .

« ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » (يوحنا ١٣ : ٢٠) .

« إن الكلام الذى تسمعونه ليس كلامى ، وإنما كلام الآب الذى أرسلنى » (يوحنا ١٤ : ٢٤) .

« ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى ، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى » (يوحنا ١٥ : ٢١) .

« أما الآن فإننى ماضٍ إلى الذى أرسلنى » (يوحنا ١٦ : ٥) .

الآب أرسله

« ومن لا يُمجِّد الابن ، لا يمجد الآب الذى أرسله » (يوحنا ٥ : ٢٣) .

انظر أيضا (يوحنا ٣ : ١٧ ، ٣٤) ، (٥ : ٣٨) ، (٦ : ٢٩) ، (٧ : ١٨) (١٠ : ٣٦) ، (متى ٢١ : ٣٧) .

أرسلتنى

وكثيراً ما كان يعبر المسيح ـ عليه السلام ـ عن هذه الإرسالية فى مناجاته مع الآب على مسمع من تلاميذه .. من ذلك قوله :

« وأنا عالم أنك تسمع لى فى كُلِّ حين . وإنما قلتُ ذلك من أجل هذا الجمع الواقف حولى ، ليؤمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١١ : ٤٢) .

« وآمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٨) .

« كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٢١) .

« وليعلم العالم أنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٢٣) .

« وأما أنا فعرفتك ، وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٢٥) وانظر أيضاً (يوحنا ١٧ : ١٨) .

أرسلته

« وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح

الذى أرسلته » (يوحنا ١٧ : ٣) .

انظر (متى ١٥ : ٢٤) ، (لوقا ٤ : ٤٣) [١] .

وبناء على ما تقدم : فإن قول الله تعالى : ﴿ **إنما المسيحُ عيسى بن مريمَ رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريمَ** ﴾ (النساء : ١٧١) له ما يؤيده من التوراة والأناجيل . فلماذا يكذّبون القرآن فى منعه من تجسد كلمته ؟

جئنا إلى (وروح منه)

أصل كلمة الروح : ريح ـ بالياء لا بالواو ، لأن الهواء أصل الحياة ، فالكلمة العبرانية « روّاه » بتشديد الواو ـ تدل على الريح فأول سفر التكوين وهو : « فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ، وريح الله يرفُّ على وجه المياه » [تك ١ : ١ ـ ٢] .

يترجم اليهود « وريح الله » أى الهواء الذى يهب على وجه المياه . وترجمتهم هى الصحيحة ، لأنه يلزم على ترجمة النصارى بقاء الله بلا روح والنصارى حرّفوا ترجمة « روّاه » إلى « روح » الذات الإلهية . على معنى أن الله تعالى كان عرشه على الماء . وكان هو فاقد الروح وهو جالس على العرش وروحه التى هى له ، هى التى كانت ترف على وجه الماء ، أما هو فكان ذاتاً بلا روح .

ثم إن « الروح » تستعمل مجازاً كما تستعمل كلمة الله مجازاً . وعلى سبيل المثال : تجد أن الماء أغرق فرعون . أى الله تعالى جعله سبباً فى إغراقه . والسبب يطلق عليه كلمة الله ، ويطلق عليه روح الله . فإذا أراد الله أن ينجى إنساناً من مكروه ، فإنه يلهمه طريقه للنجاة . فالإلهام يطلق عليه كلمة الله وروح الله . بمعنى أنه سبب نجاة من قبل الله ، وموسى صاحب الشريعة يطلق عليه كلمة الله ، لأن الله استخدمه كوسيلة لأن يكلم العالم بواسطته ، ويطلق عليه أيضاً روح الله لنفس المعنى .

وعيسى بن مريم يطلق عليه كلمة الله ، لأن الله استخدمه كوسيلة لأن يكلم العالم بواسطته ، ويطلق عليه أيضاً روح الله لنفس المعنى . ففى سفر القضاة : « فترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين ، وأرسل الرب روحاً ردياً بين أبيمالك وأهل شكيم .

---

(١) نقل النصوص فى الرسالة من الترجمة القبطية ـ نقلاً عن غريغوريوس فى كتابه « أنت المسيح الله ابن الله الحى » جـ ٣ .

فغدر أهل شكيم بأبيمالك » [قض ٩ : ٢٢ ـ ٢٣] أى أن الله لما أراد أن يهلك فريق أبيمالك وفريق أهل شكيم . عمل سبباً من لدنه بينهم . وهذا السبب هو الإلهام ، والإلهام معبَّر عنه بالروح ، ولما كان الإلهام ههنا وسيلة هلاك سماه « روح ردىء » أى وسيلة من وسائل الهلاك .

وإذا كان الإلهام للخير يسمى « روح الرب » ففى سفر العَدَد : « فقال له موسى : هل تغار أنت لى ؟ ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » [عد ١١ : ٢٩] وقد جعل الله فى دانيئال النبى من روحه وسماها « روحاً فاضلة » فقال : « ففاق دانيئال هذا على الوزراء والمرازبة ، لأن فيه روحاً فاضلة ، وفكر الملك فى أن يولِّيه على المملكة كلها » [دا ٦ : ٣]

والمتقون للرب روح من الرب فيهم ، ففى سفر حزقيال : « وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم » [حز ٣٦ : ٢٧] .

وبولس يقول عن الله تعالى : « الذى منه تُسمَّى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض ، لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة ، بروحه فى الإنسان الباطل ، ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » [أفس ٣ : ١٥ ـ ١٧] فقد عبر بالروح عن القوة والتأييد والمعونة من الله . وإذا أراد الله بإنسان خيراً ، ألهمه أن يفعل الخير . ويقال فى هذه الحالة : إن الله نبَّه روح هذا الإنسان . ففى أول سفر عزرا : « وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس ، عند تمام كلام الرب بفم إرمياء ، نبَّه الرب روح كورش ملك فارس » [عز ١ : ١] .

وإذا مات الإنسان وفارق الحياة ، يقال : أسلم روحه . « وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان أياماً ، وانضم إلى قومه » [تك ٢٥ : ٨] ويقال على الإنسان المتضايق من الدنيا : إن روحه تالفة : « روحى تلفت ، أيامى انطفأت » [أيوب ١٧ : ١] ويقال على المسرور : إن روحه مبتهجة « فرح قلبى وابتهجت روحى »

[مز ١٦ : ٩] .

والإنسان المستقيم يعتقد أن استقامته هى من إلهام الله له ، فلذلك يطلب من الله أن لا ينزع من قلبه روحه ، أى إلهامه فداود يقول لله تعالى « وروحك القدوس لا تنزعه منى » [مز ٥١ : ١١] ويقول داود : إن روح الله سبب ، كما أن كلمته سبب

« ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض » [مز ١٠٤ : ٣٠] ويستعمل داود الروح بمعنى الرحمة فيقول لله : « أين أذهب من روحك » [مز ١٣٩ : ٧] .

« روحك الصالح يهديني » [مز ١٤٣ : ١٠] وتأتى الروح بمعنى الإلهام : « ها أنذا أفيض لكم روحى » [أم ١ : ٢٣] وتأتى الروح بمعنى الإرادة « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » [أم ١٦ : ٣٢] أى مالك إرادته . وتأتى الروح بمعنى النصرة والمعونة : « هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه » [إش ٤٢ : ١] .

وتأتى الروح بمعنى الكلام الحسن ، فإذا تكلم إنسان بالصدق ، يقال : إن روح الله هو الذى يتكلم فى داخله « روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » [مت ١٠ : ٢٠] .

وعلى ما قدمنا فإن قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام إنه كلمة الله وروح من الله . هو على حسب لسان بنى إسرائيل ، لا أنه كان صفة الكلام وتجسدت ، ولا أنه كان صفة الروح وتجسدت .

وقد رد الأنبا غريغوريوس على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذا الموضوع . وقال له فى الجزء الثالث من كتابه « مقالات فى الكتاب المقدس » : « إذا كان المسيح عيسى ، أو يسوع . قد وصف بأنه كلمة الله وروح منه . وما دام الله هو العقل الأعظم ، فلماذا لا تكون بنوته للآب السماوى كبنوة الكلمة للعقل ؟ » « فإذا كنت لا تزال مصراً على أن تحمل لقب « خومينى » مصر ، وعلى أن تحمل لقب « الأب الروحى » للمتشددين ؛ فعزاؤنا كمسيحيين أننا نستقبل قريباً المجىء الثانى للمسيح ــ له المجد ــ وهو الملك الديان الذى سيدين الأحياء والموتى »

والرد عليه :

١ ــ لغة التوراة والإنجيل ــ كما رأينا ــ لا تدل على تجسد كلمة الله .

٢ ــ لماذا لا يقولون بتجسد الروح . الذى هو صفة الحياة ؟

٣ ــ لماذا لا يقولون بتجسد جميع الصفات ؟

٤ ــ لماذا لا يقولون بتجسد صفة الوجود فقط ؟ التى يفسرونها بأقنوم الآب .

٥ ــ إن تجسد الكلمة وحدها يدل على تعدد الأقانيم . ومجمع نيقية صرح بأن المسيح يسوع إله مع الله ، والقانون الأثناسيوسى يدل على أن المسيح يسوع إله مع الله ،

والقانون النيقوى أيضاً . ففى القانون الأثناسيوسى : « لأن أقنوم الآب هو غير أقنوم الابن ، وغير أقنوم الروح القدس »[1] وفى القانون النيقوى : « بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل . ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق »[2]

٦ ـ إن نصوص الأناجيل تفصل الله عن المسيح . ففى مرقس : « وبعد أن كلّمهم الرب يسوع بهذا ، ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » [مر ١٦ : ١٩] هل جلست صفة الكلام المتجسدة ، بجوار صفة الوجود غير المتجسدة ؟ وأين كانت صفة الحياة ؟

وفى يوحنا يقول المسيح : « أبى أعظم منى » [يو ١٤ : ٢٨] .

٧ ـ وقولكم بتجسد الكلمة وحلولها على الأرض ، يدل على أنه أصبح يوجد إلهان . الله فى السماء الذى هو أقنوم الوجود ، والمسيح فى الأرض الذى هو أقنوم الكلمة . وأين يكون أقنوم الروح ؟ ولماذا نسب التجسد الى الأقنوم الثانى ولم ينسب إلى الأقانيم الثلاثة معاً ؟

٨ ـ وأنتم تقولون : إن اللاهوت لا يمكن أن يدفن فى القبر وتقولون : إن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . فكيف تجمعون بين المعنى وضده ؟

٩ ـ وفى الإنجيل : أن المسيح على الصليب قال : إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ ولم يقل أبى أبى لماذا تركتنى ؟ [متى ٢٧ : ٤٦ ـ مزمور ٢١ : ٧ ـ ١٨] والمزمور للمسيًا كناية عن شدة تألمه وإعراض الناس عن دعوته .

١٠ ـ وهل صعد المسيح إلى السماء بجسده الذى قام به من بين الأموات ؟ إن قلتم بجسده الذى قام به من بين الأموات ـ وهكذا تقولون ـ فإنه يكون الآن فى السماء مخرق الجسد من أثر الحربة ودق المسامير فيه على خشبة الصّلْب .

١١ ـ فى تسبيحة الثلاثة التقديسات تقولون : « قدوس الله . قدوس الحىّ الذى لا يموت » وفى نفس القداس تقولون : « بموتك يا رب نبشر » فكيف تعترفون بعدم موته ، وبموته فى قداس واحد ؟

---

(١) ص ٢٢ موجز الاعتقاد للأنبا غريغوريوس .

(٢) المرجع السابق .

١٢ ـ تصرح التوراة بأن الله حيٌّ إلى الأبـد « أقول : حى أنا إلى الأبد » [تث ٣٢ : ٤٠] « حى أنا يقـول رب الجنود » [صف ٢ : ٩] « وحلف بالحى إلـى الأبـد » [دا ١٢ : ٧] « وأقسم بالحى إلى أبد الآبدين » [رؤ ١٠ : ٦] وتصـرح التـوراة بأن الله لا ينعس ولا ينام « لا ينعس ولا ينام حـافظ إسرائيل » [مز ١٢١ : ٤] وتصـرح التوراة بأن الله هو الحى القيوم « الحى القيوم إلى الأبد » [دا ٦ : ٣٦] .

وأنتم أيها النصارى تقولون بأن المسيح عيسى قد قتل ، وصلب ، وتقولون : إنه كلمة الله المتجسدة ، وتقولون أيضاً : إنه الله فى هيئة بشر ، وتقولون : إنه نعس ونام فى مؤخرة المركب . ففى مرقس : « وكان هو فى المؤخرة على وسادة نائماً فأيقظوه » [مر ٤ : ٣٨] وتقولون : إن المسيح كان متردداً مضطرباً فى بعض آرائه . فقد قال له إخوته ـ حسب تعبير يوحنا فى الأصحاح السابع ـ اصعد فى عيد المظال إلى مدينة أورشليم . فقال لهم : لن أصعد بعد إلى هذا العيد . ثم إنه لما انتصف العيد ، صعد وعلَّم فى الهيكل ، وكل هذا ينفى الألوهية عن المسيح .

١٣ ـ قوله بالمجيء الثاني للمسيح . ينفيه تصريح المسيح نفسه بأنه لن ينزل فى آخر الزمان . فقد قال : « ولست أنا بعد فى العالم » [يو ١٧ : ١١] وقال : « ولا ترونني أيضاً » [يو ١٦ : ١٠] .

١٤ ـ قوله : إن المسيح هو الملك الديان . قول باطل فإن الديان هو الله وحده . والنبى الأمى الآتى إلى العالم سيدين بـ : ١ ـ الوعظ ٢ ـ الحرب فى الحياة الدنيا ، لأنه هو المعبَّر عنه بالابن فى زبور داود . وعيسى عليه السلام سيدين بالوعظ فقط ، سيدين بإنجيله فقط ؟ لقوله : « لأن الله هو الديان » [مز ٥٠ : ٦] « القديسون سيدينون العالم » [١ كو ٦ : ٢] « وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه ، لأنى لم آتِ لأدين العالم ، بل لأُخلِّصَ العالم من رذلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه ، الكلامَ الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » [يو ١٢ : ٤٧ ـ ٤٨] يوم ظهور المسيا بملكوته .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ١٩٠٨ / ٩٤

I. S. B. N
977 - 262 - 034 - 0

دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٣١٨٧٣٦٨